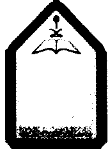
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

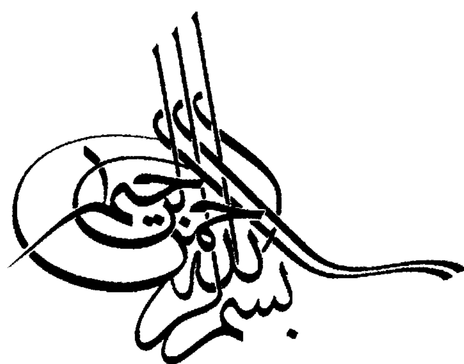
العدد التاسع عشر

ربيع الآخر ١٤٣٢هـ



www.imamu.edu.sa

e-mail: journal@imamu.edu.sa


بسم الله الرحمن الرحيم

أعضاء هيئة التحرير

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً: يُعطى الباحث عشر نسخ من المجلة، وثلاثون مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

المآخذ الإعرابية لابن عطية على مكي بن أبي طالب القيسي
جمعاً ودراسة

د. خالد بن سعود العصيمي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المآخذ الإعرابية
لابن عطية على مكي بن أبي طالب القيسي: جمعاً ودراسة

د. خالد بن سعود العصيمي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة
كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تذهب هذه الدراسة إلى جمع مآخذ ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) لمكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (ت ٤٣٧هـ) المتعلقة بإعراب القرآن الكريم، ومناقشته في تلك المآخذ، وتبين مقدار الجهد الذي بذله ابن عطية في إعراب القرآن، ومدى أمانته في إيراد الأقوال والآراء، وقوة احتياجاته، ومنزلة الأعاريب التي يوردها مكي في كتابيه المشكل و الهداية في تفسير ابن عطية، ثم في كتب التفسير الأخرى.

مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيُعدّ ابن عطية (ت٥٤١هـ) من المفسرين المشهورين، وتفسيره المعروف باسم "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"[1] من أكثر التفاسير دقة في عرض الأقوال، وأوجزها عبارة، وقد لفت نظري في تفسيره تتبعه للآراء الإعرابية في الآيات، وأنه يبدي رأيه فيها بالموافقة أو الاعتراض، ووجدته قد تتبع مكيّ بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) في مواطن كثيرة، وأخذ عليه مآخذ في اللغة وفي المعاني وفي الفقه وفي الإعراب، فرأيت أن أدرس مآخذه على مكي في الإعراب[2]، فكان هذا الموضوع، وهو "**المآخذ الإعرابية لابن عطية على مكي بن أبي طالب القيسي: جمعاً ودراسة**".

ومما دعاني لدراسة هذا الموضوع مع كونه مرتبطاً بكتاب الله العزيز أن دراسة مآخذ العلماء بعضهم على بعض ربما يفتح نوافذ علمية لم يسبق التنبيه عليها، وخاصة أنها في مجال الإعراب التطبيقي، يضاف إليه أن هذين العَلَمين ينتميان لمدرسة تفسيرية واحدة وهي المدرسة الأندلسية، وقد تسنما مكانة علمية عالية في فن التفسير، غير أني رأيت من يحط من قيمة أعاريب مكي، فأردت أن أتبيَّنَ مدى صحة هذا الحكم بالموازنة بينه وبين ابن عطية فيما اختلفا فيه.

وقد تناول كثير من المؤلفين والباحثين الترجمة لمكي وابن عطية؛ لذا لن أتعرض لترجمتهما اكتفاء بتلك البحوث، وأيضاً هناك دراسات علمية كثيرة جداً

---

(١) اشتهر تفسيره –في العصور المتأخرة– بهذا الاسم، أما في عصره وما تلاه فكان يسمى تفسر ابن عطية فقط. انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن ٨١.

وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات، اعتمدت على الطبعة الثانية التي حققها الرحالة الفاروق وزملاؤه، ونشرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، سنة ١٤٢٨هـ.

(٢) انحصرت مآخذ ابن عطية على مكي، في هذه الدراسة، فيما أورده مكي في أحد كتابيه:

١- مشكل إعراب القرآن، واعتمدت على النسخة التي نشرتها مؤسسة الرسالة ببيروت، بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، سنة ١٤٠٥هـ.

٢- الهداية إلى بلوغ النهاية، واعتمدت على الطبعة التي نشرتها جامعة الشارقة، بتحقيق مجموعة من الأساتذة، سنة ١٤٢٩هـ.

للشخصيتين[1]، فدرسا في بعضها من جانب التفسير، وفي بعضها من جانب توجيه القراءات، وفي بعضها من جانب اللغة والنحو، وفي بعضها من جانب الفقه، أما مآخذ ابن عطية على مكي في الإعراب فلم أجد من أفردها بالدراسة .

وقد جعلت هذا البحث في قسمين:

القسم الأول: في الدراسة، وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طريقة ابن عطية في المآخذ.

المبحث الثاني: موقف المعربين من مآخذ ابن عطية على مكي

المبحث الثالث: تقويم المآخذ.

القسم الثاني: في المآخذ، وفيه واحد وعشرون مأخذاً إعرابياً، ومن منهجي في دراستها:

١- جعلتها في مسائل، ورتبتها بحسب ترتيب السور والآيات في المصحف.

٢- أوردت أولاً الآية، ثم أتبعتها برأي مكي، ثم مأخذ ابن عطية.

٣- ذكرت بعد ذلك من يوضح المأخذ إن لم يوضحه.

٤- ثم أوردت آراء المعربين في موطن المأخذ.

٥- ثم بيّنت رأيي في المأخذ وعلته.

* * *

---

(١) سأكتفي بذكر خمس دراسات فقط؛ تمثيلاً عليها وإلا فإنها تبلغ العشرات:

- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، للدكتور عبدالوهاب فايد. (وهو مطبوع)
- الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية للدكتور ياسين جاسم المحيمد. (وهو مطبوع)
- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، للدكتور أحمد حسن فرحات. (وهو مطبوع)
- قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة دكتوراه مسجلة في الجامعة الأردنية، تقدم بها يحيى جلال.
- الجهود النحوية عند مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة دكتوراه مقدمة من عائشة الرويشي في جامعة دمشق تحت إشراف الدكتور محمد موعد.

القسم الأول: الدراسة:

المبحث الأول: طريقة ابن عطية في المآخذ:

١- تعددت صور مآخذ ابن عطية على مكي، وتعددت عباراته فيها:

- مرة يَرُدُّ قول مكي ويبطله، فيقول: "وهو مردود"[١]، أو "وهذا مردود"[٢]، أو "وليس كما قال مكي"[٣]، أو "وذلك خطأ"[٤].
- ومرة يضعفه كأن يقول: "وهو ضعيف"[٥]، أو "وذلك ضعيف"[٦]، أو "وهذا يبعد"[٧]، أو "وفيه نظر"[٨]، أو "وهذا غير متجه ولا بين"[٩].
- وقد يشير إلى ضعفه كقوله: "وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني.."[١٠]، أو "وهو متحامل"[١١]، أو "كذا قال مكي"[١٢].

٢- أن ابن عطية له عناية بتوثيق المآخذ فأحياناً ينص على الكتاب الذي أورد فيه مكي رأيه، فهو يقول: "وقال مكي في المشكل"[١٣]، أو "قال مكي في الهداية"[١٤].

وقد يذكر من يشارك مكياً في الرأي الذي أخذه عليه فيقول مثلاً: "وقال مكي وغيره"[١٥]، "وقال المهدوي ومكي"[١٦]، وهذا شأنه في كتابه كله سواء فيما يتعلق بالإعراب أم بغيره.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٦٥/٢.

(٢) انظر: السابق ٣٩٨/٤.

(٣) انظر: السابق ٤٢٨/٥، ٣٧٩/٧.

(٤) انظر: السابق ٥٥٧/٢.

(٥) انظر: السابق ١٤٤/١، ١٧٤/٧، ٥٦٧/٧.

(٦) انظر: السابق ٤٨٥/٢.

(٧) انظر: السابق ٤٠٦/١.

(٨) انظر: السابق ٢٠٠/٢.

(٩) انظر: السابق ٢١٦/٤.

(١٠) انظر: السابق ١٨٢/٢.

(١١) انظر: السابق ٣٥٤/١.

(١٢) انظر: السابق ٢٧/٤.

(١٣) انظر: السابق ٦٥/٢.

(١٤) انظر: السابق ٥٥٧/٢.

(١٥) انظر: السابق ٤٨٥/٢.

(١٦) انظر: السابق ٢٧٣/٢.

٣- يذكر الدكتور عبد الوهاب فايد أن من منهج ابن عطية في تفسيره اعتماده كثيراً على اللغة عموماً، وخاصة على النحو[١]، بل إن ابن عطية نفسه يقول في مقدمته مبيناً منهجه في التفسير: "وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية: من حكم أو نحو أو لغة أو معنى أو قراءة.."[٢]، فهو قد جعل النظر في إعراب ألفاظ القرآن بعد بيان ما فيها من حكم، ولذا نجد آراء النحويين كالخليل (ت ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت ١٨١هـ)، والفراء (ت ٢٠٩هـ)، والزجاج (ت ٣١٦هـ)، والفارسي (ت ٣٧٩هـ)، وغيرهم مبثوثة في كتابه، لأن بها تتميز معاني الجمل، ويتضح الفرق بين الأساليب.

٤- أن ابن عطية لم يصنف كتابه التفسير في الرد على مكي، ولا في الرد على النحويين والمعربين قبله، وإنما جعله تفسيراً وجيزاً لكتاب الله العزيز، لذا نجده يورد المأخذ بأقصر عبارة وأوجز لفظ، فعندما قال مكي إن العامل في "كيف" هو "جئنا"[٣] من قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال ابن عطية: "وذلك خطأ"[٤]، واكتفى بهذه العبارة في اعتراضه على رأيه، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]، قال مكي في إعرابه للآية: "﴿جنتان﴾ بدل من "آية" وهي اسم كان"[٥]، أخذ ابن عطية عليه هذا الوجه وضعفه فقال: "والبدل من "آية" ضعيف، وقد قاله مكي"[٦]، واكتفى به، وهذا متكرر ظاهر عنده.

ويصل الإيجاز في عبارته أحياناً إلى استعمال ألفاظ غير محددة، بمعنى أن فيها إبهاماً للقارئ، فقد ذكر مكي أن من أوجه إعراب "نفسه" من قوله تعالى: ﴿إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ " أنها تأكيد حذف المؤكد وأقيم التوكيد مقامه"[٧]، فقال ابن عطية "وهذا قول

---

(١) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن ١٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٩ (المقدمة)

(٣) انظر: الهداية ٢/ ٤٣٧.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٥٥٧.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٨٥.

(٦) المحرر الوجيز ٧/ ١٧٤.

(٧) الهداية ١/ ٤٥٤.

متحامل"[1] ولم يزد، واجتهدت في بيان معنى كلامه بالرجوع إلى كتب اللغة، لأجل هذا لم يعن ابن عطية في بيان علة المأخذ أو دليله كما سبق من أمثلة غير أنه في أمثلة قليلة ذكر وجه العلة عنده كما في قوله: "لا أعرف من أين حكاه، لأنه مفسد لمعنى الآية"[2]، وقوله: "وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني"[3].

المبحث الثاني: موقف المعربين من مآخذ ابن عطية:

تردد اسم ابن عطية في كتب التفسير اللاحقة له كثيراً، لكن ورود ابن عطية معرباً ومتعقباً لمكي يظهر بجلاء عند أربعة من المفسرين والمعربين.

أولهم: الإمام القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، فقد تابع القرطبيُّ في تفسيره المسمى بـ "الجامع لأحكام القرآن" ابنَ عطية . وسار على منهجه وطريقته ، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)[4].

من ذلك أن ابن عطية أخذ على مكي إعرابه "محرراً" من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥] نعت لمفعول محذوف [5]، وتابعه القرطبي[6] معللاً، ومبيناً وجه المأخذ.

وتابعه -أيضاً- في أن "كيف" من قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٤١] مفعول بفعل مضمر تقديره: ترى حالهم أو يكونون [7].

لكن اعتماده على تفسير ابن عطية لم يمنعه من أن يأخذ بآراء غيره أحياناً وإن كان قليلاً، من نحو عدم منعه إعراب "مصدقاً" الثانية من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

---

(١) المحرر الوجيز ١/٣٥٤.

(٢) انظر: السابق ٢/٢٧٣.

(٣) انظر: السابق ٣/١٨٢.

(٤) يقول في مقدمته ص ٤٤٠: "ولما عاد الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى، وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق".

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٠٠.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٤٣.

(٧) انظر: السابق ٥/١٢٩.

بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة ٤٦] حالاً معطوفة على مصدقاً الأولى [١]، وكذا لم يوافقه في منع إعراب "أن" وما دخلت عليه من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥١] على أنه في موضع نصب بإسقاط الخافض وهو الباء، بل وافق فيها مكياً[٢].

ومع هذا، فيبقى القرطبي في تفسيره متابعاً لابن عطية في كثير من المواطن أشار إليها أو لم يشر[٣].

الثاني: أبو حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، فإنه جعل "المحرر الوجيز" أحد مصادره المهمة التي اعتمد عليها في البحر المحيط، بل إنه أثنى عليه وقدمه على غيره من التفاسير. وقدم ابن عطية على غيره من المفسرين، فقد قال في مقدمة البحر عنه وعن الزمخشري: إنهما "أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير.."[٤]، وقال في موازنة بين كتابيهما: "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"[٥].

وترتب على عنايته بتفسير ابن عطية أمران:

١- أن اسم ابن عطية يعد من الأسماء التي تكررت كثيراً في البحر المحيط إذ تكرر فيه قرابة ألف وسبعمائة مرة [٦] وهو عدد كبير، وإن كان الغالب أنه يورده في نقل آراء تفسيرية، أو في المعاني.

٢- ظهور بعض المصنفات التي توازن بين آراء أبي حيان وابن عطية نظراً لما أثاره أبو حيان في البحر المحيط من انتقادات على ابن عطية منها: كتاب "الدر اللقيط من البحر المحيط" لتلميذه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم (ت ٧٤٩هـ)، وكتاب "المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري" لأبي زكريا يحيى بن محمد الشاوي (ت١٠٩٦هـ).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦ /١٣٥.

(٢) انظر: السابق ٨ /٢٠.

(٣) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن ٢٧٣.

(٤) البحر المحيط ٢٠/١.

(٥) السابق ٢١/١.

(٦) بالبحث الآلي في البحر المحيط.

وأما ما يتعلق بموقفه من مآخذ ابن عطية على مكي فيمكن جعلها في أربعة أنحاء:

- فأحياناً يؤيده ويبين وجه مأخذه وعلته.
- وأحياناً ينقل رأيه ومأخذه ساكتاً.
- وأحيانا ينقل رأي مكي ولا يورد رأي ابن عطية ومأخذه عليه، فيشعر بموافقته لما ذهب إليه مكي.
- وأحياناً نجده يرد مأخذ ابن عطية ويعترضه.

فمن الأول: وهو تأييده له وتوضيحه لرأيه نجد أبا حيان قد وافق ابن عطية في إحدى عشرة مسألة من هذه المسائل، من ذلك أن مكياً أعرب "محرراً" من قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] نعتاً لمفعول محذوف تقديره: غلاماً محررا [١]، فقال ابن عطية: "وفي هذا نظر"[٢]، ولم يوضح ما يريد لكن أبا حيان وضحه بقوله: "إن نذر في الآية أخذ مفعوله وهو "ما" وهو لا يتعدى إلى مفعول آخر"[٣].

ووافقه في إعراب قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣] فقد ذهب مكي إلى أن "حنيفاً" حال من المضمر المرفوع في "اتّبع" ثم قال: "ولا يحسن أن يكون حالاً من "إبراهيم"؛ لأنه مضاف إليه"[٤].وأخذ عليه ابن عطية هذا المنع فقال: "وليس كما قال؛ لأن الحال قد تعمل فيه حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال كقولك: مررت بزيد قائماً"[٥]. ووضح أبو حيان مأخذ ابن عطية بقوله: "وأما ما حكى[٦] عن مكي وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافاً إليه فليس على إطلاق هذا التعليل؛ لأنه إذا كان المضاف إليه في محل رفع أو نصب جازت الحال منه نحو: يعجبني قيام زيد مسرعاً، وشرب السويق ملتوتاً. وقال بعض النحاة ويجوز أيضاً ذلك إذا كان

---

(١) انظر: الهداية ٢/ ٩٩٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٢٠٠.

(٣) البحر المحيط ٣/ ١١٥.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٢٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٦) يريد ابن عطية.

المضاف جزءاً من المضاف إليه كقوله تعالى ﴿ونَزَعْنا مَا في صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخوَاناً﴾ أو كالجزء منه كقوله ﴿مِلّةَ إبْراهيمَ حَنِيفاً﴾"[1].

ومن الثاني: وهو نقله لرأي ابن عطية ومأخذه ساكتاً، فله موضع واحد وهو عندما أخذ ابن عطية على مكي إجازته أن تكون ﴿جِئْنا﴾ عامل في ﴿كَيفَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٤١].

وقال: " وذلك خطأ"[2]. فأورد أبو حيان مأخذه ولم يتعقبه[3].

ومن الثالث: وهو أن ينقل رأي مكي ولا يورد رأي ابن عطية ومأخذه عليه، أن مكيا ذهب إلى أن "فريضة" من قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١] منصوب على الحال المؤكِّدة لما قبلها من الفرض[4] الذي دلّ عليه قوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ إذ معناه: فرض. وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: " وقال مكي وغيره: هي حال مؤكدة، وذلك ضعيف"[5]، فأورد أبو حيان رأي مكي، ولم يورد مأخذ ابن عطية، ولم يتعقبه بشيء[6]، فدلّ على قبوله عنده.

ومن الرابع: وهو أن يردّ مأخذ ابن عطية ويعترضه أن أبا حيان تعقبه في إعراب قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] حيث قال مكي في ابتغاء وتثبيتاً: "كلاهما مفعول من أجله"[7].

وأخذ ابن عطية عليه هذا الإعراب فقال: "ولا يصح في "تثبيتاً" أنه مفعول من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت، وقال مكي في المشكل: كلاهما مفعول من أجله، وهو مردود بما بيناه"[8]. فنقل أبو حيان عبارة ابن عطية بلفظها، وتعقبه بأنه "يحتمل أن يكون "وتثبيتاً" مصدراً، ويقدر مفعوله بالثواب، وهو محذوف، وتقديره: وتثبيتاً وتحصيلا من

---

(١) البحر المحيط ٦/٦١١.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥٥٧.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٣/٦٤٤.

(٤) الهداية ٢/١٢٤٥.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٤٨٥.

(٦) انظر: البحر المحيط ٣/٥٤٤.

(٧) مشكل إعراب القرآن ١/١٤٠.

(٨) المحرر الوجيز ٢/٦٥.

أنفسهم الثواب على تلك النفقة، فيكون إذ ذاك تثبيت الثواب وتحصيله من الله حاملا لهم على الإنفاق في سبيل الله"[1]، وحينئذ يصح أن يكون "تثبيتا" مفعولا من أجله[2].

الثالث: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٦٧ هـ) صاحب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" وهو تلميذ أبي حيان الأندلسي، وقد تابع شيخه في منهجه كثيراً، ولذا كان من أكثر الأسماء وروداً في تفسيره اسم ابن عطية، فقد ورد اسمه قريباً من سبعين وتسعمائة موضع [3]، وهو عدد كبير، غير أن غالب ما يورده إنما هو في نقل آراء تفسيريه أو في المعاني، والسمين الحلبي يوافق ابن عطية في مأخذه على مكي أحياناً، ويخالفه أحياناً أخرى، وكان أكثر من شيخه أبي حيان في اعتراض مآخذ ابن عطية على مكي.

فعندما أخذ ابن عطية على مكي تجويزه إعراب مصدقاً الثاني من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٤٦] العطف على الأول، وجعله حالا من "عيسى" من ناحية أن فيه قلقاً من جهة اتساق المعاني[4]، واعترضه السمين بجعل "آتيناه" حالا من "عيسى" و"مصدقاً" حالا أيضاً منه وقال: "فلا أدري ما وجه القلق من الحيثية المذكورة"[5].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] ذهب مكي إلى إعراب المصدر المؤول بدلا من "ما"[6]، وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب[7]، أجاب السمين عن اعتراض ابن عطية بأن إعراب مكي مبني على تقدير زيادة "ما" ولا بد منه[8]، ومن ثم فلا وجه للاعتراض.

---

(١) البحر المحيط ٢/٦٦٦.

(٢) انظر: الدر المصون ٢/٥٩٠، والجواهر الحسان ١/٢١٤.

(٣) انظر: فهارس الدر المصون ١١/٣٥٢-٣٥٥

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٣/١٨٢.

(٥) الدر المصون ٤/٢٨٤.

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن ١/٢٧٧.

(٧) انظر: المحرر الوجيز ٣/٤٩٠.

(٨) انظر: الدر المصون ٥/٢١٥.

ومن موافقته لابن عطية تأييده لاعتراض ابن عطية في جعله "تطهرهم" من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] من صفة الصدقة، وأن قوله: "تزكيهم" حال من الضمير في "خذ" فقال ابن عطية: "وهذا مردود لمكان واو العطف"[١].

ووافقه كذلك في الاعتراض على منع مكي تعلق "في النار" بـ"توقدون"[٢] من قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧]، ويوضح السمين مأخذ ابن عطية على مكي في إعراب ﴿آية جنتان﴾ من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: ١٥]، فقد قال مكي في "جنتان": "إنها بدل من آية وهي اسم كان"[٣]، وضعف ابن عطية هذا الإعراب[٤] من غير بيان لوجه التضعيف، ولكن السمين الحلبي وضحه بأن العلة اختلاف البدل والمبدل منه إفرادا وتثنية وجمعا، إذ المقرر عند بعض النحويين أن بدل الكل من الكل يجب أن يطابق المبدل منه في الإفراد والتذكير وفروعهما[٥].

الرابع: **عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري** (ت ٨٧٥هـ)، وتفسيره المسمى "الجواهر الحسان" يعد مختصراً من تفسير ابن عطية ؛ لأنه يقول في المقدمة: "فإني قد جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين، فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة"[٦]، وقال في الخاتمة: "وقد استوعبت بحمد الله مهمات ابن عطية، وأسقطت كثيراً من التكرار..."[٧]. وهذا كاف في التدليل على متابعته له في المآخذ، لكنه -أيضا- كان أحياناً يرد مأخذ ابن عطية من ذلك أن ابن عطية أخذ على مكي إجازته إعراب "تثبيتاً" من قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٨، والدر المصون ٦/ ١١٥.
(٢) انظر: الدر المصون ٧/ ٤٠.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٨٥.
(٤) انظر: المحرر الوجيز ٧/ ١٧٤.
(٥) انظر: الدر المصون ٩/ ١٧٠.
(٦) الجواهر الحسان ١/ ٣.
(٧) السابق ٤/ ٤٥٤.

﴿ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] مفعول من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت [١]. فرد الثعالبي عليه مأخذه بأن يقدر مفعول التثبيت الثواب، فيكون المعنى وتحصيلا لأنفسهم الثواب على تلك النفقة، فيصح أن يكون مفعولا لأجله[٢]. والذي يظهر أنه ناقل لهذا الاعتراض لا أنه قاله من عند نفسه، إذ قد سبقه إليه أبو حيان[٣] والسمين الحلبي[٤]. وقد بين في مقدمته أنه إذا كان له رأي في مسألة فإنه يسبقه بقوله (ت) أي: قلت[٥]. ولم يفعل هذا هنا.

المبحث الثالث: تقويم المآخذ:

التقويم يشمل بيان ما للمآخذ وما عليها.

ومما يذكر لابن عطية في مآخذه على مكي أمور:

- منها أنه لم يكن متعصباً أو متحاملاً عليه، وإنما يقصد المشاركة في نفي الخطأ عن القرآن وتفسيره، وإبراز الرأي الراجح عنده. فلا تجد في عبارته ثلباً أو تعرضاً لشخص مكي وإنما ينقد نقله أو قوله أو اختياره.
- ومن مميزات مآخذه أنه عني بربط الإعراب بالمعنى والتفسير، فما ناقض التفسير أو عارضه أو لم يكن مقبولا في معنى الآية فإنه يعترضه، فمثلا يقول "وحكى مكي أن تكون "تطهرهم" من صفة الصدقة، وقوله: "وتزكيهم" حالا من الضمير في "خذ"، قال أبو محمد: وهذا مردود؛ لمكان واو العطف؛ لأن ذلك يتقدر: خذ من أموالهم صدقة مطهرة ومزكياً بها، وهذ فاسد المعنى، ولو لم يكن في الكلام واو العطف جاز"[٦]. وعلى هذا الأساس بنى متابعوه من المفسرين غالب اختياراتهم الإعرابية، فمثلا أخذ ابن عطية على مكي إعراب المصدر المؤول من "أن" وصلتها بدلاً من "ما" في قوله ﴿ألا تشركوا﴾ بقوله: "والمعنى يبطله فتأمله"[٧]. وبين هذا الوجه أبو حيان موافقاً له

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٢/٦٥.
(٢) انظر: الجواهر الحسان ١/٢١٤.
(٣) انظر: البحر المحيط ٢/٦٦٦.
(٤) انظر: الدر المصون ٢/٥٩٠.
(٥) انظر: الجواهر الحسان ١/٣، ٤.
(٦) المحرر الوجيز ٤/٣٩٨.
(٧) المحرر الوجيز ٣/٤٩٠.

بأنه يؤدي إلى: "انحصار عموم المحرم في الإشراك إذ ما بعده من الأمر ليس داخلاً من المحرم، ولا بعد الأمر مما فيه لا يمكن ادّعاء زيادة "لا" فيه لظهور أن لا فيها للنهي"(١)

- ومنها أنه كان دقيقاً وأميناً في نقل أقوال مكي، فتراه ينص أحياناً على موطن المأخذ من كتابي مكي المشكل والهداية، فيقول: وقال في الهداية (٢)، أو وقال في المشكل(٣).
- ومنها أن شخصية ابن عطية واضحة عند عرض الآراء، فهو في كتابه كله يذكر الآراء ويناقش أصحابها فيما لا يوافق عليه، وما المآخذ إلا صورة ومثال تدل على ذلك.

إلا أنه يلاحظ على مآخذ ابن عطية:

- أنه في الغالب لا يبين وجه المأخذ، فهو يقول: "وهذا خطأ" أو "ضعيف" أو "وهذا يبعد" ولا يبين وجه كونه خطأ، أو ضعيفاً، أو بعيداً.
- وأبعد من هذا أنه يقول مثلاً: "وفي هذا نظر" وليس فيما سبق ولا ما يأتي ما يبين مراده.
- ومما يؤخذ عليه أن مكياً يذكر أكثر من رأي في المسألة، ثم ينقده ابن عطية في رأي من هذه الآراء المنقولة، وكان عليه أن يجعل المأخذ على قائله الأول لا على مكي، لأنه ناقل، وإن أخذه على مكي فيبين السبب وهو أنه نقل قولاً ضعيفاً ولم يبين ضعفه لا أنه قوله أو رأيه.

* * *

(١) البحر المحيط ٤/٢٣٤.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ٢/٥٥٧.
(٣) انظر: السابق ٢/٦٥.

القسم الثاني: مآخذ ابن عطية على مكي جمعاً ودراسة:

المسألة الأولى: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

أجاز مكي في المشكل [١] في قوله تعالى: ﴿الذي جَعَلَ﴾ عدة أوجه إعرابية منها أن يكون "الذي" في موضع نصب مفعول بـ"تتقون" أو على إضمار: أعني. وقال في الهداية: "لعلكم تتقون الذي جعل، فـ"الذي" في موضع نصب بـ"تتقون""[٢]

وأخذ ابن عطية على مكي إجازته أن يكون نصباً بإضمار أعني، أو مفعولا بـ" تتقون "، وحكم عليه بالضعف فقال: "وما ذكر مكي من إضمار: أعني، أو مفعول بـ" تتقون " فضعيف"[٣].

وللعلماء في موضع قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم﴾ من الإعراب احتمالان: إما أن يكون في موضع نصب، وإما أن يكون في موضع رفع.

أما احتمال كونه في موضع نصب ففيه خمسة توجيهات، وهي[٤]:

الأول: أنه مفعول بـ"أعني" محذوفاً، وقد ذكره جمع من العلماء منهم: النحاس، والزمخشري، وأبو البقاء العكبري، وغيرهم.

الثاني: أنه مفعول بـ"تتقون" وذكره النحاس، وأبو البقاء العكبري، والمنتجب الهمذاني، وابن أبي الربيع، وغيرهم.

الثالث: أنه نعت لـ"ربكم". ذكره النحاس، والزمخشري، وابن الأنباري.

الرابع: أنه بدل منه. ذكره العكبري، والمنتجب الهمذاني، وابن أبي الربيع.

---

(١) ٨٣/١.

(٢) الهداية ١٨٤/١.

(٣) المحرر الوجيز ١٤٤/١.

(٤) انظر هذه التوجيهات في: إعراب القرآن للنحاس ٩٨/١، والكشاف للزمخشري ٤٦/١، والبيان لابن الأنباري ٦٣/١، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢٣/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ٢٤٢/١، وتفسير ابن أبي الربيع ٣١٧/١، والبحر المحيط لأبي حيان ١٥٧/١-١٥٨، والدر المصون للسمين الحلبي ١٩١/١.

الخامس: أنه نعت النعت، أي: نعت الموصول الأول في الآية قبله وهي: ﴿الذي خَلَقَكُم﴾، وقد ذكره النحاس، والعكبري، والمنتجب الهمذاني.

أما احتمال كونه في موضع رفع ففيه توجيهان [1]:

الأول: أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي، وممن ذكره النحاس، والعكبري، وابن الأنباري، واختاره ابن أبي الربيع، وغيرهم.

الثاني: أنه مبتدأ وخبره ﴿فلا تَجْعَلُوا للهِ أندَاداً﴾، وقد ذكره ابن الأنباري، والمنتجب الهمذاني.

ولم يبين ابن عطية وجه تضعيفه للإعرابين، أما كونه منصوباً بـ"أعني" فقد أجازه غير واحد من المعربين سوى مكي كالنحاس، والزمخشري، والمنتجب الهمذاني، وأبي البقاء العكبري، وأبي حيان، والسمين الحلبي، بل إن السمين استظهر كونه منصوباً على القطع.

أما كونه منصوباً بـ"تتقون" فلعل ضعفه من جهة المعنى، لأنه ليس المعنى على: اعبدوا ربكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض، بل المراد: لعلكم تتقون ما نهاكم عنه، ولهذا نجد أبا حيان يوافق ابن عطية في مأخذه على مكي قائلا: "وهو إعراب غث ينزه القرآن عن مثله"[2].

وبهذا يظهر لي أنه يمكن أن يقبل مأخذ ابن عطية على مكي في القول بنصب "الذي جعل" بـ"تتقون"، لضعفه الشديد من حيث المعنى، أما نصبه على إضمار: أعني فليس لتضعيفه وجه، لأن المعنى يقبله، والصناعة النحوية لا تأباه، يضاف إليه أن جماعة من النحويين قد ارتضوه.

المسألة الثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

أورد مكي في قوله تعالى: ﴿إلا مَنْ سَفِهَ نَفسَه﴾ عدة توجيهات منها قوله: "وقيل: التقدير: إلا من جهل قولَه نفسَه، ثم حذف المؤكّد وأقام التأكيد مقامه" [3].

---

(١) انظر: البيان لابن الأنباري ٦٣/١، وإملاء ما من به الرحمن ٢٣/١، والفريد للمنتجب الهمذاني ٢٤٣/١، وتفسير ابن أبي الربيع ٣١٧/١، والبحر المحيط ١٥٨/١، والدر المصون ١٩١/١.

(٢) البحر المحيط ١٥٨/١.

(٣) الهداية ٤٥٤/١.

وأخذ ابن عطية عليه هذا التقدير وقال: "وحكى مكي أن التقدير إلا من سفه قولَه نفسَه، على أن نفسه تأكيد حذف المؤكَّد وأقيم التوكيد مقامه، قياساً على النعت والمنعوت. قال القاضي أبو محمد: وهذا قول متحامل"[1].

قوله "متحامل" أي إما أنه مائل عن الصواب، لأنه يقال تحامل فلان أي: مال، وتحامل على فلان أي: جار ولم يعدل. وإما أن "متحامل" بمعنى متكلَّف؛ لأنه يقال: تحاملتُ على نفسي، إذا تكلفت الشيء على مشقة[2]. وكلاهما محتمل؛ لأنه إما أن إعرابها هذا الإعراب قولٌ قد حِيد به وأميل عن الصواب، وإما أن إعرابها هذا الإعراب قول متكلَّف فيه.

وما أخذه ابن عطية على مكي هو أحد خمسة أوجه قيلت في قوله " نفسه " من الآية [3]:

الثاني: أن نفسه منصوب على التمييز على قول بعض الكوفيين في جواز مجيء التمييز معرفة. وقد نص عليه الفراء.

الثالث: أنه مفعول به لكون "سفه" يتعدى بنفسه كسفّه المضعف، وهو المختار عند الزمخشري. أو لأنه ضمن معنى ما يتعدى بنفسه كـ"جهل" عند الزجاج، أو "أهلَك" عند أبي عبيدة.

الرابع: أنه منصوب على التشبيه بالمفعول.

الخامس: أنه منصوب على إسقاط حرف الجر، أي: سفه في نفسه.

وأصل مأخذ ابن عطية مسألة حذف المؤكَّد وإقامة التوكيد مقامه، نحو: الذي ضربت نفسه زيدٌ، أي: ضربته نفسه، وهي مسألة خلافية [4]:

---

(1) المحرر الوجيز ١/٣٥٤.

(2) انظر المعنيين في (حمل) في: الصحاح ٤/١٦٧٨، واللسان ٢/١٠٠٢، ١٠٠٥.

(3) انظر الآراء والتوجيهات في: معاني القرآن للفراء ١/٧٩، ومجاز القرآن ١/٥٦، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٠٩-٢١١، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٣، مشكل إعراب القرآن ١/١١١، والكشاف ١/٩٥، وكشف المشكلات للباقولي ١/١٠١، والتفسير البسيط ٣/٣٢٩-٣٣١، وإملاء العكبري ١/٦٤، والبحر المحيط ١/٦٢٨.
وهناك وجه سادس لا يلتفت إليه، حكاه الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل ونقله عنه السمين الحلبي وهو أنه توكيد لـ"مَن سفه«؛ لأنه في محل نصب على الاستثناء. انظر: الدر المصون ٢/١٢٢، ولن ألتفت إلى التوجيهات التي يذكرها الكرماني هذا؛ لأنه يعتمد على الغرائب والعجائب مما لم يلتفت له العلماء.

(4) انظر المسألة والآراء في: الكتاب ٢/٦٢، والمسائل البصريات ٢/٩١٨، و شرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٩٨، و الارتشاف ٤/١٩٥٣، شرح التسهيل للمرادي (القسم النحوي) ٧٨١، والدر المصون ٢/١٢٢، وهمع الهوامع ٥/٢٠٥.

منعها الأخفش، وتبعه أبو علي الفارسي، وابن جني، والشلوبين، وابن مالك، وأبو حيان، والسمين الحلبي، ونُسِبَ المنع للبصريين [1].

وأجازها الخليل فيما نقله عنه سيبويه في الكتاب [2]، حيث أجاز في نحو: مررت بزيد وأتاني أخوه أنفسهما، بأن أنفسهما يُرفع بتقدير: هما صاحباي أنفسهما، ووافقه على هذا المازني وابن طاهر وغيرهما [3].

وواضح أن مأخذ ابن عطية مبني على اختياره منع حذف المؤكد وإقامة التوكيد مقامه، وإن كان لمكي سلفٌ من الأئمة فيما ذهب إليه إلا أن الذي ظهر لي أن مأخذ ابن عطية هنا هو الصحيح، لأمور:

١- أن المؤكد مذكور لتقوية المؤكد وتبيين كونه مراداً به الحقيقة لا المجاز، والاستغناء عنه بالمؤكد بمنزلة الاستغناء بعلامة على معنى شيء غير مذكور كالاستغناء بحرف التعريف عن المعرف، وبعلامة التأنيث عن المؤنث [4].

٢- أن في تقدير الخليل حذف كثير: فيه تقدير مبتدأ ومضاف ومضاف إليه.

٣- أن هذا الحذف المدعى، أي: حذف المتبوع وإبقاء تابعه، الأصل فيه حذف المنعوت وإبقاء نعته قائماً مقامه، وإنما جعل حذف المنعوت أصلاً؛ لكثرته وكونه مجمعاً على صحة استعماله، ومع هذا لا يستعمل إلا والعامل في المنعوت المحذوف موجود، وما مثّل به الخليل من حذف المذكور فالعامل فيه محذوف وإجازته تستلزم مخالفة نظيره فيما هو أصل أو كالأصل، وإجازة مثله تحتاج إلى سماع عن العرب [5].

المسألة الثالثة: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال مكي في إعراب الآية: "قوله ﴿حلالا طيبا﴾ هو نعت لمفعول محذوف، أي: كلوا شيئاً حلالاً طيباً من المأكول الذي في الأرض" [6].

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية ٣/١١٨٠.

(٢) الكتاب ٢/٦٠

(٣) انظر: الارتشاف ٣/١٩٥٣.

(٤) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٩٨.

(٥) انظر: تمهيد القواعد ٧/٣٢٩٩-٣٣٠٠.

(٦) مشكل إعراب القرآن ١/١١٧.

وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: " وقال مكي: نعت لمفعول محذوف، تقديره: شيئاً حلالاً، قال القاضي أبو محمد: وهذا يبعد "[1].

وللعلماء في إعراب " حلالاً " من قوله تعالى: ﴿حلالاً طيباً﴾ عدة توجيهات إعرابية، وهي[2]:

الأول: أن يكون " حلالاً " صفة لمفعول محذوف، وتقديره: شيئاً أو رزقاً حلالا، وهذا الوجه هو الذي ذكره مكي، وسبقه إليه ابن النحاس، وقال به ابن جزي الكلبي.

الثاني: أن يكون " حلالاً " مفعول بـ " كلوا " . و" مِن " فيها إما أن تتعلق بـ " كلوا " فيكون معناها ابتداء الغاية، وإما أن تتعلق بمحذوف على أنها حال من " حلالا " وذلك أنها في الأصل صفة له، فلما قدمت عليه انتصبت حالا، و" من " معناها التبعيض وقد أورده جمع من العلماء منهم الزمخشري، والواحدي، وأبو حيان.

الثالث: أن يكون " حلالاً " منصوباً على الحالية من " ما " ، وهي بمعنى الذي أي: كلوا من الذي في الأرض حال كونه حلالاً، وممن ذكره الزمخشري.

الرابع: أن ينتصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي: أكلاً حلالا، ويكون مفعول " كلوا " محذوفاً، ويكون ما في الأرض صفة لذلك المحذوف وقد أورده النحاس، و العكبري.

الخامس: أن يكون " حلالا " حالا من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع صلة وهو العائد على " ما " ، ذكره النسفي، والسمين الحلبي.

واستبعد ابن عطية ما ذهب إليه مكي من أنّ " حلالاً " صفة لمفعول محذوف، ولم يبين وجه بُعده، لكن أبا حيان بيّنه بأنه مما حذف فيه الموصوف وصفته غير خاصة؛ لأن الحلال يتصف به المأكول وغير المأكول، وإذا كانت الصفة هكذا لم يجز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه[3].

---

(1) المحرر الوجيز ١/٤٠٦.

(2) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٢٧٨، والكشاف ١/١٠٦، والتفسير البسيط ٣/٤٨٢، والبيان لابن الأنباري ١/١٣٥-١٣٦، وإملاء ما من به الرحمن ١/٧٤-٧٥، والفريد في إعراب القرآن ١/٤٠٤، والتسهيل لابن جزي ١/٦٨، والبحر المحيط ٢/٩٩، الدر المصون ٢/٢٢١-٢٢٢، وتفسير النسفي ١/٨٧، وإعراب القرآن لزكريا الأنصاري ٩١.

(3) انظر: البحر المحيط ٢/٩٩.

ومسألة حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه يشترط لها الجمهور شروطاً، منها: أن يكون الوصف اسماً خاصاً بجنس الموصوف [1]، نحو مررت بكاتب وحائض، أما إذا كان غير خاص بجنس الموصوف فلا يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إلا في ضرورة الشعر، نحو قول الشاعر:

وقُصْرَى شَنَجِ الأنْسا ... ءِ نبَّاحٍ من الشُّعْبِ [2]

فشَنَجٌ صفة لمحذوف، والتقدير: وقُصْرى بثورٍ شنج الأنساء، و(شنج الأنساء) ليس خاصاً ببقر الوحش، بل قد يوصف به الفرس والغزال.

والذي يظهر لي صحة مأخذ ابن عطية في الآية؛ لأن الصفة المذكورة وهي "حلالا" ليست خاصة بالموصوف المقدر وهو: شيئا أو رزقا، وليس هناك قرينة تدل على تخصصه به، ومن ثَمَّ فهذا التقدير بعيد كما ذكر ابن عطية، يضاف إليه أن هناك توجيهات لـ"حلالا" أقرب مما ذكره مكي من حيث الصناعة والمعنى، فلا يصار إلى ما أورده ؛ لأن القرآن يحمل على أولى الأوجه وأقواها.

المسألة الرابعة: قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

قال مكي عند تفسير هذه الآية: "قوله: ﴿ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً﴾ كلاهما مفعول من أجله" [3].

وأخذ ابن عطية عليه هذا الإعراب فقال: "ولا يصح في "تثبيتاً" أنه مفعول من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت، وقال مكي في المشكل: كلاهما مفعول من أجله، وهو مردود بما بيناه" [4].

---

(١) انظر المسألة في: المقرب ١/٢٢٧–٢٢٨، والارتشاف ٤/١٩٣٨، والمقاصد الشافية ٤/٦٨٩، وهمع الهوامع ٥/١٨٦.

(٢) من الهزج، لأبي دواد الإيادي، انظر: شعره ٢٨٨. و(القُصْرى) آخر ضلوع الفرس والبقر والظبي، من جنبه إلى موضع الخصر. و(الشَّنَجُ): تقبض الجلد واليد والأصابع. و(الأنساء) جمع نسا، وهو عرق من الورك إلى الكعب. يقال: فرس شَنِج النسا: متقبضه والمراد من(شنج الأنساء) أن هذا البقر أو الظبي أو الفرس موصوف بهذه الصفة الحسنة؛ لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه فكان أقوى له وأشدّ. انظر: الاقتضاب لابن السيد ٣/١١٤، والانتخاب لأبي جعفر الجذامي٢/٣٨٤، واللسان (شنج) ٤/٢٣٣٧، و(نسا) ٧/٤٤١٥، والدرر اللوامع٦/٢٠–٢١.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/١٤٠.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٦٥.

ووافق ابنَ عطية في منع كون تثبيتاً مفعولا لأجله المنتجب الهمذاني [1]، وابن جزي الكلبي الذي وضحه بقوله: "ولايصح في " تثبيتاً " أن يكون مفعولا من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت، فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ابتغاء " [2] يريد أن استبعاد كون " تثبيتاً " مفعولا لأجله أدى إلى استبعاده في "ابتغاء" لأنه معطوف عليه.

وما ذكره مكي هو أحد وجهين [3] قيلا في كلمة " تثبيتا " في الآية، وممن قال به: أبو جعفر النحاس، وأبو البقاء العكبري، واختاره ابن الأنباري، والثعالبي، والنسفي.

والثاني: أن " ابتغاء " حال و" تثبيتا " معطوف عليه، والتقدير: مبتغين ومثبتين من أنفسهم [4]. وهو اختيار ابن عطية، والمنتجب الهمذاني، وابن جزي، وابن عاشور.

والذي يظهر لي أن مأخذ ابن عطية لا يقبل من كل وجه، لما يأتي:

١/ أن ما ذهب إليه مكي اختاره بعض من النحويين، وأجازه آخرون، وقد مضى ذكرهم.

٢/ أن ما ذكره ابن عطية تعليلا لمنع إعراب " ابتغاء " مفعولا لأجله، يجاب عنه من وجهين:

الأول: أن يقدر " وتثبيتا " مصدرا، ويقدر مفعوله بالثواب وهو محذوف، تقديره: تثبيتا وتحصيلا من أنفسهم الثواب على تلك النفقة، فيكون تثبيت الثواب وتحصيله من الله حاملا لهم على النفقة، وحينئذ يصح أن يكون " تثبيتا " مفعولا من أجله [5].

الثاني: أن يحمل التثبيت على أنه من أفعال القلوب؛ لأنه يصدر عنها فهو يحذو بصاحب القلب إلى التثبيت [6]، ويدل عليه تفسير عدد من السلف لها بما يفيد ذلك، كقول قتادة " وتثبيتا من أنفسهم " أي: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي أي: تصديقاً من أنفسهم [7].

---

(١) انظر: الفريد ١/٥٠٩.

(٢) التسهيل ١/٩٢.

(٣) انظر الوجهين والآراء في: إعراب القرآن للنحاس ١/٣٣٥، والبيان لابن الأنباري ١/١٧٥، وإملاء ما من به الرحمن ١/١١٢، والفريد للمنتجب الهمذاني ١/٥٠٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٠٤، والبحر المحيط ٢/٦٦٦، والدر المصون ٢/٥٨٩، وتفسير النسفي ١/١٣٤، والجواهر الحسان للثعالبي ١/٢١٤، والتحرير والتنوير ٣/٥١.

(٤) التبيان ١/٢١٥، الفريد ١/٥٠٩، عناية القاضي وكفاية الراضي ٢/٣٤٢، روح المعاني ٣/٣٥، ٣٦، حاشية الجمل ١/٢٢٠.

(٥) انظر: البحر المحيط ٢/٦٦٦، والدر المصون ٢/٥٩٠، والجواهر الحسان ١/٢١٤.

(٦) انظر: التفسير الكبير ٧/٦٠، إعراب القرآن للدرويش ١/٤١٠.

(٧) انظر: الهداية ١/٨٨٧، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٠٤.

المسألة الخامسة: في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

قال مكي في الهداية: "ونصب محرراً على أنه نعت لمفعول محذوف، أي: غلاماً محرراً" [١].

وقال في المشكل: "قوله: ﴿محرراً﴾ حال من "ما"، وقيل: تقديره: غلاماً محرراً، أي: خالصاً لك" [٢].

أخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: "قال مكي: فمن نصبه على النعت لمفعول محذوف يقدره: غلاماً محرراً، وفي هذا نظر!" [٣].

ووجه مأخذ ابن عطية ـ كما بينه أبو حيان [٤] ـ أن "نذر" في الآية أخذ مفعوله وهو "ما" وهو لا يتعدى إلى مفعول آخر، ووافقهما السمين الحلبي في هذا المأخذ [٥].

وما أجازه مكي هو أحد أربعة أوجه إعرابية في الآية [٦]، وممن ذكره: النحاس، وابن الأنباري، وأبو البقاء العكبري، والهمذاني.

الوجه الثاني: أنه حال من الموصول في ﴿ما في بطني﴾ والعامل فيه "نذرت" وإليه ذهب الأخفش في معانيه، واختاره القرطبي، والنحاس، وابن عطية، والواحدي.

الوجه الثالث: أنه حال من الضمير المرفوع بالجار والمجرور في "في بطني" والعامل فيه الاستقرار، ذكره الهمذاني، وأبو السعود.

الوجه الرابع: أنه منصوب على المصدرية، إما على أن في الكلام حذف مضاف تقديره: نذرت لك ما في بكني نذرَ تحرير، وإما أن يكون مما انتصب على المعنى؛ لأن معنى نذرت لك: حررت لك ما في بطني تحريراً، ذكره أبو حيان والسمين الحلبي.

ومأخذ ابن عطية وجيه جداً، لأمور:

١. أن التفسير وسياق الكلام لا يساعد على ما ذكره مكي من وجه إعرابي؛ إذ: "سبب قول امرأت عمران هذا أنها كانت كبيرة لا تلد، وكانوا أهل بيت عند الله بمكان، وأنها كانت

---

(١) الهداية ٢/ ٩٩٥.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/ ١٥٦.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٢٠٠.

(٤) انظر: البحر المحيط ٣/ ١١٥.

(٥) انظر: الدر المصون ٣/ ١٣١.

(٦) انظر هذه الأوجه في: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢١٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٦٩، والمحرر الوجيز ٢/ ٢٠٠، والتفسير البسيط ٥/ ١٩٣، والبيان لابن الأنباري ١/ ٢٠٠، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣١، والفريد للهمذاني ١/ ٥٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ٤٣، والبحر المحيط ٣/ ١١٥، والدر المصون ٣/ ١٣٠-١٣١، وتفسير أبي السعود ١/ ١٩٩.

تحت شجرة فبصرت بطائر يَزُّقُ فرخاً فتحركت نفسها بذلك، ودعت ربها أن يهب لها ولداً، ونذرت إن ولدت أن تجعل ولدها محرراً أي: عتيقاً خالصاً لله تعالى خادماً للكنيسة حبيساً عليها"[1].

٢. أن القول بكونه نعتاً لمفعول محذوف يؤدي إلى القول بمسألة حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه، وهذه لا تجوز إلا إذا كان الوصف اسماً خاصاً بجنس الموصوف نحو مررت بكاتب، وقد سبق بيانها في المسألة الثالثة، أو كان الدليل على المحذوف موجوداً.

٣ـ أن عدداً من العلماء دفع الإعراب الذي أورده مكي، منهم: النحاس[2]، والقرطبي[3]، وأبو حيان[4]، والسمين الحلبي[5].

المسألة السادسة: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال مكي: "واللام في "لَمَا" لام تأكيد، و"ما" بمعنى "الذي" في موضع رفع بالابتداء، و"من" لبيان الجنس، والهاء محذوفة من "آتيناكم". و﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الخبر، هذا مذهب الخليل، وسيبويه"[6].

وأخذ عليه ابن عطية هذه النسبة للخليل وسيبويه فقال: "وحكى المهدوي ومكي عن سيبويه والخليل، أن خبر الابتداء فيمن جعل "ما" ابتداء على قراءة من فتح اللام، هو في قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، ولا أعرف من أين حكياه؟ لأنه مفسد لمعنى الآية، لا يليق بسيبويه والخليل، وإنما الخبر في قوله: ﴿لتؤمنن﴾ كما قال أبو علي الفارسي، ومن جرى مجراه"[7].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٤٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن ١/ ١٦٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٤٣

(٤) انظر: البحر المحيط ٣/ ١١٥.

(٥) انظر: الدر المصون ٣/ ١٣١.

(٦) الهداية ٢/ ١٠٦١.

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٢٧٣.

ولتوضيح المأخذ لا بد من توطئة في إعراب الموضع المشكل:

اختلف العلماء في نوع "ما" في قراءة من فتح اللام من الآية، فذهب بعضهم إلى أنها شرطية، وذهب بعضهم إلى أنها موصولة في موضع رفع بالابتداء.

ومن أجاز في "ما" أن تكون اسماً موصولاً اختلفوا في خبرها على قولين [١]:

أحدهما: أنه ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، و"من" زائدة فيها، وممن أجازه الأخفش، والنحاس، وابن الأنباري، وأبو البقاء، والهمذاني.

الثاني: أنه ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ على أنه جواب قسم محذوف تقديره: والله لتؤمنُن به، فناب عن الخبر، أو أن المجموع هو الخبر [٢]، وهو ما ذهب إليه الأخفش، والفارسي، وغيرهما.

وقبل أن أبين الراجح من الرأيين لابد أن أورد نص سيبويه الذي اختلف فيه.

قال سيبويه في "باب الأفعال في القسم": "وسألته عن قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ فقال: "ما" ههنا بمنزلة الذي، ودخلتها اللام كما دخلت على "إن" حين قلت: والله لَئِن فعلتَ لأفْعلنّ، واللام التي في "ما" كهذه التي في "إنْ"، واللام التي في الفعل كهذه التي في الفعل هنا..."[٣] ثم استمر في تفسير جواب القسم.

ومأخذ ابن عطية وجيه، لأمور:

١- أن قول الخليل "ما بمنزلة الذي" لايريد أنّ "ما" موصولة، بل يريد أنها اسم كما أن الذي اسم وليست حرفاً [٤]، وهذا التفسير هو الذي رجحه أبو علي الفارسي [٥] في فهم كلامه.

٢- أن إجازة كون "من كتاب" خبراً يؤدي إلى الإخبار عن الموصول قبل تمام صلته، لأن قوله: "ثم جاءكم" عطف على الصلة، والجمهور يمنعون أن يُتبع الموصول بتابع كالعطف قبل استيفاء الصلة [٦].

---

(١) انظر القولين في: معاني القرآن للأخفش ٢٢٥/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٣٦/١، وإعراب القرآن للنحاس ٣٩١/١-٣٩٢، والتعليقة لأبي علي الفارسي ١٣٣/٢، والبيان لابن الأنباري ٢٠٩/١، وإملاء ما من به الرحمن ١٤١/١، والفريد ٥٩٣/١-٥٩٤.

(٢) وليس هو الخبر بنفسه، لأنه جملة جواب القسم مقترنة بالفاء فليس لها محل من الإعراب، ولو قيل هي الخبر لكانت مما له محل فيحدث التناقض. انظر: المغني ٥٢٣.

(٣) الكتاب ٣/ ١٠٧.

(٤) وحاصل مذهب سيبويه والخليل في "ما» في هذه الآية أنها شرطية. انظر: البحر المحيط ٢/ ٢٣٨.

(٥) انظر: الإغفال ٢/ ١٣٣، ١٣٦، والحجة ٣/ ٦٦.

(٦) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ١/ ١٥٨، والارتشاف ٢/ ١٠٤١.

٣- أنه نسب إلى الخليل وسيبويه أن العائد المجرور محذوف والتقدير: "لما آتيتكم به".مع أن الموصول غير مجرور، وهما لا يقولان بجوازه [١].

٤- أن المعنى بهذا التقدير: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم من جنس الكتاب والحكمة وهذا معنى فيه نظر [٢].

المسألة السابعة: في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ذهب مكي إلى إعراب قوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ حالاً [٣].

اعترضه ابن عطية قائلاً: "﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على الحال، كذا قال مكي، وإنما هو اسم نصب كما ينصب المصدر في موضع الحال تقديره: فرضاً، ولذلك جاز نصبه كما تقول: لك علي كذا وكذا حقاً واجباً، ولولا معنى المصدر الذي فيه، ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب، ولكان حقه الرفع" [٤]. فبيّن ابن عطية وجه مأخذه وهو أن "نصيبا" اسم فيه معنى المصدر، ولذا نصب كما ينصب المصدر الواقع موقع الحال. ولولا هذا المعنى لم يصح أن ينصب الاسم هنا، بل حقه أن يكون مرفوعا.

وللعلماء في قوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ موطن الاعتراض عدة أوجه إعرابية [٥]:

أحدها: أنه منصوب على الحال المؤكدة، وصاحبه الفاعل في "قل" و"كثر"، وهو ما ذكره مكي، وسبقه إليه الزجاج، وأورده أبو البقاء، والهمذاني، والسمين الحلبي، وغيرهم.

---

(١) انظر: المغني ٥٣٣.

(٢) أما الوجه الأظهر في الآية فهو أن تكون "ما" شرطية وليست موصولة، وهو ما ذهب إليه سيبويه والخليل والزجاج وأبو علي الفارسي، وهي منصوبة على أنها مفعول بالفعل بعدها، واللام قبلها موطئة للقسم، وهو: أخذ الله ميثاق، و "من" في قوله: (من كتاب) زائدة، وقوله: (ثم جاءكم) معطوف على (آتيتكم)، و (لتؤمنن) جواب: أخذ الله ميثاق النبيين، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. انظر: البحر المحيط ٢٣٧/٣، والدر المصون ٢٨٦/٣.

(٣) انظر: المشكل ١٩٠/١.

(٤) المحرر الوجيز ٢٧/٤.

(٥) انظر هذه الأوجه في: معاني القرآن للفراء ٢٥٧/١، ومعاني القرآن للأخفش ٢٤٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤٣٧/١، والتفسير البسيط ٣٣٩/٦، والكشاف ٢٤٩/١، وكشف المشكلات ٢٩٠/١، والبيان لابن الأنباري ٢٤٤/١، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١٦٨/١، والفريد ٥٩٥/١، والتسهيل ١٣١/١، والبحر المحيط ٥٢٥/٣، والدر المصون ٥٨٨/٣.

الثاني: أنه منصوب على القطع، وهو قول الكسائي، والزمخشري [1]، والعكبري، والهمذاني.

الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل، أي: أوجبت أو جعلت لهم نصيباً، وهو رأي ابن الأنباري، ونسب للأخفش.

الرابع: أنه منصوب على المصدر الصريح أي: نصبته، وهو قول الأخفش، وذكره السمين الحلبي.

الخامس: أنه منصوب على أنه مصدر مؤكد، وهو قول الفراء، واختاره الطبري، وابن جزي.

وما أخذه ابن عطية على مكي ضعيف، لأمرين:

١. عدم وجود مانع صناعي أو معنوي يمنع من إعراب "نصيباً" على الحال المؤكدة: فالحال هنا مؤكدة لصاحبها، وهو إما "نصيبٌ" وهو وإن كان نكرة إلا أنه تَخصصَ بالوصف أو بالعمل، وإما أن يكون صاحبها الفاعل في "قلَّ" أو "كثُرَ" وهو يعود على "نصيب" [2].

أما من حيث المعنى فإن المعنى: لِهؤلاءِ أنصباء على ما ذكرناها في حال الفرض [3].

٢. أن وجه اعتراض ابن عطية لمكي مبني – كما قال أبو حيان[4]– على تعليل مركب من قول الزجاج والفراء، فالزجاج يقول إنه منصوب على الحال المؤكدة والفراء يقول إنه منصوب على المصدر المؤكد، وهما قولان متباينان؛ لأن الانتصاب على الحال مباين للانتصاب على المصدر المؤكِّد، ومخالف له.

المسألة الثامنة: في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١].

---

(١) قال الزمخشري: "منصوب على الاختصاص بمعنى أعني" (الكشاف ١/ ٢٤٩) وتعقبه أبو حيان فقال: "فإن عنى بالاختصاص ما اصطلح عليه النحويون فهو مردود بكونه نكرة، والمنصوب على الاختصاص نصوا على أنه لا يكون نكرة" (البحر المحيط ٣/ ٥٢٥) قلت: والظاهر أنه يريد القطع؛ لتقديره للمحذوف بأعني.

(٢) انظر: الدر المصون ٣/ ٣٨٩.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٥.

(٤) انظر: البحر المحيط ٢/ ٥٢٥.

ذهب مكي إلى إعراب قوله: ﴿فَرِيضَةً﴾ على أنه منصوب على الحال المؤكِّدة لما قبلها من الفرض[1] الذي دلَّ عليه قوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ إذ معناه: فرض.

وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: "و﴿فَرِيضَةً﴾ نصب على المصدر المؤكِّد، إذ معنى يوصيكم: يفرض عليكم، وقال مكي وغيره: هي حال مؤكدة، وذلك ضعيف"[2].

ووافقه على هذا المأخذ القرطبي[3].

ولم يبينا وجه الضعف، ولعل وجه ضعفه أن الحال المؤكدة إما أن تكون مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وأرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾، أو مؤكدة لعاملها معنى فقط نحو: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً﴾، أو مؤكدة لصاحبها نحو: ﴿لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهمْ جَمِيعاً﴾ أو مؤكدة لمضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدتين نحو: زيدٌ أبوك عطوفاً.

و﴿فَرِيضَةً﴾ لا تصلح أن تكون حالاً مؤكدة لعاملها وهو يوصيكم؛ لأنها ليست من معناها، ولا تصلح أن تكون مؤكدة لمضمون الجملة؛ لأن الجملة قبلها لم تنطبق عليها الشروط وهي أن تكون جملة من اسمين معرفتين جامدتين.

وقد ذُكِر في الآية عدة أوجه إعرابية، وهي[4]:

الأول: ما ذكره مكي من أن ﴿فَرِيضَةً﴾ منصوبة على الحال المؤكِّدة لما قبلها، وممن قال به أيضاً الزجاج، والهمذاني، وذكره الألوسي وغيره.

الثاني: أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة؛ لأن معنى يوصيكم: يفرض عليكم، ذكره غير واحد منهم النحاس، والواحدي، والهمذاني، واستظهره السمين الحلبي.

الثالث: أنه منصوب بفعل محذوف تقديره: فَرَضَ الله ذلك فريضة، وهذا رأي الأخفش واختاره ابن الأنباري، وأبو البقاء، وزكريا الأنصاري، وكلام الزمخشري يمكن حمله على هذا الوجه فإنه قال: "فريضة" نصبت على المصدر المؤكد أي: فرض ذلك فرضا"[5].

---

(١) الهداية ٢/٥ ١٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٥ ٤٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٥٠.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥٠. ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٥. وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٤٠. والتفسير البسيط ٦/ ٣٦٦. والكشاف ١/ ٢٥٤. والبيان ١/ ٢٤٥. وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٦٩. والفريد للهمذاني ١/ ٧٠٠. والبحر المحيط ٣/ ٥٤٤. والدر المصون ٣/ ٦٠٦. وتفسير النسفي ١/ ٢١٢. وروح المعاني ٢/ ٤٣٧.

(٥) الكشاف ١/ ٢٥٤.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية في هذا الإعراب غير متجه؛ لأمور:

١. أن رأي مكي قال به جمع من المعربين والمفسرين، بل إن أبا حيان والسمين الحلبي أوردا رأيه ولم يتعقباه بشيء، مما يشعر بقبوله.

٢ـ أن من أعربها حالاً يعدها اسم مفعول، وهي مؤكِّدة عنده لمضمون الجملة قبلها؛ لأن معناه: لهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضاً. هكذا قدّره الزجاج والهمذاني وبه يصح المعنى والإعراب.

٣ـ أن القول بإعرابه مصدراً مؤكداً يرد عليه ما يرد على القول بأنه حال، وذلك أن فريضة الأقرب أنها بمعنى اسم المفعول لا المصدر، كما ذكر الألوسي [١]، ولو قيل: إنها مصدر فالمصدر إن أضيف إلى فاعله أو مفعوله أو تعلق به وجب حذف فعله.

المسألة التاسعة: في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١].

قال مكي: " العامل في "كَيفَ" "جِئْنا". المعنى: فكيف يكون حالهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد على أعمالهم، وجئنا بك يا محمد على أمتك شهيداً" [٢].

وقال ابن عطية مبيناً وجه الإعراب في الآية: "و"كَيفَ" في موضع نصب مفعول مقدم بفعل تقديره في آخر الآية: ترى حالهم، أو يكونون، أو نحوه، وقال مكي في الهداية: "جِئْنا" عامل في "كَيفَ" وذلك خطأ" [٣].

وأورد أبو حيان اعتراض ابن عطية ولم يتعقبه [٤].

وللمعربين والمفسرين في إعراب "كَيفَ" في الآية قولان [٥]:

القول الأول: أنها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: كيف يكون حالهم أو صنيعهم، وإليه ذهب الزجاج، والهمذاني.

---

(١) روح المعاني ٢/٤٣٧.

(٢) الهداية ٢/١٣٣٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٥٥٧.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٣/٦٤٤.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٥٣، وإعراب القرآن للنحاس ١/٤٥٦، والتفسير البسيط ٦/٥٢٠، وإملاء ما من به الرحمن ١/١٨٠، والفريد للهمذاني ١/٧٣٧، والجامع لأحكام القرآن ٥/١٢٩، والبحر المحيط ٣/٦٤٤، والدر المصون ٣/٦٨٣، وإعراب القرآن لزكريا الأنصاري ١٣٩.

القول الثاني: أنه في محل نصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال، وإليه ذهب القرطبي، وأورده النحاس، والواحدي، وأبو حيان.

ومن ثم فمأخذ ابن عطية متجه هنا جداً، لثلاثة أمور:

الأول: أن ما قاله مكي لم يقل به أحد من المعربين أو المفسرين، بل وصفه السمين الحلبي بأنه غلط فاحش [1].

الثاني: أن ما في سياق "إذا" الشرطية لا يعمل فيما قبلها [2].

الثالث: أن معنى الآية: ليس على السؤال عن كيفية مجيئنا من كل أمة بشهيد، وإنما تنبيه عن الحالة التي يحضرونها للجزاء ويشهد عليهم فيها، والتقدير: إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً كيف يصنعون، إن قيل إنها في موضع نصب. أو: كيف حال هؤلاء السابق ذكرهم، إن قيل إنها في موضع رفع [3].

المسألة العاشرة: في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٤٦].

ذهب مكي إلى تجويز إعراب "مُصدِّقاً" الثاني معطوفاً على الأول، وجعله حالاً من "عِيسَى". فقال: "قوله: "مُصدِّقاً" الأول حال، و"مُصدِّقاً" الثاني إن شئت عطفته على الأول حال من "عِيسَى" أيضاً على التأكيد، وإن شئت جعلته حالاً من "الإنجِيل" [4].

وأخذ ابن عطية على مكي تجويزه إعراب "مُصدِّقاً" الثانية حالاً معطوفة على "مُصدِّقاً" الأولى، وكلاهما حال من "عِيسَى"، وفي مجيء الفصل بينهما بقوله تعالى: "وآتيناهُ الإنجِيلَ" فقال: "وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني" [5].

وللعلماء في إعراب "مُصدِّقاً" الثانية من الآية وجهان [6]:

---

(١) انظر: الدر المصون ٣/ ٦٨٣.

(٢) انظر: توضيح المقاصد للمرادي ١/ ٢٦٢.

(٣) انظر: البحر المحيط ٣/ ٦٤٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٢٨.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٨٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣، والمحرر الوجيز ٣/ ١٨٢، وكشف المشكلات ١/ ٣٥٤، والبيان لابن الأنباري ١/ ٢٩٣، ومجمع البيان ٣/ ٣١٠، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٢١٧، والفريد ٢/ ٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٣٥.

الأول: أنها معطوفة على الأولى حالاً من "عِيسَى" على سبيل التأكيد، وهو ما ذكره مكي، وممن أجازه الفراء حيث قال: "فإن شئت جَعلتَ "مُصدِّقاً" من صفة "عِيسى" وإن شئت من صفة "الإنجيل""[1]، وأجازه أيضاً النحاس، وابن الأنباري، وأبو البقاء، والهمذاني، والسمين الحلبي.

الثاني: أن "مُصدِّقاً" حال من "الإنجيل" ويكون التقدير: وآتيناه الإنجيل حالة كونه فيه هدى ونور، سواء كان متعلق الظرف "فيهِ" هو الحال وحده، أو كان ﴿فِيهِ هُدى وَنُورٌ﴾ جملة في موضع الحال، وممن أجاز هذا الوجه النحاس، والباقولي، وابن الأنباري، وأبو البقاء، والهمذاني، واختاره ابن عطية والطبرسي.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية ليس متجهاً لأمرين:

١. أن ما حكاه مكي جوزه غيره من العلماء كما سبق.

٢. أنه لا يكون ثمة قلق إذا جعل "وآتيناهُ" حالاً من "عِيسى" أيضاً، وكان قوله: "مُصدِّقاً" حالاً أيضاً، وبهذا رَد السمين اعتراض ابن عطية فقال: "فلا أدري ما وجه القلق من الحيثية المذكورة"[2].

المسألة الحادية عشرة: قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

ذهب مكي إلى إعراب المصدر المؤول من "أن" وصلتها بدلاً من "ما" في الآية فقال: "قوله ﴿ألاّ تُشرِكُوا﴾ "أن" في موضع نصب بدل من "ما" في قوله: ﴿أتلُ ما﴾"[3].

وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب بقوله: "و "أن" في قوله: ﴿ألاّ تُشرِكُوا﴾ يصح أن تكون في موضع رفع بالابتداء، التقدير: الأمر أن، أو ذلك أن، ويصح أن تكون في موضع نصب على البدل من "ما" قاله مكي وغيره. قال القاضي أبو محمد: والمعنى يبطله فتأمله"[4].

ووجه منع ابن عطية -إذا لم تقدَّر "لا" صلة- أنّ المحرّمَ سيكون ترك الإشراك، وسيكون فيه عطف الطلب على الخبر وهو ممتنع، وقد وافق الزمخشريُّ[5] ابن عطية في تضعيف هذا الوجه.

---

(١) معاني القرآن ٣١٢/١.

(٢) الدر المصون ٢٨٤/٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢٧٧/١، وانظر: الهداية ٢٢٣٧/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤٩٠/٣.

(٥) الكشاف ٤٨/٢.

والمعربون لهذه الآية مختلفون فيها، وحاصل ما ذكروه في "أن" رأيان[1]:

أحدهما: جعل "أن" مفسرة و"لا" ناهية، وهذا الرأي اختاره الفراء، و الزمخشري، وأبو السعود، وأورده الهمذاني، وأبو البقاء.

ثانيهما: أن "أن" مصدرية، وفيه وجهان:

الأول: الرفع وفيه ثلاثة توجيهات:

أن يكون "أن" وما في حيزها خبر لمبتدأ محذوف، بتقدير: المتلو ألا تشركوا، و"لا" نافية، والمحرّم أن تشركوا، أشار إلى معناه الطبري، وأجازه النحاس، وأبو البقاء، والهمذاني، واختاره الثعالبي.

أنها وما في حيزها في محل رفع على الابتداء والخبر الجار قبله، والتقدير: عليكم عدم الإشراك، وهو اختيار ابن الأنباري.

أنها في موضع رفع على الفاعلية بالجار قبلها، والتقدير: استقر عليكم عدم الإشراك.

الثاني: النصب، وفيه خمسة توجيهات:

١- النصب بفعل محذوف تقديره: أوصيكم، حكاه الزجاج، والهمذاني.

٢- النصب على الإغراء، والعامل فيه "عليكم" ويكون الوقف على ما قبل "عليكم". أجازه أبو البقاء، والهمذاني، وأبو السعود.

٣- النصب على البدل من العائد المحذوف في "حرّم" إذ التقدير: ما حرمه عليكم. حكاه النحاس، وأبو البقاء، والهمذاني، والأنباري.

٤- النصب على حذف لام العلة، والتقدير: اتل ما حرّم ربكم عليكم لئلا تشركوا[2]. ذكره الزجاج.

٥- النصب على البدل من "ما". ذكره النحاس، وأبو البقاء، والأنباري وأبو السعود. وهو الوجه الذي حكاه مكي، واعترضه ابن عطية.

ومن هنا يظهر أن اعتراض ابن عطية غير متجه؛ لأمور:

---

(١) انظر الرأيين وأوجههما في: معاني القرآن للفراء ٣٦٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٦/٢، والتفسير البسيط ٨ / ٥٢٢د، والكشاف ٤٨/٢، وكشف المشكلات ٤٤١/١، والبيان لابن الأنباري ٣٤٩/١، ومجمع البيان ٥٨٩/٤د، وإملاء ما من به الرحمن ٥٢٦/١د، والفريد ٢٤٨/٢، والدر المصون د / ٥٢١-٢١٨، والمغني لابن هشام ٣٣٠، وتفسير أبي السعود ٤٧٦/١، وتفسير الثعالبي ٥٦٧/١د.

(٢) ويجوز أن يكون في محل جر بهذا الحرف المحذوف.

١. أن ما حكاه مكي ذكره غيره كالنحاس وابن الأنباري، وإن لم ينبهوا على أن "لا" زائدة، قال السمين الحلبي بعد إيراده اعتراض ابن عطية لمكي: "لما ذكر مكي كونها بدلاً من (ما) لم ينبه على زيادة (لا) ولا بد منه"[١].

٢. أن القول بفساد المعنى في هذا الوجه قد أجاب عنه ابن جُزي بأن قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه: ما وصاكم به ربكم، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَلِكُم وصَّاكُم بِهِ﴾، فضمن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل وبوجوب وبندب... وإذا تقرر هذا فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم. ثم أبدل منه على وجه التفسير والبيان فقال: ألا تشركوا، أي: وصاكم أن لا تشركوا به شيئاً ووصاكم بالإحسان بالوالدين... فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك..."[٢].

٣. أن إشكال عطف الطلب على الخبر في الوجه الذي ذكره مكي يجاب عنه بثلاثة أمور:

أن عطف الطلب على الخبر قد صححه بعض النحويين، بل نسب لسيبويه نفسه[٣].

أن من أجازه حمل عليه آيات من كتاب الله عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وبشّر الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ عطفاً على ﴿أُعِدَت لِلكَافِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ فقد عطف ﴿ولا تكونن﴾ على ﴿أن أكون﴾، وورد عليه أبيات شعرية كثيرة منها قول الشاعر:

وإنّ شِفَائي عَبْرةٌ مُهَرَاقَةٌ ... وهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟[٤]

وقول الآخر:

تُناغي غَزالاً عِندَ بابِ ابنِ عامرٍ ... وكَحِّلْ أماقِيَكَ الحِسانَ بإثْمِدِ[٥]

---

(١) الدر المصون ٥ / ٢١٥.

(٢) التسهيل لابن جزي ٢/ ٢٥ (بتصرف).

(٣) انظر: الجنى الداني ٣٩٩، والمغني ٦٢٧، وموصل الطلاب ١٦٤، وشرح الأشموني ٣ /٩٢-٩٣.

(٤) من الطويل، لامرئ القيس من معلقته. وهو في ديوانه: ١٦٤ (رواية السكري ت: أنور عليان وزميله) وانظر: الكتاب ١٤٢/٢، والمغني ٦٢٧.

(٥) من الطويل، نسب لحسان بن ثابت -رضي الله عنه- ورواية الديوان ٢٦/١
"تناغي لدى الأبواب حوراً نواعماً ... وكَحِّلْ مآقيك..."
وانظر الشاهد في: المغني ٦٢٨، ويقول الدسوقي في حاشيته ٧٨/٣: "تناغي أي: تلك المرأة صبياً تكلمه بما يحبه ويعجبه"

وقول الآخر:

حـجّ وأوصَى بـسُليمى الأعبـدا

أن لا تُــرى ولا تُكلّــم أحَــدا

ولا يــزلْ شــرابُها مُبَــرّدا[1]

فجعل قوله: أن لا تُرى، خبراً ثم عطف عليه النهي فقال: ولا تكلمْ.. ولا يزلْ.

ج- أن الخبر متضمن لمعنى الطلب؛ إذ هو في معنى النهي، فيكون معنى الآية: أتلو عليكم ترك الشرك وعدم إساءتكم بالوالدين، لأن المقصود من تلك الأوامر لوازمها، وهو النهي عن أضدادها.

المسألة الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١].

أجاز مكي أن تكون "أنّ" وصلتها في موضع نصب على حذف حرف الجر. فقال: "﴿وأن الله﴾ "أن" في موضع خفض عطفاً على "ما"، أو في موضع نصب على حذف حرف الجر"[2]

وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: "وقال مكي والزهراوي: ويصح أن تكون في موضع نصب بإسقاط الباء، وتقديره: وبأن، فلما حذفت الباء حصلت في موضع نصب، قال أبو محمد: وهذا غير متجه، ولا بَيّن إلا أن تنصب بإضمار فعل"[3]

وللعلماء في إعراب "أنّ" وما دخلت عليه في هذه الآية أربعة أوجه[4]:

الأول: أنه في موضع رفع خبر لمبتدأ محذف، التقدير: والحكم أن... أو وذلك أن... وقد حكى هذا القول الفراء، والنحاس، وابن الأنباري، والقرطبي.

---

(١) من الرجز، لم تنسب لقائل. انظر: معاني القرآن للفراء ١/٢٥١، وتفسير الطبري ٩/٦٥٧، ورواية البيت الأخير عند الفراء: (ولا تمشِّ بفضاء بعدا).

(٢) الهداية ٤/٢٨٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢١٦.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٤١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٩١، والهداية ٤/٢٨٥٠، والكشاف ٢/١٣١، والبيان لابن الأنباري ١/٣٩٠، ومجمع البيان ٤/٩٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٨/٢٠، والفريد ٢/٤٣٠، والدر المصون ٥/٦١٩.

الثاني: أنه في موضع خفض عطفاً على "ما" في قوله ﴿بما قدمت﴾، وقد أجازه الطبري، والنحاس، والهمذاني، والزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي.

الثالث: أن يكون في موضع رفع معطوفاً عطف نسق على "ذلك". ذكره مكيّ.

الرابع: أن يكون في موضع نصب بإسقاط الخافض وهو الباء، وهو ما أخذه ابن عطية على مكي، وقد حكاه النحاس، وابن الأنباري، والقرطبي.

ومأخذ ابن عطية هنا غير متجه لأمرين:

أنّ مكياً لم ينفرد بالقول به بل حكاه غير واحد من العلماء كما سبق.

أن حذف حرف الجر يكثر ويطرد مع "أنْ" و"أنّ" كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء كابن مالك [1]، وأبي حيان [2]، وابن هشام [3].

أما محله من الإعراب ففيه خلاف مشهور نقل سيبويه [4] النص عن الخليل أنه في موضع نصب، ونقل ابن مالك [5] عن الكسائي أنه في موضع جر، وقال أبو حيان: "أكثر النحويين على أنه في محل نصب" [6].

المسألة الثالثة عشرة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ذهب مكي إلى جواز أن يكون ""تطهرهم" نعتاً لصدقة و"تزكيهم" حالاً من المضمر في "خذ". والتاء في "تطهرهم" لتأنيث الصدقة لا للخطاب و"تزكيهم" للخطاب" [7].

وأخذ عليه ابن عطية هذا الإعراب فقال: "وحكى مكي أن تكون "تطهرهم" من صفة الصدقة، وقوله: "وتزكيهم" حالا من الضمير في "خذ"، قال أبو محمد: وهذا مردود، لمكان واو العطف؛ لأن ذلك يتقدر: خذ من أموالهم صدقة مطهرة ومزكياً بها، وهذ فاسد المعنى، ولولم يكن في الكلام واو العطف جاز" [8].

---

(١) انظر: شرح التسهيل ٢/١٥٠.

(٢) انظر: الارتشاف ٤/٢٠٩٠.

(٣) انظر: المغني ٨٣٨.

(٤) انظر: الكتاب ٣/١٢٦، ١٢٧.

(٥) انظر: شرح التسهيل ٢/١٥٠.

(٦) التذييل والتكميل ٧/١٥.

(٧) مشكل إعراب القرآن ١/٣٣٥، وانظر: الهداية ٤/٣١٤٢ ففيه أخصر من هذا.

(٨) المحرر الوجيز ٤/٣٩٨.

ولعل وجه المأخذ أن هذا الإعراب يؤدي في ظاهره إلى فساد المعنى؛ لأن الواو تفيد التشريك في اللفظ والمعنى، فلو كان قوله: "تزكيهم" معطوفاً على "تطهرهم" لوجب أن يكون صفة كالمعطوف عليه، ووافق ابنَ عطية في مأخذه لمكي القرطبيُّ[1]، وأبو حيان[2]، والسمين الحلبي[3].

والذي يظهر أن سبب الاختلاف في التوجيه مرده الاختلاف في حقيقة التاء في "تطهرهم" و"تزكيهم" هل هي للخطاب أو للغيبة؟

فمن قال إنها فيهما للخطاب فله في إعراب الآية ثلاثة أوجه[4]:

الأول: النصب على الحال من الضمير في "خذ" والتقدير: مطهرا ومزكياً، وإليه ذهب الأنباري.

الثاني: النصب على أنه صفة لـ"صدقة"، ولابد في هذا الوجه من حذف عائد تقديره: تطهرهم بها، وحذف لدلالة ما بعده عليه، وقد أجازه الأخفش والزجاج والزمخشري.

الثالث: النصب على الحال من "صدقة"، وقد ذكره أبو البقاء.

ومن قال إنها للغيبة[5] فيرى أن الجملة في محل نصب صفة لـ"صدقة"، والتقدير: مطهرةً ومزكيةً، وإليه ذهب الزجاج، والطبري، وحكاه الهمذاني، وأبو البقاء.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية لمكي متجه؛ لأمرين:

أن مكياً أجاز أن تكون التاء في "تطهرهم" للغيبة والتاء في "تزكيهم" للخطاب وهذا يؤدي إلى إفساد المعنى إذ تقديره: خذ من أموالهم صدقة مطهرة ومزكياً بها، وهذا لا يصح من حيث المعنى؛ لمكان الواو هنا، كما أشار إليه ابن عطية.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨ / ١٥٨.

(٢) انظر: البحر المحيط ٥ / ٤٩٩.

(٣) انظر: الدر المصون ٦ / ١١٥.

(٤) انظر الآراء والتوجيهات في: معاني القرآن للأخفش ١ / ٣٦٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢ / ٤٦٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٣٣، وكشف المشكلات ١ / ٥٢٥، والكشاف ٢ / ١٧٠، والبيان ١ / ٤٠٥، وإملاء ما من به الرحمن ٢ /٢١، والفريد ٢ /٥٠٦–٥٠٧، والجامع لأحكام القرآن ٨ / ١٥٨، والبحر المحيط ٥ / ٤٩٩.

(٥) انظر هذا الرأي في: معاني القرآن إعرابه للزجاج ٢ / ٤٦٧، وتفسير الطبري ١١ /٦٦٢، والفريد ٥٠٧، وإملاء ما من به الرحمن ٢ /٢١.

أنه لو صحح قول مكي بتقدير مبتدأ محذوف والواو للحال أي: أنت تزكيهم، يبقى التخريج ضعيفاً؛ لقلة نظيره في كلام العرب [1].

وفي كلا الحالين لا يحسن أن يحمل القرآن على وجه ضعيف، بل ينبغي أن يحمل التنزيل على أحسن الوجوه وأكملها.

المسألة الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

أخذ ابن عطية على مكي منعه أن تتعلق "في النار" بـ"توقدون" فقال: "وقوله: "في النار" متعلق بمحذوف تقديره: كائنا أو ثابتا، كذا قال مكي وغيره، ومنعوا أن يتعلق بقوله "توقدون"؛ لأنهم زعموا أنه ليس يوقد على شيء إلا وهو في النار، وتعليق حرف الجر بـ"توقدون" يتضمن تخصيص حال من حال أخرى"[2].

ووافق ابنَ عطية فيما أخذ على مكي أبو حيان [3]، والسمين الحلبي [4].

وللعلماء في متعلق "في النار" وجهان [5]:

الأول: أنه متعلق بـ"توقدون" وهو قول أبي علي الفارسي، ووافقه الواحدي، وأبو البقاء، وأبو حيان.

الثاني: أنه متعلق بمحذوف تقديره: كائناً أو ثابتاً، وهو المنسوب لمكي، وإليه ذهب الباقولي، والأنباري، والقرطبي، يقول القرطبي: "ولا يستقيم أن يتعلق في النار بـ"توقدون" من حيث لا يستقيم أوقدت عليه في النار؛ لأن الموقد عليه يكون في النار، فيصير قوله "في النار" غير مفيد"[6].

---

(١) انظر: الدر المصون ٦/ ١١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧. ورأي مكي لم أجده في المشكل ولا الهداية ولا التبصرة ولا الكشف.

(٣) انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٧٤.

(٤) انظر: الدر المصون ٧/ ٤٠.

(٥) انظر: الحجة ٥/ ١٦، والتفسير الوسيط ١٢/ ٣٣٥، وكشف المشكلات ١/ ٦٢٩-٦٣٠، والبيان ٢/ ٥٠، وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٣، والفريد ٣/ ١٣١، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٠١، والبحر المحيط ٦/ ٣٧٣-٣٧٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٠١.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية متوجه لأمور:

أنه لا يلزم من الإيقاد أن يكون في النار إذ يمكن أن يكون مما يصيبه لهبها كقوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [١] [القصص: ٣٨].

أنه على القول بأنه لا يوقد على شيء إلا وهو في النار يجوز التعليق بما ذكر على سبيل التوكيد أو الإشعار بالمبالغة كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [٢] [الأنعام: ٣٨].

أن تخصيص حال من حال أخرى لا يُمنع منه إذا حمل كون الموقد ليس في النار، وإنما يصيبه لهبها[٣].

المسألة الخامسة عشرة: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ذهب مكي إلى أن "حنيفاً" حال من المضمر المرفوع في اتبع ثم قال: "ولا يحسن أن يكون حالاً من "إبراهيم"; لأنه مضاف إليه"[٤].

وأخذ عليه ابن عطية هذا المنع فقال: " قال مكي ولا يكون حالا -يريد "حنيفا"- من "إبراهيم"; لأنه مضاف إليه، وليس كما قال; لأن الحال قد تعمل فيه حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال كقولك: مررت بزيد قائماً"[٥]

وللعلماء في إعراب "حنيفاً" من الآية أربعة آراء[٦]:

الأول: نصبه بإضمار فعل تقديره: اتّبع، أو أعني وهو قول الأخفش الأصغر. حكاه عنه النحاس.

---

(١) انظر: الحجة ٥/ ١٦.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٧٤، والدر المصون ٧/ ٤٠.

(٣) انظر: الحجة ٥/ ١٦، والبحر المحيط ٦/ ٣٧٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٢٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢١٣، وتفسير الطبري ٢/ ٥٩١، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٦٦، والملخص في إعراب القرآن للتبريزي ٢٢١، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٥، والفريد ٣/ ٢٥١، والبحر المحيط ٦/ ٦١١، والدر المصون ٢/ ١٣٧، ٧/ ٣٠٢.

الثاني: أنه منصوب على القطع وهو رأي الكوفيين، ومعناه عندهم أن الأصل: إبراهيمَ الحنيفَ، فلما نكر لم يمكن إتباعه.

الثالث: أنه حال من "ملة". واختاره السمين الحلبي.

الرابع: أنه حال من "إبراهيم" وهو رأي الزجاج في آية سورة البقرة: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾ [البقرة:١٣٥]، وقال به الطبري، والزمخشري، وأبو حيان.

وهذا الوجه هو الذي منعه مكي ووافقه في منعه الخطيب التبريزي [١]، وابن الأنباري [٢].

والعلة التي ذكرها مكي أنه لا يصح أن يجيء الحال من المضاف إليه.

وقد أجيب عنه بأن الحال تأتي من المضاف إليه قياساً في ثلاثة مواضع [٣]:

إذا اقتضى المضاف عمله في الحال، كما في قوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾[٤]

إذا كان المضاف جزءا من المضاف إليه الذي هو صاحب الحال كما في قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً﴾[٥]

إذا كان المضاف مثل جزء المضاف إليه في صحة الاستغناء بالمضاف إليه عنه كما في قوله تعالى: ﴿أن اتبعْ مِلّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً﴾[٦].

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية متجه، لأن الحال قد تأتي من المضاف إليه قياساً كما سبق، ومن ثم فلا يشكل عليه أن الأصل عدم مجيء الحال من المضاف إليه، غير أن ابن عطية أخطأ في قوله: "لأن الحال قد تعمل فيه حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال كقولك: مررت بزيد قائما" في أمرين:

---

(١) انظر: الملخص ٢٢١.

(٢) انظر: البيان ٢/٨٥.

(٣) انظر: شرح التسهيل ٢/٣٤٢، وتوضيح المقاصد ١/٣٢٥.

وقد قرر ابن مالك هذا في الألفية فقال:

ولا تُجزْ حالاً منَ المضافِ لهْ ... إلاّ إذَا اقْتَضَى المضافُ عَمَلَهْ

أوْ كانَ جُزْءَ مَالهُ أُضِيفا ... أوْ مِثلَ جُزْئِهِ فَلا تَحِيفا

(٤) فـ"مرجع" مصدر قد عمل في الحال وصاحبه المضاف إليه ضمير الجماعة.

(٥) فـ﴿إخوانا﴾ تصلح أن تكون حالا من المضاف إليه في ﴿صدورهم﴾، لأن الصدور بعضهم.

(٦) فحنيفاً حال من الملة وهي وإن لم تكن جزءا من إبراهيم عليه السلام إلا أنها كالجزء.

أن المسألة التي نفاها مكي هي منع مجيء الحال من المضاف إليه، وليس منع مجيئه من المجرور بحرف جر، وهما مسألتان مختلفتان.

أن أبا حيان تعقبه فقال: " وأما قول ابن عطية: وليس كما قال؛ لأن الحال... إلى آخره فقول بعيد عن أهل الصنعة لأن الباء في "بزيد" ليست العاملة في "قائماً". وإنما العامل في الحال "مررت". والباء وإن عملت الجر في "زيد" فإن "زيدا" في موضع نصب بـ"مررت" "[١].

المسألة السادسة عشرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].

قال مكي في إعرابه للآية: "قوله: ﴿آية جنتان﴾ "جنتان" بدل من "آية" وهي اسم كان"[٢].

واعترض ابن عطية هذا الوجه وضعفه فقال في "جنتان": "والبدل من "آية" ضعيف وقد قاله مكي"[٣].

ووجه تضعيفه –كما وضحه السمين الحلبي [٤]– اختلاف البدل والمبدل منه إفرادا وتثنية وجمعاً، إذ المقرر عند بعض النحويين أنّ بدل الكل من الكل يجب أن يطابق المبدل منه في الإفراد والتذكير وفروعهما.

وللعلماء في إعراب "جنتان" ثلاثة أوجه[٥]:

الأول: أنه بدل من "آية" وقد ذكره الفراء، والزجاج، والنحاس، والزمخشري، والأنباري، وأبو البقاء، واختاره الطبري، والباقولي، وابن جزي والسمين الحلبي، وهو ما أورده مكي.

الثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جنتان، حكاه النحاس، والأنباري، والزمخشري، والهمذاني، والقرطبي، وأبو حيان.

والثالث: مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: إما عن يمين وشمال، وإما هنا أو هناك جنتان، قال به الزجاج، وإليه ذهب ابن عطية وذكره الأنباري، والهمذاني، وابن جزي.

---

(١) البحر المحيط ٦/٦١١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/٥٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٧/١٧٤.

(٤) انظر: الدر المصون ٩/١٧٠.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٤٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٣٨، وكشف المشكلات ٢/١٠٩٧، والكشاف ٣/٢٥٥، والبيان ٢/٢٧٨، وإملاء ما من به الرحمن ٢/١٩٦، والفريد ٤/٦٣، والتسهيل لابن جزي ٢/١٤٨، والبحر المحيط ٨/٥٢٤.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية غير متجه، لأمور:

أن ما ذكره مكي قال به جمع من العلماء ولم يعترضوا عليه بشيء، بل هو المختار في الآية عند بعضهم.

أن أبا حيان [١] أخذ على ابن عطية تضعيفه ما ذكره مكي، وأنه لم يبين وجه ضعفه، أما السمين الحلبي فقد وصف ما ذهب إليه مكي بأنه قوي فقال: "ولا يظهر ضعفه بل قوته"[٢].

أنه يجاب عن الإشكال الوارد على إعراب مكي بأحد جوابين:

أن مطابقة البدل للمبدل منه في الإفراد والتثنية والجمع فيها تفصيل [٣]:

- فإن كان بدل مطابق فإنه يوافق متبوعه فيها وجوباً ما لم يمنع من ذلك مانع ككون أحدهما مصدراً نحو: ﴿مفازاً حدائق﴾ فلا يطابق، أو قصد به التفصيل نحو قوله:

وكُنْتُ كذي رِجلينِ رِجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رَمى فيها الزمانُ فَشلَّتِ [٤]

فلا يشترط فيه -أيضا- المطابقة إفراداً وغيره على الصحيح.

- وإن كان غيره من أنواع البدل لم يلزم موافقته فيها.

أن "آية" اسم جنس في قوة المتعدد، لأن الجنتين لما تماثلتا في الدلالة على قدرة الله واتحدت جهتهما فيهما صارتا آية واحدة [٥]، ومن نظائره قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

المسألة السابعة عشرة: قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص: ٤٥].

قال مكي: "قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ إبراهيم وما بعده نصب على البدل من عبادنا فهم كلهم داخلون في العبودية والذكر.

ومن قرأه ﴿عبدنا﴾ بالتوحيد جعل إبراهيم وحده بدلا من عبدنا وعطف عليه ما بعده، فيكون إبراهيم داخلا في العبودية والذكر، وإسحاق ويعقوب داخلان في الذكر لا غير، وهما داخلان في العبودية في غير هذه الآية"[٦].

---

(١) انظر: البحر المحيط ٨/٥٣٤.

(٢) الدر المصون ٩/١٧٠.

(٣) انظر: الارتشاف ٤/١٩٦٤، وتوضيح المقاصد ٢/١٥٧، وشرح الأشموني ٣/٩٨.

(٤) البيت من الطويل، لكثير عزة. انظر: ديوانه: ٦٨. والكتاب ١/٤٣٣.

(٥) حاشية الجمل ٣/٤٦٧.

(٦) المشكل ٢/٦٢٦.

ولم يرتض ابن عطية ما ذكره مكي في توجيه قراءة الإفراد ﴿واذكر عَبْدَنا﴾ أن إبراهيم على هذه القراءة دخل في الذكر والعبودية، ودخل إسحاق ويعقوب في الذكر لا في العبودية إلا من غير هذه الآية. فقال: "قرأ ابن كثير ﴿واذكر عبدنا﴾ على الإفراد، وهي قراءة ابن عباس، وأهل مكة، وقرأ الباقون ﴿واذكر عبادنا﴾ على الجمع. فأما على هذه القراءة، فدخل الثلاثة في الذكر وفي العبودية، وأما على قراءة من قرأ ﴿عبدنا﴾ فقال مكي وغيره: دخلوا في الذكر ولم يدخلوا في العبودية إلا من غير هذه الآية. وفي هذا نظر"[1].

وللعلماء في قراءة ﴿عبدنا﴾ بالإفراد ثلاثة توجيهات [2]:

الأول: أن يكون "إبراهيم" بدلاً منه أو عطف بيان، وما بعده معطوف على "عبدنا"، وقد قال بهذا الفراء، والزجاج، والنحاس وأبو البقاء.

الثاني: أن يكون مراداً به الجنس، وهو في معنى الجمع، والأسماء بعده بدل منه، ذكر هذا أبو البقاء، والسمين الحلبي.

الثالث: أن يكون "إبراهيم" مفعولاً بإضمار "أعني"، وقد ذكره السمين الحلبي.

والذي أراه أن مأخذ ابن عطية غير متجه؛ لأمرين:

١- أن ما قاله مكي قال به أيضاً الفراء، والزجاج، والنحاس، والهمذاني، والقرطبي، وغيرهم، وقد حكاه أبو حيان عن مكي ولم يعترضه.

٢- أن هذا التوجيه صحيح موافق لكلام العرب؛ لأنك "إذا قلت: رأيت أصحابَنا زيداً وعمراً وخالداً، فزيد وعمرو وخالد بدل، وهم الأصحاب، وإذا قلت: رأيت صاحبَنا زيداً وعمراً وخالداً، فزيد وحده بدل وهو الصاحب، وعمرو وخالد عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة إلا بدليل غير هذا"[3]، ومن ثم ما بعد "إبراهيم" على قراءة ابن كثير عطف على "عبدنا" لا على "إبراهيم"؛ إذ يلزم منه إبدال جمع من مفرد، وهو لا يصح عند بعض العلماء إلا إذا كان المراد بعبدنا الجنس، فيجوز إبدال الجمع منه[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٧/ ٥٥٣.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٦، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٣٣٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٦، وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢١١، والفريد ٤/ ١٧٠، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٤١، والبحر المحيط ٩/ ١٦٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٦، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٤١، والدر المصون ٩/ ٣٨٢.

(٤) انظر: الدر المصون ٩/ ٣٨٢.

المسألة الثامنة عشرة: قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

قال مكي: "﴿أمَن هو قانت﴾ من خفف "أمَن" جعله نداء ولا حذف في الكلام، ولا يجوز عند سيبويه حذف حرف النداء من المبهم، وأجازه الكوفيون"[١].

وقال ابن عطية في مأخذه على مكي: "وقال مكي: إنه لا يجوز عند سيبويه؛ لأن حرف النداء لا يسقط مع المبهم، وليس كما قال مكي، أما مذهب سيبويه في أن حرف النداء لا يسقط مع المبهم فنعم؛ لأنه يقع الإلباس الكثير بذلك، وأما أن هذا الموضع سقط فيه حرف النداء فلا، والألف ثابتة فيه ظاهرة"[٢].

وللعلماء في تخريج قراءة التخفيف من قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت﴾ توجيهان[٣]:

الأول: أن الهمزة فيها للاستفهام، وقد دخلت على "مَنْ" الموصولة التي بمعنى الذي، والاستفهام جيء به للتقرير، ومقابله محذوف، والتقدير: أمن هو قانت خير أم الكافر المخاطب بقوله: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾، أو تكون الهمزة للاستفهام بمعنى التنبيه وفي الكلام حذف والتقدير: أمَنْ هو قانت بفعل كذا كمن هو على خلاف ذلك، ودل على المحذوف قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.

الثاني: أن تكون الهمزة للنداء و"مَنْ" منادى، والتقدير: يا مَنْ هو قانت، وقيل: المنادى النبي ﷺ.

وما ادعاه ابن عطية على مكي ثم أخذه عليه لم يذكره مكي، وإنما هو شيء فهمه ابن عطية من كلامه. ويبين هذا أنه قال في المشكل: ".. ومن خفف أمن جعله نداء ولا حذف في الكلام ولا يجوز عند سيبويه حذف حرف النداء من المبهم وأجازه الكوفيون.."[٤].

---

(١) المشكل ٢/٦٣٠.

(٢) المحرر الوجيز ٧/٣٧٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٤١٦-٤١٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٥، والكشاف ٣/٣٤٠، والبيان ٢/٣٢٢، وإملاء ما من به الرحمن ٢/٢١٤، والفريد ٤/١٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٥/١٥٥، والبحر المحيط ٩/١٨٨-١٨٩، والتسهيل لابن جزي ٣/١٩٢، والدر المصون ٩/٤١٤-٤١٥.

(٤) المشكل ٢/٦٣٠

وقال في الهداية: "من خفف "من" جعله نداء"[١] يريد الهمزة.

وقال في الكشف: "وحجة من خففه أنه جعله نداء فالألف للنداء، ودليله ﴿هل يستوي﴾، ناداه شبهه بالنداء ثم أمره، ويحسن أن تكون الألف للاستفهام.."[٢].

المسألة التاسعة عشرة: قال تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨].

قال مكي مبيناً عود الضمير في قيله: "والهاء في ﴿وقيله﴾ ترجع على عيسى"[٣]

ورد ابن عطية عليه قوله فقال: "وقرأ جمهور القراء بالنصب، وهو مصدر كالقول، والضمير فيه لمحمد عليه الصلاة والسلام، وحكى مكي قولاً أنه لعيسى وهو ضعيف"[٤].

وقد اختلف العلماء في العائد في قوله ﴿وقيله﴾ على من يعود على قولين[٥]:

الأول: أنه عائد على الرسول ﷺ، وإليه ذهب جمع من العلماء كالطبري، والنحاس، وابن عطية، والزمخشري، وأبو حيان وغيرهم.

الثاني: أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، ذكره الطبري، والنحاس، ومكي.

والذي يظهر أن مأخذ ابن عطية وجيه وصحيح؛ لأمور:

١- أن عبدالله بن مسعود ﷺ قرأ بدل قوله: ﴿وقيله يارب﴾: "وقال الرسول يارب"[٦] وهذه القراءة أشبه بالتفسير لها.

٢- أنه موافق لتأويل بعض السلف للآية كمجاهد وقتادة، فقد قالا: "هذا قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربه عز وجل"[٧].

---

(١) الهداية ١٠/٦٣٠٥.

(٢) الكشف ٢/٢٣٧٧.

(٣) المشكل ٢/٦٥٢. وانظر: الهداية ١٠/٦٧١٥.

(٤) المحرر الوجيز ٧/٥٦٧.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/١٢٣-١٢٤، والهداية ١٠/٦٧١٥. والمحرر الوجيز ٧/٥٦٧، والكشاف ٣/٤٢٨. والفريد ٤/٢٦٧. والجامع لأحكام القرآن ١٦/٨٣، والبحر المحيط ٩/٣٩٣، والتسهيل لابن جزي ٤/٣٤. والدر المصون ٩/٦١١. وتفسير النسفي ٤/١٢٦.

(٦) انظر: صحيح البخاري ٦/٣٩. قال البخاري "وقرأ عبدالله ﴿وقال الرسول يارب﴾". وانظر: فتح الباري ٨/٤٣٢. وتفسير ابن كثير ٤/١٣٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٢٠/٦٦٤. والهداية ١٠/٦٧١٥. وتفسير ابن كثير ٤/١٣٧.

٣- أن أقرب مذكور هو الرسول ﷺ مفهوما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [1] [الزخرف: ٨٧].

٤- الإجماع على أن المقصود بالخطاب في قوله تعالى بعده: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩] هو نبينا محمد ﷺ[2].

٥- أن عود الضمير على عيسى عليه السلام يلزم منه عود الضمير إلى أبعد مذكور وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧، ٥٨].

المسألة المتممة للعشرين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ [الطور: ٧، ٨، ٩].

قال مكي في إعراب الآية: "العامل في "يوم" "واقع"، أي: إن عذاب ربك لواقع يوم تمور السماء، ولا يعمل فيه "دافع"، لأن المنفي لا يعمل فيما قبل النافي"[3]

وأخذ عليه ابن عطية هذا فقال: "والعامل في "يوم" هو "واقع"، ويجوز أن يكون العامل فيه "دافع"، والأول أبين، وقال مكي: لا يعمل فيه "دافع""[4].

ووافق أبو حيان [5] ابنَ عطية في مأخذه، فقد ذكر أن مكياً لا يجيز أن يكون العامل في "يوم" "دافع"، وأنه لم يبين وجه المنع، وتابع الألوسي أبا حيان في هذا الاعتراض فقال: "ومنع مكي أن يعمل فيه "دافع"، ولم يذكر دليل المنع، ولا دليل له فيما يظهر"[6]

وللعلماء في العامل في "يوم" أربعة أقوال [7]:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٣/١٦، وتفسير النسفي ١٢٦/٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٢٣/٤-١٢٤.

(٣) المشكل ٦٩٠/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٨٨/٨.

(٥) انظر: البحر المحيط ٥٦٨/٩.

(٦) روح المعاني ٢٩/٢٧.

(٧) انظر: معاني القرآن للأخفش ٥٢٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦١/٥، وكشف المشكلات ١٢٨٣/٢، والبيان ٣٩٤/٢، وإملاء ما من به الرحمن ٢٤٥/٢، والفريد ٣٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٣/١٧، والبحر المحيط ٥٦٨/٩، والتسهيل ٧١/٤، والدر المصون ٦٥/١٠، وتفسير النسفي ١٩٠/٤.

الأول: أنه "واقع"، أي: يقع في ذلك اليوم، وتكون الجملة المنفية معترضة بين العامل والمعمول، قال بهذا الزجاج، والأنباري، والقرطبي، والباقولي، وزكريا الأنصاري. وذكره غير واحد منهم أبو البقاء، والهمذاني والنسفي.

الثاني: أنه "دافع"، وقد ذكره أبو البقاء، والهمذاني، وابن جزي.

الثالث: أن يكون مفعولاً به لـ"اذكر". ذكره الباقولي، الهمذاني، وابن جزي.

الرابع: أن يكون معمولاً لـ"فويل" بعده، على أن "يوم" مستأنف عما قبله، ذكره الأخفش، والباقولي، وأبو البقاء، والهمذاني.

والحقيقة أن مكياً بيّن علة المنع فقال: "ولا يعمل فيه "دافع"؛ لأن المنفي لا يعمل فيما قبل النافي، لا تقول: طعامَك ما زيدٌ آكلٌ، رفعت "آكلاً"، أو نصبته، أو أدخلت عليه الباء، فإن رفعت الطعام بالابتداء وأوقعت "آكلاً" على هاء جاز، وما بعد الطعام خبره، ويقبح حذف الهاء"[1].

وقد تابع الأنباري مكياً في هذا المنع محتجاً بما احتج به مكي وهو أن المنفي لا يعمل فيما قبل النافي لا تقول: طعامَك ما زيد آكلاً[2].

والعلة التي علل بها مكي المنع صحيحةٌ في نفسها -كما نبه إلى ذلك السمين الحلبي- "إلا أنه ليس في الآية شيء من ذلك؛ لأن العامل وهو "دافع" والمعمول وهو "يوم" كلاهما بعد النافي، وهو في حيزه"[3]، فما ذكره مكي وتابعه عليه الأنباري وهم.

المسألة الحادية والعشرون: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

قال مكي: "أعلم بمعنى عالم، ومثله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾"[4].

وأخذ عليه ابن عطية هذا فقال: "وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ قال مكي بن أبي طالب في المشكل: معناه: هو عالم بكم، وقال جمهور أهل المعاني: بل هو التفضيل بالإطلاق أي: هو أعلم من الموجودين جملة"[5].

---

(١) المشكل ٢/٦٩٠.

(٢) انظر: البيان ٢/٣٩٤.

(٣) الدر المصون ١٠/٦٥.

(٤) المشكل ٢/٦٩٣. وانظر: الهداية ١١/٧١٦٧ فقد ذكر هذا الرأي أيضاً.

(٥) المحرر الوجيز ٨/١٢٣.

ووافق أبو حيان ابن عطية في هذا المأخذ فقال: "وقال مكي: بمعنى عالم بكم، ولا ضرورة إلى إخراجها عن أصل موضوعها، كأن مكياً راعى عمل "أعلم" في الظرف الذي هو ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾"[1]، وتابعهما الألوسي [2].

وللعلماء في قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ توجيهان:

الأول: أنها على بابها من التفضيل أي: أعلم من كل أحد بهذين الصنفين وبغيرهما.

الثاني: أن يكون بمعنى عالم، أي أنها بمعنى الوصف المجرد من معنى التفضيل.

والحقيقة أن ما نسب لمكي لم يقل به إنما هو شيء فهمه من كلامه حيث يقول: " قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ أعلم بمعنى عالم، ومثله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾، وفيه نظر، لأن أفعل إنما يكون بمعنى فاعل إذا كان للمخبر عن نفسه، ويجوز أن يكونا على بابهما للتفضيل في العلم أي: هو أعلم من كل أحد بهذين الصنفين وبغيرهما"[3].

فقد بيّن مكي أن في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ توجيهين:

الأول: أن يجعل اسم التفضيل بمعنى فاعل فيكون أعلم بمعنى عالم.

الثاني: أن يجعل اسم التفضيل على بابه أي هو أعلم بكل أحد من هذين الصنفين.

ثم إنه لم يرتض التوجيه الأول وتعقبه بقوله: "وفيه نظر" وسكت عن التوجيه الثاني.

ومن ثم نعلم أن مكياً لم يخالف أهل المعاني، وليس في كلامه ما يؤخذ عليه، مع أن استعمال "أفعل" غير مقصود به التفضيل كثير في كلام العرب، ومنه قوله:

وإنْ مُدّتِ الأيدِي إلى الزّادِ لم أكُنْ ... بِأعجَلِهمْ إذْ أجْشعُ القومِ أعجَلُ[4]

أي: لم أكن بعجلهم. وقوله:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لَن ... ابيتاً دَعائِمُه أعزُّ وأطْوَلُ[5]

أي: دعائمه عزيزة وطويلة.

ومما حمل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] فقالوا: أهون بمعنى هين، لأنه لا تتفاوت المقدورات بالنسبة لله تعالى[6].

* * *

---

(١) البحر المحيط ٢١/١٠.

(٢) انظر: روح المعاني ٦٤/٢٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٦٩٣/٢.

(٤) من الطويل، للشنفرى الأزدي. انظر: ديوانه ٥٩، والمغني ٧٢٨.

(٥) من الكامل، للفرزدق. انظر: ديوانه ٤٨٩، والمفصل للزمخشري ٢٩٩.

(٦) انظر: البحر المحيط ٣٨٦/٨.

المصادر والمراجع:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
- إعراب القرآن العظيم، لزكريا الأنصاري، تحقيق: موسى بن علي مسعود، دار النشر للجامعات بمصر، ط١، ١٤٣١هـ.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير بدمشق، ط ٤، ١٤١٥هـ.
- الإغفال لأبي علي الفارسي، تحقيق عبدالله عمر الحاج إبراهيم، منشورات المجمع الثقافي ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٤هـ
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا وزميله، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣هـ.
- إملاء ما من به الرحمن، لأبي البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- الانتخاب في شرح أدب الكتاب، لأبي جعفر بن هشام الجذامي، دراسة وتحقيق: السعدية بو خريط، منشورات مركز الثعالبي ودار ابن حزم، ط١، ١٤٣٠هـ.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، عناية: عرفات حسونة وزميله، نشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، ١٤١٢هـ.
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون بتونس، ١٩٩٧م.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، حققه: حسن هنداوي، كنوز إشبيليا، الرياض، ج٧: ط١، ١٤٢٩هـ.
- تسهيل الفوائد تكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٨هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، دار الفكر، د.ت.

- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، جـ٣، مطابع الحسيني، ط١، ١٤١٤هـ. جـ ٢، طبع بمطابع دار المعارف بمصر، ط ١، ١٤١٢هـ. جـ٤، طبع بمطابع الحسيني بالرياض، ط ١، ١٤١٥هـ. جـ٥، طبع بمطابع الحسني بالرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
- تفسير ابن أبي الربيع، تحقيق: صالحة آل غنيم، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٣٠هـ.
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود العمادي الحنفي، تحقيق عبدالقادر عطا، نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، د.ت.
- التفسير البسيط / لأبي الحسن الواحدي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ.
- تفسير الطبري (جامع البيان) / لأبي جعفر الطبري، تحقيق عبدالله التركي، دار هجر للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تفسير القرآن العظيم / لابن كثير، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٤٠٦هـ.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / لخطيب الري الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- تفسير النسفي، لعبدالله بن أحمد النسفي، دار الكتاب المصري، مصورة عن نشرة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- توضيح المقاصد والمسالك لشرح ألفية ابن مالك / للمرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ٢، ١٩٧٩م.
- الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني / للمرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، لعبدالرحمن الثعالبي الجزائري، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، د.ت. وهو مصور عن طبعة المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٣٢٧هـ.
- حاشية الجمل على الجلالين، المسماة بالفتوحات الإلهية / لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، نشر دار المنار بالقاهرة، د.ت.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.
- الحجة للقراءات السبعة، تصنيف أبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وزميله، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج١، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق أنور عليان وزميله، مركز زايد للتراث، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢١هـ.
- ديوان حسان بن ثابت، حققه وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ديوان الشنفرى، جمعه وحققه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ.
- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ديوان كثير عزة، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشموني، ومعه حاشية الصبان على الشرح المذكور، دار الفكر، بدون تاريخ.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الإشبيلي، الشرح الكبير، تحقيق: صاحب أبو جناح د.ن. د.ت.

- شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق عبدالرحمن السيد وزميله، دار هجر بالقاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
- شرح التسهيل، للمرادي، (القسم النحوي)، تحقيق: محمد عبيد، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- شرح الكافية الشافية، جمال الدين ابن مالك، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في مكة، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- شعر أبي دواد الإيادي، جمع غوستاف فون غرنباوم، ضمن كتابه: دراسات في الأدب العربي، ترجمة: إحسان عباس وآخرين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار،دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، أشرف عليه ورقمه: بدر الدين جتين، دار الدعوة باستانبول، ودار سحنون بتونس، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)، مصورة دار صادر، بيروت، د.ت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، حققه: محب الدين الخطيب، نشر دار الريان بالقاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني، تحقيق: فهمي حسن النمر وزميله، دار الثقافة، الدوحة–قطر، ط١، ١٤١١هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات / لجامع العلوم علي بن الحسين الباقولي، حققه: محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الصباح بدمشق، ط ١، ١٤١٥هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وزميليه، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، منشورات ناصر خسرو بطهران، مصورة دار المعرفة للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وزملائه، مطبوعات وزارة الأوقاف بدولة قطر، مطابع الخير، دمشق، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- المسائل البصريات، لأبي علي الفارسي، تحقيق محمد الشاطر أحمد محمد، مطبعة المدني، بمصر، ط١، ١٤٠٥هـ.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم بن صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن، للفراء / تحقيق محمد علي النجار وزميله، مصورة عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- معاني القرآن لسعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق: هدى قراعة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١١هـ.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبدالجليل شلبي، دار الحديث بالقاهرة، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.
- المفصل في صنعة الإعراب / للزمخشري، نشر علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الوافية (شرح الألفية) للإمام الشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، منشورات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٦هـ.
- المقرب، لابن عصفور، تحقيق: أحمد عبدالستار الجواري وزميله، د. ن. ط١، ١٣٩٢هـ.

- الملخص في ضبط قوانين العربية / لابن أبي الربيع، تحقيق: علي بن سلطان الحكمي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، لعبدالوهاب فايد، نشر الهيئة العامة لمطابع الأميرية بالقاهرة، ١٣٩٣هـ. (تصوير المكتبة العصرية بصيدا).
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد الأزهري، حققه: عبدالكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، ج ١-٣، تحقيق: عبدالسلام هارون وعبد المتعال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ. جـ ٤-٧ تحقيق: عبد المتعال مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل علمية أخرجتها كلية الشريعة بجامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٩هـ.

* * *

أسلوب التَّرقِّي وتصعيد المعاني
في سورة " الزلزلة "

د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أسلوب التّرقّي وتصعيد المعاني
في سورة " الزلزلة "

د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

لا يخفى أن بدائع النظم في القرآن العظيم بادية، ومظاهر الإعجاز فيه مترادفة، تجعل كل متدبر له حظ من النظر يزداد فكراً ويكتسب معنى بديعاً، ومن جملة ما يسترعي النظر من أساليب هذا الكتاب المعجز (أسلوب الترقي وتصعيد المعاني)، فإنك تلحظ المعنى القرآني تبدو فكرته كالخط البياني، ثم تترقى في تنامٍ لطيف وتصاعد ظريف في أعطاف المعاني، حتى تصل إلى ذروة القمة التي تنتهي بك إلى فكرة المعنى المراد عرضه وتقرير مقاصده، وذلك كله في نظم بديع يدهش البلغاء، ويأسر ألباب العلماء، ولا غرو في براعته وبلاغته، فإنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وقد جاء هذا البحث دراسة علمية متخصصة ذات منحى تطبيقي تحليلي، فاخترت سورة "الزلزلة" لتكون مجالاً للتطبيق ليستبين من خلاله هذا الأسلوب الآسر، وذلك لاتحاد موضوع السورة، ولعظم أهمية مشمولها، ولتدرج أحداثها بسورة مبهرة، ولأن مكنون معناها يفتقر إلى التذكير به واستحضار مقاصده كل إنسان، فإنه سيكون في معمعة الأحداث، وستجري عليه تلك العظائم الواردة في السورة بعد نفخ الروح في الأموات، فيخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر، فشد انتباهي جمال نظمها ودقة التصوير فيها بأسلوب الترقي وتصعيد المعاني، فوقع اختياري عليها، وجعلت لهذا البحث خطة من جانبين، جانب تنظيري، والجانب الآخر مكمل له، وهو جانب تطبيقي، وذلك على حسب ما ورد تفصيله في تضاعيف البحث. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد : فإن بدائع النظم في هذا الكتاب الحكيم بادية، ومظاهر الإعجاز فيه مترادفة؛ تجعل كل ذي حظ من النظر إذا زاد هذا الكتاب فكراً زاده معنى بكرا؛ يَتَبَدَّى له بين عينيه، وتظهر بركته عليه وحواليه، وهذا أثر ربّاني من آثار العمل بمقتض قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وإن من جملة ما استرعى أنظاري من أساليب هذا الكتاب المعجز العزيز: "أسلوب الترقّي وتصعيد المعاني"؛ فلقد ألفيته ظاهرة قرآنية منتشرة في كثير من مواضعه، بادية في أغلب موضوعاته؛ تبدأ باكورة المعنى القرآني كبداية الخط البياني؛ ثم تترقى في تنامٍ وتصاعد في أعطاف المعاني؛ حتى تصل إلى ذروة القمة التي تنتهي إليها فكرة المعنى المراد عرضه وتقرير مقاصده؛ في نظم بديع يدهش البلغاء ويأسر ألباب العلماء؛ ولا غرو؛ فإنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ جعله الله حجة مستمرة تشهد على الثقلين، ومعجزة خالدة بين يدي خاتم الأنبياء أجمعين إلى يوم العرض الأكبر على رب العالمين.

لذا رأيت دراسة هذا الأسلوب البديع دراسة علمية متخصصة ذات منحى تطبيقي تحليلي؛ فاخترت سورة " الزلزلة " لتكون مجالاً للتطبيق عليها من خلال ذلكم الأسلوب الآسر؛ وذلك لاتحاد موضوعها، ولعظم أهمية مشمولها، ولتدرج أحداثها بصورة مبهرة؛ ولأن مكنون معناها يفتقر إلى التذكير به واستحضاره لدى كل إنسان؛ برٍ أو فاجرٍ؛ فإنه سيكون مقصد الأحداث، وستجري عليه تلك العظائم بعدما تُنْفخ الروح في الأموات؛ فيخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر؛ فشدّ انتباهي جمال النظم ودقة التصوير؛ بأسلوب بلاغي مثير؛ تمثل في ترقٍّ متدرج للمعاني وتصعيد عجيب لمجرياتها؛ أسهم في إخراجه وبناء المعاني فيه أدوات اللغة وفنون البلاغة؛ حتى تكامل المعنى الكلي، وانبلج المقصود الرباني؛ ليكون هذا البيان الساطع حجة لله تعالى على الناس أجمعين؛ إعذاراً وإنذاراً.

وقد سَميّتُ هذا البحث: "أسلوب التَّرقِّي وتصعيد المعاني في سورة الزلزلة" ولم أجد دراسة علمية متخصصة تناولت أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في هذه السورة، بل إن إفراد هذا الأسلوب بدراسة علمية عامة في القرآن كله يعد نهجاً جديداً، وممن اطلعت على أبحاثهم في هذا المقام الدكتور: عبد الله محمد سليمان هنداوي، فله بحث منشور، بعنوان: "أسلوب الترقي والتدرج في القرآن الكريم"[1]، وهي دراسة فيها جدّة ونوع شمول وشيء من الاستقصاء لأنواع الترقي في القرآن، بدأها بالترقي والتدرج في الأمثال، ثم من الأدون إلى الأعلى، ثم من الأخص إلى الأعم، وبالعكس، وجعل منها تقديم الأرض على السماء لإفادة الترقي، والتدرج من المفضول إلى الفاضل، والتدرج في صفات المتقين، والترقي في الأحوال، وفي الدعوة إلى الله تعالى... ونحو ذلك مما يعد جديداً مفيداً، ولكنه لم يتناول سورة معينة؛ ليقف على مقصود معناها، ثم يترقى معه وبه؛ ليصل إلى ذروته، وهذا ما سلكه هذا البحث في سورة الزلزلة؛ مركّزاً على المعنى المتّحد في مضمون واحد.

وقد جعلت هذا البحث قائماً في خطته العلمية على جانبين:

الأول: الجانب التنظيري، متمثلاً في بيان الآتي:

أ- المعنى اللغوي للترقّي والتصعيد.

ب- دلالة حرف العطف بينهما في عنوان البحث.

جـ- مواضع بحث الترقي وتصعيد المعاني في الدراسات البلاغية والقرآنية.

الثاني: الجانب التطبيقي، متمثلاً في بيان الآتي:

أ- موضوع سورة "الزلزلة" ومقامها.

ب- عناصر النظم المؤثرة في أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في السورة، وذلك وفق التحليل النظمي المتدرج للعناصر المكونة لها حسب الآتي:

١- الظرف واستهلال السورة به.

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر (الزقازيق) مجلد: ١١ العدد: ١٣: ٥٣٩ - ٥٨٣؛ وسجل في القسم - لدينا - رسالة دكتوراه بعنوان: بلاغة أسلوب الترقي في القرآن الكريم، للباحث: خالد بن عائض بن محمد القرني، ويشرف عليها الزميل، الأستاذ الدكتور: محمد بن علي الصامل، عميد كلية اللغة العربية بالجامعة - حالياً - والبحث المذكور تحت الإعداد.

٢- التضعيف للفعل الذي لم يُسَمَّ فاعله.

٣- الاستغراق الشامل.

٤- الإضافة.

٥- الإظهار في موضع الإضمار.

٦- الإسناد.

٧- الاستفهام.

٨- ظرف الزمان.

٩- حروف المعاني.

١٠- الفعل المضارع والحال.

١١- الترتيب والتعقيب.

١٢- الشرط والجزاء.

١٣- التمييز.

وقد سلك هذا البحث في تنفيذ خطته العلمية المنهج العلميَّ القائمَ على التنظير والتحقيق، والتحليل النظمي الدقيق، في سبيل تجلية هذا الأسلوب القرآني البديع؛ الذي سيرى القارئ الكريم – بإذن الله – كيف انتظم هذه السورة الجليلة، وسار معها وبها في دقائق نظمها؛ حتى تمثل المعنى المراد؛ فترقى وتصاعد في مشاهد إيمانية ربانية مؤثرة؛ تجعل كل ذي لبّ يرتجف من هول ذلكم الموقف الأخروي الرهيب؛ الذي نسأل الله – جل في علاه – أن يلطف بنا ويرحم ضعفنا، وأن يتولانا بعفوه ورحمته في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم على الهادي البشير وعلى آله وأصحابه و أتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أولاً : الجانب النظري :

المعنى اللغوي للترقي والتصعيد :

جاء في معاجم اللغة من معاني " رقا " أنها بمعنى التدرّج والصعود والارتفاع يقول ابن منظور : " رَقِيَ إلى الشيء رُقِيًا ورُقُوًا وارتقى يرتقي وتَرَقَّى : صَعِدَ... ويقال : مازال فلان يترقَّى به الأمر حتى بلغ غايته.... وتَرَقَّى في العلم؛ أي : رَقي فيه درجة درجة.. [1] ".

وأما التصعيد فهو من مادة الفعل الثلاثي " صعد " وقد قال عن معنى أصله اللغوي ابن فارس ما نصه : " الصاد والعين والدال أصل صحيح، يدل على ارتفاع ومشقّة، من ذلك الصَّعُود خلاف الحَدور، ويقال : صَعِدَ يَصْعَد.. والصَّعُود : العقبة الكؤود، والمشقة من الأمر، قال الله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]... ومن الباب الصُّعَداء، وهو تنَفّس بتوجّع، فهو نَفَس يعلو، فهو من قياس الباب.." [2] .

وجاء في اللسان : " صَعِدَ المكان وفيه صُعُوداً وأَصْعَدَ وصَعَّدَ : ارتقى مُشْرِفاً.. [3] ".

وقال الراغب الأصفهاني : " الصُّعُود : الذهاب في المكان العالي، والصَّعُودُ والحَدُور لمكان الصُّعُود والانحدار.. [4] ".

وبذلك يتبيّن أن المصدر إذا كان مشدَّد الصّاد مضمومَها فهو يدل على فعل الصُّعُود وحركته نحو الارتفاع في المكان المرتفع. وأما إذا كان مشدَّدَ الصاد مفتوحَها فهو يدل على مكان الصّعود وموضعه، وذلك كالوَضوء، مفتوح الواو بمعنى مادة الوضوء وهو الماء، والوُضوء، مضموم الواو بمعنى فعله المعروف بالصفة الشرعية المأثورة.

كما يتبيّن أن من الصُّعود ما ينتهي إلى شَرَفٍ واستشراف، وأن الترقّي هو البداية الفعلية لذلك، وذلك كله بحسب المقامات والأحوال التي تستعمل فيها مادة الترقي والصعود، فإن كان في المكروهات داخَلته المشقة والعنت، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]، وإن كان في المحبوبات كان طيّباً مستطاباً، ومنه قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) لسان العرب : مادة : رقا..

(٢) معجم مقاييس اللغة : مادة : صعد.

(٣) لسان العرب : مادة : صعد.

(٤) المفردات في غريب القرآن : مادة: صعد.

دلالة حرف العطف بينهما :

ولما كان الترقي في الشيء هو البداية الفعلية لصعوده ساغ وقوع حرف العطف بينهما، لشدّة تلازمهما، حساً ومعنى، فإنك لا تستطيع أن تصعد جبلاً – مثلاً – إلا بالتدرج مرتقياً جنباته، وهذا الفعل الحسّي يفضي بك إلى الوصف المعنوي، فتكون صاعداً في هذه الحالة مُشْرِفاً على ما تحتك متطلعاً إلى ما فوقك، فكأن الترقي أصدق ما يكون على الحالة الحسّية، وكأن الصعود أصدق ما يكون على السمة المعنوية، ولهذا فإن التلازم بينهما يكاد يكون ظاهراً، والذي يرشد إليه ويدل عليه هو حرف العطف الواو، فإنها لمطلق الجمع والتشريك مع المغايرة أو شيء منها، ولذلك كان عطف التصعيد على الترقي في عنوان هذا البحث، لما له من دلالة علمية ستظهر – إن شاء الله – في أثناء الدراسة التطبيقية على آيات السورة الكريمة.

مواضع بحث الترقي وتصعيد المعاني في الدراسات البلاغية والقرآنية :

لم يكن للترقي والتصعيد مصطلح بلاغي مستقر مشهور عند أصحاب الدراسات البلاغية، الذين عرف عنهم التأصيل والتقعيد في البحث البلاغي، كعبد القاهر الجرجاني، أو أبي يعقوب السكاكي، أو الخطيب القزويني، وإنما وردت إشارات عامة في مواضع متفرقة، أغلبها تتعلق بالدراسات القرآنية المنقِّرة عن أسرار التنزيل ولطائف الإعجاز، في مواضع كالتقديم والتأخير، وترتيب المفردات، ونظم الكلمات، وتقديم الأولى على ما دونه، وهو الذي يدقّق فيه ويتنبّه إليه من أوتي حظاً من اللَّقَانة ورهافة الحس وسلامة الذوق والقدرة على استبصار صلات المعاني، ووضع لبنات المباني في مواضعها اللائقة بها، والناقلة لمضامينها، بحسب مقتضيات مقاماتها، فيتناتج الفضل ما بين الكلم، وينمو شرف المعنى، ويتكامل من مجموعها، من خلال تضامِّها، بحسب دواعيها، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني، في "دلائل الإعجاز"[1]، ونبه عليه الزمخشري في الكشاف في مواضع تتعلق بالتقديم والترقي من الأدنى إلى الأعلى، وهذا ظاهر في تفسيره للبسملة[2]، بل نص الزمخشري على أن علم المعاني لا يقتضي غير أسلوب الترقي[3]، وزاده تقريراً "

---

(١) انظر : دلائل الإعجاز: ٥٤.

(٢) انظر : الكشاف : ١/ ٥٤، وانظر : الكشاف : ١/ ٢١٤.

(٣) انظر : الكشاف : ١/ ٥٨٧ ورد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢] في تقديم ذكر المسيح على الملائكة.

ابن المنير " في حاشيته على الكشاف في الموضع الذي ذكر فيه الزمخشري مضمون جملته تلك فقال: " ونحن نمهّد تمهيداً يرفع اللبس ويكشف الغطاء عن قانون البلاغة في الترقي، فنقول: النكتة في قاعدة الترقي والتي تستلزم مراعاته في الكلام البليغ " التنائي عن التكرار والسلامة عن النزول"، وهي توجب في مواضع تقديم الأعلى، وفي مواضع تأخيره؛ فإذا اعتمدت ذلك، فمهما أدى إلى أن يكون آخر كلامك نزولاً بالنسبة إلى أوله، أو يكون الآخر مندرجاً في الأول قد أفاده وأنت مستغن عن الآخر فاعدل عن ذلك إلى ما يكون ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، واستئنافاً لفائدة لم يشتمل عليها الأول.. " [١].

وكأني بابن المنير والزمخشري من خلال فحوى ما تقدم عنهما ينظران في ترتيب الأهم بالتقديم والأولى بالتأخير؛ بحيث يبنى عليه الترقي في الإفادة الكامنة فيما يؤخر مما له عُلْقة بالمعنى في المفردات المشتركة في معنى واحد؛ بدليل أن كلامهما عنه ورد في البسملة وآية النساء[٢] في مُفْرَدَين يلتقيان في معنى متقارب [٣]، في حين أن المراد من الترقي الذي يرمي إليه هذا البحث هو الانتقال بالمعنى في تدرج دقيق عام إلى ذروته؛ ليحقق المراد منه وفق المقام الوارد فيه؛ كمن يرقى جبلاً، ويصعد في جنباته إلى أن يتسنّم ذروته؛ فيكون مشرفاً على ما تحته، محيطاً بما حوله، مهيمناً عليه، ناظرا من علو إليه.

على أن إشارة الشيخ عبد القاهر الجرجاني السابقة أقرب إلى المراد؛ وذلك لعموم كلامه وشموله لمقامات المعاني وما يناسب دقائقها من الألفاظ الناقلة لها بحسب المقامات، وهو تدرج وترقٍّ يفضي إلى الصعود بالمعاني في ألفاظ تَنْقُل المراد منها بحسب المقتضيات الداعية لها؛ حتى تحقق الغرض البلاغي منها، بل يذهب عبد القاهر في إدراك الإعجاز من هذا الوجه مذهباً بعيداً؛ فيرى أنه في كل آية معنى تنتظم به مع ما قبلها، ومعنى تتهيّأ به للانتظام مع ما بعدها، وبذلك كان انتظام الآي داخلاً في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً [٤].

---

(١) الانتصاف على هامش الكشاف : ٥٨٧/١.

(٢) في تفسير قوله تعالى : في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ ﴾ [النساء: ١٧٢].

(٣) وهو الذي عرّفه الطيبي بقوله : " والترقي وهو أن تذكر معنى ثم يردف بما هو أبلغ منه، كقولك : فلان عالم نحرير... وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤] أي : قدّر ما يوجد ثم ميزه ثم مثله... ". التبيان في البيان :٤٩١-٤٩٢.

(٤) انظر : دلائل الإعجاز: ١٨٥.

ومن أقرب مباحث البلاغيين لمعنى الترقي والتدرج في المعاني في سبيل إيفائها حقها مبحث "التَّخَلُّص" القائم على مراعاة الملاءمة بين المعاني والربط فيما بينها، مع الأخذ في الحسبان حالة المتلقي النفسية، الذي يُهَيَّأ، فيتَهيّأ للانتقال من معنى إلى آخر في لطف خَفيّ، يدركه الذكي [1]، وقد حكى ابن أبي الإصبع عن أصحاب الإعجاز أنه نظراً لدقة التخلّص ولطفه فقد عدّوه وجهَ الإعجاز، فقال : "وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز. وهو دقيق في عين الغبي خفي، يخفى على غير الحذاق من ذوي النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره، فإنك تقف من الكتاب العزيز على مواضع تجدها في الظاهر فصولا متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها، فإذا أنعمت النظر وكنت ممن له درجة بهذه الصناعة ظهر لك الجمع بينها.. [2]".

وقد أحسن أحد المتأخرين في حديثه عن الانتقال بين المعاني المتقاربة عندما قال : "ومن الانتقال البديع ما يشبه الانتقال من فرع من فروع الشجرة إلى فرع آخر منها، بينهما مُلامَسَة أو تراكب، أو إلى فرع آخر من شجرة أخرى تلامست أغصانها أو تداخلت وتراكبت [3]".

فهو انتقال بين المعاني على سبيل تصعيدها وتناسل ألطاف المعاني في أثناء ذلك للوصول إلى ذروتها لتحقق الغاية من إيرادها، وهذا هو الذي يرمي هذا البحث إلى إثباته وتقرير أمره في المعنى الواحد، وليس المراد الانتقال بين المعاني المستقلة، وهو الذي يفهم من كلام أكثر البلاغيين في مبحث حسن التخلص أو براعته، الذي يتعلق بالروابط المعنوية بين المعاني ذوات الاستقلال.

وهذا ما سيتبين في أثناء النظر في دقائق الترقي وتصعيد المعاني في سورة "الزلزلة".

ثانياً : الجانب التطبيقي:

موضوع سورة "الزلزلة" ومقامها:

سورة الزلزلة سورة مكية [4]، وموضوعها موضوع كوني عظيم، ومقامها هو عرض بياني لمشاهد يوم العرض الأكبر، فمقاصد نظمها ترمي إلى إبراز أحداث يوم القيامة

---

(1) انظر : شروح التخليص: ٤ / ٥٣٢، تعريف الخطيب للتخلّص في التلخيص والإيضاح، وشرح الشراح واستفاضتهم فيه، وتعقيباتهم عليه.

(2) تحرير التحبير: ٤٣٣.

(3) البلاغة العربية : ٥٦١.

(4) انظر : تفسير القرآن العظيم : ١٤/ ٤٢٦.

وتصوير أهواله، ذلكم اليوم العظيم، الذي تنكشف فيه الأمور، ويقع – بإذن الله – القدر المقدور، ويظهر الفزع الأكبر على الناس أتم ظهور، من هول ما يلم بالأرض وينتابها من جميع جوانبها، وما ينال الناس بعد ذلك من آثار، وما ينكشف لهم فيه من دقيق الأخبار، ثم ما ينبني على ذلك من مآلات كل واحد منهم، إما إلى جنة وإما إلى نار، كلّ ذلك وغيره من الأحوال والمقامات تَدَرجّت السورة في تصويره، وترقّت في الكشف عنه، فتنامت المعاني وتناسلت وتصاعدت وترادفت في مبان معبّرة، وألفاظ دالة مصوّرة، انبنى بعضها على بعض، في نسق بياني باهر، وتصوير معجز قاهر، ونظم السورة بهذا التدرج الحكيم، وذلكم الترقي العجيب صَعَد بمعانيها إلى سلّم مقاصدها، فتضافرت عناصر النظم على إظهار هذا الحدث الهائل، وتصويره في تسلسل جذاب، وعرض يأخذ بمجامع الألباب، تنامى وتصاعد حتى انجلت الغايات، بما يفي بالمقامات، فكل واحد من عناصر النظم في السورة أسهم بذاته في سياق إخوته، وانضم إلى ما قبله وإلى ما بعده في تناسق وتعاضد وتآزر، حتى تحققت المقاصد البيانية الربانية في هذه السورة القرآنية، الجامعة لأحوال العباد في يوم المعاد .

عناصر النظم المؤثرة في الترقي وتصعيد المعاني في السورة :

إن من ينعم النظر في نظم هذه السورة العظيمة، ثم يمعن الفكر في دلالات نظمها يجد أنه قد اجتمع فيها من عناصر النظم المؤثرة، ومن مظاهر البيان المعبرة ما جعل الغرض البلاغي من نزولها يتجلى في معاني كلمها، ويستبين من مقاطع فواصلها، فكان اجتماع تلك العناصر النظمية، وانضمام هذه الظواهر اللغوية أمارة من أمارات إعجازها، ولعلنا نقف وقفات بيانية مع كل عنصر على حدة، حتى نعرف الوظيفة اللغوية التي أدّاها في النظم الحكيم، وحتى نستجلي درجة التصعيد البياني التي نهض بها في سُلّم مقاصد السورة الكريمة، وذلك وَفْقَ التدرج النظمي الآتي:

١- الظّرْف (إذا) واستهلال السورة به:

الظّرف في الأصل اللغوي هو ما كان وعاء للشيء، لذا سُميّت الأواني ظروفاً، لكونها تستوعب ما فيها، كما سُميّت الأزمنة والأمكنة ظروفاً، لأن الأحداث والأفعال تحصل فيها، فهي كالأوعية لها [١].

---

(١) انظر: لسان العرب: مادة: ظرف.

وسورة " الزلزلة " افتتحت بـ " إذا " الظّرفية، وهي هنا ظرف لما يستقبل من الزمان، مبنية على السكون، متضمّنة معنى الشرط، متعلّقة بجوابها، وهو الناصب لها، وهو قوله تعالى [... تُحدِّث...] [١]، وهذا الفعل الذي عمل النصب في [إذا] عمل النصب في الظرف الآخر [يومئذٍ] الذي هو بدل من [إذا] [٢]، والتقدير: يوم إذ تزلزل الأرض وتخرج أثقالها ويقول الناس مشدوهين: ما لها ؟ تحدِّث أخبارها [٣]...

والسؤال وارد عن سرّ استهلال السورة بـ " إذا " التي هي للتوقيت الزماني المستقبلي، وما علاقة هذا الافتتاح بموضوعها ؟! وما الذي قدّمه الظرف لهذا الموضوع ؟ وقد أجيب عن ذلك بأن القوم كانوا يسألون النبي عليه الصلاة والسلام، متى الساعة؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، كأنه قبل: لا سبيل إلى التعيين بحسب الوقت، ولكن من خلال العلامات القاطعات، وأعظمها وقوع ما ذكر، وقد يكون سبب الافتتاح راجعاً إلى أن الله تعالى أراد أن يخبر المكلّف أن الأرض تحدث وتشهد يوم القيامة، فكأنه قيل: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا﴾ [الزلزلة: ١] [٤]، ولعل الغرض البلاغي من ذلك هو الزيادة في الترهيب، فيجيل الكافر النظر في وضعه تفكيراً، فيتراجع ويتأمل، فيسلم، وليزداد المسلم في دينه إيماناً ويقيناً، فيتقي ويخبت، فيشمر. ويقرر هذا المعنى ويؤكده اصطفاء " إذا " المضمَّنة معنى الشرط الداخلة على الفعل المقطوع بوقوعه، فلما كان فعل الزلزلة مقطوعاً بوقوعه اقتضى المقام " إذا " دون غيرها [٥]، ليتحقق هذا الغرض، وليتحقق وجه ارتباط السورة، وينسبك نظم معناها مع ما قبلها، وهي سورة " البيّنة " في انتظام دقيق، يترقى المعنى بعده تدريجياً، فتولت سورة " الزلزلة " تفصيله وتصعيد معناه، يقول أبو حفص الحنبلي " وجه المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة أنه تعالى لما قال: [جزاؤهم عند ربهم] فكأن المكلّف قال: ومتى يكون ذلك؟ فقيل له: [إذا زلزلت الأرض] فالعاملون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك تنال جزاءك، وتكون آمناً، لقوله

---

(١) انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة: ٨ /٦٦١.

(٢) انظر: الكشاف: ٦ /٤١٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠ /٤٩٢.

(٤) انظر: التفسير الكبير: ٣٢ / ٥٧، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠ / ٤٤٥.

(٥) انظر: التفسير الكبير: ٣٢ / ٥٧، ونظم الدرر: ٢٢ /٢٠٢.

تعالى: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩]. وقيل: لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أجازيه، حتى يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزلت، نظيره: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فذكر سبحانه الطائفتين، وذكر ما لكل طائفة، ثم جمع بينهما في آخر السورة بذكر الذرة من الخير " [١].

وأما نكتة افتتاح معاني السورة بالظرف " إذا " وتأسيس ما بعده من جُمَل عليه، وجعلها تترقى من خلال قاعدته فيقول عنه " ابن عاشور " ما نصه: " افتتاح الكلام بظرف الزمان مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف تشويق إلى مُتَعلَّق الظَّرْف، إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتاً لِيُرَوا أعمالهم، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء، وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقَّق المفروغ منه، بحيث لا يَهُمُّ الناسَ إلا معرفة وقته وأشْرَاطِه، فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع الموقَّت " [٢].

٢- التضعيف للفعل الذي لم يسم فاعله [زُلْزِلت]:

مادة الفعل (زَلّ) تدل على الاضطراب وعدم الثبات، ومنه قيل للذَّنْب من غير قصد زَلَّة، تشبيهاً بزلّة الرّجْل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، أي: استجرهم الشيطان حتى زلُّوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخّص الإنسان فيها تصير مُسَهِّلَةً لسبيل الشيطان على نفسه [٣]. والتّزلزل: الاضطراب الشديد، وتكرير حروف لفظه فيه تنبيه على تكرير معنى الزَّلل فيه [٤]، فكأنه تصوير دقيق للمعنى من خلال جرس اللفظ المُعَبِّر عنه، ذلك أن المادة اللغوية لفعل " زَلّ " مكونة من حرف " الزاي " و " اللام " المشدَّدة، وحرف " الزاي " من حروف الصفير، وهي حروف تَنْسَلّ انسلالاً ما بين طرف اللسان وملتقى الثنايا، وحروف الصفير السين والصاد والزاي [٥]، وحقيقة الصفير حدة الصوت الذي يخرج بقوة مع الريح، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب [٦]. والصفير صفة

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٢٠ / ٤٤٤ – ٤٤٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٣٢.

(٣) انظر: المفردات: ٢١٤، ولسان العرب: مادة: زلل.

(٤) انظر: المفردات: ٢١٤.

(٥) انظر المقتضب: ١ / ١٩٣.

(٦) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٨.

ذاتية في حروفه لا تنفك عنها، وحروف الصفير تخرج من مخرج واحد؛ ولكن الفرق بينها هو الهمس في السين والجهر في الزاي والإطباق في الصاد [١].

وعند التدقيق في حرف " اللام " أحد جذور مادة الفعل " زَلَّ " نجد أن مخرج اللام ما بين حافتي اللسان مع رأسه، وما يحاذي الجميع من اللّثة العليا؛ واللام أوسع الحروف مخرجاً؛ لطول مخرج حرفها مع تقوس اللّسان منطبقاً على اللّثة، مع شيء من الانحراف عند النطق بها؛ لذا سميت اللامُ الصَّوتَ المنحرف [٢].

فاجتمع في مادة الفعل " زَلَّ " خصائص الصّفير مع الجهر؛ المتمثل في صوت حرف " الزّاي ". والسعة والشمول مع الانحراف؛ المتمثل في مخرج صوت اللام؛ فإذا انضم إلى ذلكم كلّه تضعيف هذه المادة اللّغوية بتكريرها " زلزل " تَبيَّن عظم دلالة هذه الصيغة على المراد منها [٣]؛ وهو تحريك الأرض بشدة متناهية، وتغيير ثوابتها، وإزالة معالمها، وتدمدم أركانها، وصدور أصوات شديدة في أثناء ذلك وتعاليها؛ أزيزاً وصفيراً، واضطراباً متداخلاً شاملاً [٤]؛ فكانت خصائص حروف مبنى الفعل دالةً دلالة تصويرية على المعنى المراد منه في مقام السياق الوارد فيه؛ وهنا مكمن الدّقة في اصطفاء الكلمة المناسبة؛ ثم توظيفها صوتيّاً ودلاليّاً في خدمة المعنى المراد؛ لتسهم في تأدية المقصود الأعظم؛ الذي وردت من أجله السورة الحكيمة؛ وهذا هو باب البلاغة ولبابها.

على أن حذف فاعل الزلزلة وهو المسند إليه، وبناء الفعل على ما لم يُسَمَّ فاعله زاد في هول الحدث، وأوقع في النفس صورة تهزّ الكيان؛ يطير من هولها صواب كل إنسان؛ ذلك أن حذف الفاعل – للعلم به وهو الله تعالى – وطيّ ذكره يجعل تفكير الذهن مرتكزا على المادة الفعلية المفعولة؛ فيهتم الفكر بها، ولا يتشتت عنها؛ لما سَيُبْنَى عليها من أحداث عظام، وأمور جسام. وقد نتج عن حذف الفاعل وطيّ ذكره أنْ ضُمّت "الزّاي"؛ والضمة أقوى من الفتحة التي ستكون لو سُمّي الفاعل؛ فتقوّى الفعل بحرف الصَّفير المضموم؛ ثم ازداد قوة وعنفاً بكسره بعد اللام ذات الشمول العام؛ والكسرة

---

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٩.

(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٧٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٣٢.

(٤) يقول الألوسي في معنى (إذا زلزلت الأرض): " أي حركت تحريكاً عنيفاً متداركاً متكرراً " روح المعاني: ٣٠ / ٢٠٨.

أقوى الحركات وأشدّها؛ فانضمت قوة إلى قوة في هزّ وانحراف وأزّ، فكان المعنى المراد مُسْتَحْضَراً في صدى صوتي معبّر، زاد في دلالة حتمية وقوعه التعبير عنه بصيغة الفعل الماضي؛ الدال على وقوع الحدث والفراغ منه، مع أنه لم يقع بَعْدُ؛ وإنما سيقع في المستقبل؛ وهذا من التعبير عن المستقبل بصيغة المضيّ، تنبيهاً على تحقق وقوعه، فهو أبلغ وآكد في تحقق الفعل وإيجاده؛ وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء التي يستعظم وجودها [1]، فهو كالواقع حقيقة وفعلاً، على خلاف مقتض الظاهر [2]؛ والذي سوّغ هذا الخروج في التعبير هو النكتة الآنفة الذكر؛ مما يجعل ذلكم الحدث الهائل الشامل مُتَصوَّراً، ويجعل كلَّ مؤمن يعدّ العدّة له مُتَّقياً مُشْفقاً مُشَمِّراً؛ لذا أمر الله تعالى الناس أجمعين بالاستعداد لذلك الحدث، ووصفه بأنه شيءٌ عظيم؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١] .

هذا وينبغي أن يعلم أن حدث الزلزلة للأرض هو الحدث الأكبر الذي هو قاعدة الأحداث التالية له؛ فقد بدأت به مظاهر أهوال يوم القيامة؛ ثم تصاعدت، وترقت بعد ذلك، وتفرّعت عنه في تنام وتسارع وتتابع؛ تكشف عنه عناصر التعبير المؤثرة في بناء أحداث هذه السورة العظيمة.

٣- الاستغراق الشامل (الأرض):

إن تعريف [الأرض] بالألف واللام يفيد الاستغراق الشامل لجميع أجزائها؛ فلم يسلم ركن من أركانها، ولا جزء من جهاتها من الاضطراب والقعقعة؛ وهذا يرجّح بأن تلكم الزلزلة المذكورة في السورة هي زلزلة البعث بعد النفخة الثانية [3] لحساب العباد ومجازاتهم على أعمالهم؛ وكان بناء الفعل للمفعول وتسليطه على الأرض جميعها دليلاً على سهولة فعل الزلزلة ويسره جداً [4] على فاعله جلّ وعلا، مع ما يواكبه من أهوال وشدّة أحوال، وهذا يُصَعِّد الحدث في ذهن المتلقي، ويعظّمه في حق شاهد الحال وقتها، إذا عَلِمَ أنّ كلّ جوانب الأرض قد تَزَلْزَل واضطرب، وأن الحال غير الحال؛ فصار النظر مشدوهاً، والعقل مشدوداً إلى معرفة حقيقة ما جرى ويجري وإلى أين المآل؟.

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١٩٨.

(٢) انظر: شرح التلخيص: ٢٦٢ للبابرتي.

(٣) انظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٢.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٣٣.

٤- الإضافة (زلزالها):

إن مما يسترعي النظر في النظم الحكيم ليس هو تكرير مادة الزلزلة بمصدرها، فهو للتوكيد والتقرير، وإنما محل التدقيق هو إضافة مصدر الزلزلة المؤكِّد وقوعَها إلى ضمير الأرض، وكان مقتضى الظاهر أن يكون ذلكم المصدر مُطلقاً مُنَكَّرا، فيقال مثلاً: إذا زلزلت الأرض زلزالاً... فيكون الغرض منه تحقيق أمرين آخرين غير التأكيد، هما: التنكير المفيد للتعظيم. والإيجاز، ولكن الأبلغ هو ما عليه النظم الحكيم (إذا زلزلت الأرض زلزالها)، ولعل الغرض البلاغي الذي اقتضته الإضافة في سياق المعنى هو الإبانة عن الزلزال المخصوص بالأرض الذي قَدَّره الله لها، بناء على حكمته البالغة، فهو زلزال شديد آتٍ على جميعها متمكّن منها عَلَمٌ عليها متصل بها [١]، فهو في شدّته ليس وراءه ما هو أشدّ منه، فكل ما سواه ليس زلزالاً بالنسبة له، فالإضافة للعهد، ويجوز أن تكون للاستغراق، لأن زلزالاً مصدر مضاف، فيعم، أي: زلزالها كلّه، وهو استغراق قُصد به تصوير واقع الحدث الهائل، إذ تكون الأرض بسببه قاعاً صفصفاً، وذلك بانكسار ما عليها من الأبنية والأشجار، واندكاك ما فوقها من الجبال والأحجار. ويصير جميع ذلك هباء منبثاً، حتى تمهّد الأرض وتتسع لأهل الموقف، من الجن والإنس وصفوف الملائكة...، ولا تكون الأرض كذلك إلا بزلزال غير معهود [٢]، يليق بها ويناسب حجم تكوينها، ولا يعلم ذلك ولا يقدّره إلا الذي خلقها، وكَوّنَ طبيعتها.

ولو كان مصدرا مطلقاً منكّراً فقيل: زلزالاً...، لصدق على أي زلزال اشتد في عظمته أو قلّ، ولكن إضافته إلى الأرض صَعَدَت بمعناه عن ذلك، وارتفعت به إلى الزلزال اللائق بها الآتي على جميع أجزائها، فلم يعد يحتمل إلا هذا المعنى الذي جرى عليه النظم الحكيم.

٥- الإظهار في موضع الإضمار (وأخرجت الأرض أثقالها):

هذا الحدث العظيم وهو إخراج الأرض أثقالها ليس منفصلاً عمّا قبله بل هو متصل به، متزامن معه، لذا وقع التشريك بين الحَدَثَين من خلال الواو، التي أمَالت الثاني على الأول، فعطفته عليه، لارتباطه به، وتزامنه معه، وقد ترتب على ذلك صعود معنى جديد وظهوره

---

(١) انظر: حاشية محي الدين شيخ زادة: ٤ / ٦٨٥.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٨ / ٥٠٠.

في ساحة التدرج المعنوي في عناصر الترقي الواردة في السورة، ذلك أن إخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق سطحها، وقذف ما فيها من معادن ومياه وكنوز وصخور...، وذلك كله من تكرير الانفجارات الهائلة الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها واختلال سائر أجزائها، وانقلاب أعاليها أسافل والعكس [1]، فليس الأمر زلزلة فقط، بل صعود إلى ما هو أعلى في المعنى بأن أخرجت الأرض ما في باطنها مما لا يُكْتَنَه كُنْهُه، ولا يُحْصى عَدُّه، فزاد هذا في دهشة الإنسان، وأطار صوابه.

والذي يسترعي النظر في هذا الموضع هو إظهار [الأرض] في موضع يمكن إضمارها فيه، لتقدم ذكرها في الجملة الأولى، ولقربها منها، بحيث لم يستدع طول الفصل ذكرها مرة أخرى، ولكن خرج الكلام في نسق النظم على خلاف مقتضى ذلك، فأُظْهِرت [الأرض] باسمها، ولم يُكْتَفَ بضميرها العائد إليها عن رسمها، لأن المقام اقتضى ذلك، فالمقام مقام تهويل وتعظيم (٢)، فإسناد الإخراج إلى الأرض يزيد من الهول هولاً، ويقطع احتمال بقاء جزء منها محتفظاً بكنزه، لم يُخْرِج ثِقْلَه، ففي ذلكم التعبير زيادة تمكين للمعنى وتقرير للمضمون، كما أن فيه تثبيتاً للصورة في الأنفس ومزيداً من الإيضاح والجلاء لها، في موقف لا يحتمل الغموض ولا الإبهام، فالتعبير بالاسم الظاهر هنا والإسناد الصريح إليه دون الاكتفاء بضميره حقّق المعنى وعزّزه، ورقّاه وصعّده، وجعل الأنظار تتجه إليه، والعقول تفكّر في مآلاته ومراميه.

ومما يجدر النظر فيه وتأمُّل بناء النظم عليه هو مجيء الفعل في افتتاح السورة مبنيًا على ما لم يُسَمَّ فاعله، في حين جاء قرينه المعطوف عليه على عكسه، ولعل هذا ضرب من الطباق البديعي الخفي اقتضاه دقيق مقام الجملتين، بحسب الوظيفة المعنوية التي أنيطت بهما في بناء جسم المعنى العام في السورة الكريمة، فالجملة الأولى إخبار عن زلزلة هائلة فريدة في طبيعتها وشمولها وقوتها آتيةٍ على الأرض كلّها، فأُريد التركيز على فعلها ومادّته المرعبة، فطُوي ذكر فاعلها، للعلم بأنه لا يمكن أن يكون ذلك إلا بإذن مُكَوّنها وخالقها ابتداء، وهو الله جل في عليائه، فكأن خُطُورَه على الذهن مُحَصَّل بداهة، فاخْتُزِل وطوي، ليتوافر الفكر على التفكير في تلكم الزلزلة المضاعفة، فتغيرت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٤٣٣/٣٠.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٤٣٣/٣٠.

صورة بناء الفعل؛ وذلك بضم أوله، وكسر ثالثه؛ تصويراً لشدّة الواقعة وإشعاراً بعظمتها؛ من خلال نطق التعبير بها بالحركات الثلاث؛ الضمة المشعرة بقوّة الهزّة، ثم سكون يسبق الانهيار، ثم كسرة تؤذن بانكسار كل شيء وتحطّمه وتضعضعه، ثم وقعت الفتحة المؤذنة بانفتاح الأرض وانفراج باطنها؛ لتخرج أثقالها، وما حوته مما في باطنها؛ مما يشهد للعباد أو عليهم.

وأما الجملة الثانية المعطوفة على أختها المشتركة معها في المعنى فإن الإسناد فيها ظاهر للاسم الظاهر؛ ولم يُطوَ ذكرُه؛ بأن يُسنَد إلى ضميره، أو يُبنَى للمفعول ليتشاكل مع ما قبله؛ وإنما عُدل عن ذلك كلّه؛ فأُسند إلى الاسم الظاهر؛ لكون الأرض محلّ الإخراج في الأصل؛ ثم هي فاعلته على سبيل المجاز العقلي؛ بإسناد الفعل إلى مكانه، لا إلى فاعله الحقيقي؛ لشمول الإخراج كل جزء من الأرض؛ حسبما تقتضيه لام الاستغراق؛ فالاسم الظاهر هو مناط الفعل ومُلابِسُه؛ فالمعنى يتم به ويتقرر بذكره؛ فلا يغني عنه سواه، ولا يفي في المقام شيء عداه؛ فكان ما كان؛ مما جرى عليه دقيق النظم في آي القرآن.

ولكن ما مناسبة اختيار فعل الإخراج دون غيره؛ ليكون واقعاً بعد الإخبار بوقوع الزلزلة والاضطراب؟!.

إن مما سوّغ اصطفاء فعل الإخراج من بين سائر ما يدل عليه مما هو رديف له كالإظهار أو الإبراز أو الكشف أو غيره.. هو أن الاضطراب العظيم ينتج عنه كشف لما كان خافياً مستوراً [١] مما هو مستودع في الموضع المضطرب؛ وفعل الإخراج هو الأليق الأنسب لمثل هذا العمل؛ لما فيه من اجتماع القوة في مخارج حروفه الحلقية الأولى، والعمل نفسه يحتاج إلى قوة متميزة؛ تخرج المكنوز من الأسفل إلى الأعلى؛ على صورة مخارج الكلمة أسفل الحلق إلى طرف اللسان؛ وفي معنى الفعل إظهار للمستور، وكشف للمخبّأ. كما أن فيه دلالة على عمق مكان الأثقال المراد إخراجها؛ فليست العملية إظهاراً أو إبرازاً أو كشفاً فقط؛ فإن ذلكم يسير؛ وإنما العمل يفتقر إلى انتزاع وزعزعة وزحزحة واقتلاع من جوف الأرض؛ وهذا الفعل بتلك المعاني المذكورة يؤديها

---

(١) انظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٤.

الفعل [أَخْرَجت]؛ وقد تضمّن مع ذلك معاني ما ذكر مما يُظَنّ أنه من مرادفاته؛ فساغ عطفه على ما سَهّل مخرجَه ومهد له، وهو فعل الزلزلة الآتية على أركان الأرض وثوابتها؛ فكان كالنتيجة التي مُهّد لها بذلكم الفعل العظيم؛ فأسهم بدلالته تلك في رقي المعنى وتصعيد ظلاله.

ولكن ما المراد بأثقال الأرض التي أخرجتها ؟ ولم سلك في ذكرها سبيل الإضافة ولم يسلك سبيل التنكير؛ ليندرج فيه كل ما كان ثقيلا؟!.

لعل مقام المعنى هو الذي اقتض ما عليه النظم؛ فإن الأثقال: جمع ثِقْل، والمراد به في الآية ما كان مدفوناً في الأرض، كالأموات والكنوز التي كان أمرها ثقيلاً على الناس [1]؛ فتنبعث وتخرج متأثرة بذلك الزلزال؛ ويعطي الله الأرض قوة على إخراج ما يتوقف عليه الحساب والجزاء مما كان كامناً مستقراً في جوفها الأرض؛ فيكون هذا مشهداً جديداً يصعد على السطح، ويترقى في مشاهد يوم القيامة المثيرة؛ وإضافة الأثقال إلى ضمير الأرض إضافة تخصيص وتحديد؛ خَصَّصت نوعاً من الأثقال وحدَّدته؛ فليس المقصود كلّ ثقيل ومدفون مما يقتضيه التنكير؛ وإنما المراد ما يقوم عليه موقف الحساب والجزاء؛ من الموتى وما تعلق بهم؛ مما يَشْهَد للمرء أو عليه؛ حسبما تقتضيه إقامة العدل وإظهار القسط بين الناس؛ ليحيى من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بيِّنة.

٦- الإسناد في جملة [وقال الإنسان...]:

لما كان تعجب الإنسان من هول ما يقع نتيجة منطقية مترتبة على تصاعد تلك الأحداث، متفرعة عنها مترقية عليها جاء عطف حكاية حاله على ما تقدمها؛ لاشتراكها معها، ولكونها من وقائع ذلك اليوم العظيم؛ وخُصّ الإنسان بالذكر دون غيره؛ لكونه مدار الحدث، وموضع الأحداث، ولأنه هو الذي حُمِّل الأمانة فتحمّلها من بين سائر المخلوقات؛ فاقتضى ذلك إيقافه على حقيقة أمره؛ إن خيرا فخير؛ وإن شرا فشر؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ وفي ذلك اليوم يتبيّن مَنْ حَمَل أمانة التكاليف فأدّاها حقاً على وجهها، ومن ضَيّعها عبثا ولم ينهض بها؛ وأعضاء الإنسان وبقاع الأرض تشهد له أو عليه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٤ : ٢٥].

---

(١) انظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٤، وانظر: روح المعاني: ٣٠ / ٢٠٩.

وغنيّ عن البيان أن حكاية القول بالفعل الماضي [وقال] مع كونه لم يقع، وإنما هو من جملة ما سيقع في المستقبل للدلالة على تحقق وقوعه وأنه كالواقع المحكي المفروغ من فعله، والذي قصّ ذلك وذكره هو مَنْ خلق الإنسان، وقدّر ما له وما عليه وما سيؤول أمره إليه وما سيجري عليه من مشاهد وأحداث، فذكره سبحانه بصيغة الماضي لتربية الاستعداد عند كل عاقل من المكلّفين وتنميته، حتى يُعدَّ العُدَّة ويأخذ الأُهبة ليوم تشيب من هوله الولدان: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧] ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وهل المقصود بالإنسان الكافر؟ أو هو شامل لمن يصدق عليه وصف الإنسان؟ الأرجح هو الاستغراق الحقيقي لكل فرد من أفراد الإنسان؛ لما يَبْهرهم من الطامّة العَامَّة، ولما يَغْشَاهم من الداهية اللامّة [1]، وهذا دليل على أن الأمر قد تفاقم وتصاعد، وأن الذهول قد عَمّ وطَمّ ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

٧- الاستفهام [.. ما لها] ودلالته المقامية:

إن السؤال الذي أطلقه الإنسان في ذلكم الموقف العصيب اتسم بالإيجاز وشدة الهلع: [مالها] وقد لا يكون مُوجَّهاً لواحد بعينه؛ وإنما هو من الإنسان المتسائل نفسه لنفسه؛ تهويلاً وتفظيعاً وذهولاً، فأما المؤمن فيقول بعدما يتدارك الأمر ويرجع إليه عقله بعد ذهوله: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وأما الكافر فيستمر في سكرته ويتخبّط في حيرته، ويحشر أعمى كما كان في الدنيا عن الهدى أعمى [2]، ومضمون ذلكم السؤال هو علامة على ترقي المعنى في نفس السائل وصعود أثره إلى حدّ الدهشة والانفعال؛ تعجّباً من هول الأحداث وتغيّر الأحوال، فأسهم هذا الإنشاء الطلبي في رسم الخط البياني لحالة الصعود النفسي لدى كل إنسان في ذلكم الموقف الرهيب، الذي تتصاعد فيه الأحداث بشكل لم تعهده الأذهان ولم يقع مثله في غابر الأزمان.

---

(١) انظر: روح المعاني: ٣٠ / ٢٠٩، والتحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٣٣.

(٢) انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة: ٤ / ٦٨٥.

٨- ظرف الزمان وأثره في استدعاء الحدث ونقل صورته:

إن التصعيد النفسي الذي دَلّ عليه سؤال الإنسان عن حال الأرض بعد تغيير أحوالها بقوله [ما لها] يتطلب جواباً يرقى بالنظم في سُلّم المعاني، فكان الجواب كامناً في قوله سبحانه: [يومئذ تحدث أخبارها] [1].

وهذا الظرف المركّب من "يوم" المضاف إلى "إذ"، [يومئذ] بدل من "إذا" التي افتتحت بها السورة، والعامل فيها وفي بدلها هو الفعل الواقع بعدهما [تُحدِّث] [2]، وهو مكمن الإثارة المعنوية، فقد ترقّى هذا المعنى بالأحداث إلى نطق الجمادات، من مواضع الأرض وأجزائها، بأن أصبحت هي تحدّث بما فُعل عليها من خير أو شر، وهي أبلغ الشهادات وأقوى البيّنات على أفعال الإنسان التي صدرت عنه، وهو من معاني قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]. ثم إن تنوين العوض اللاحق لـ "إذ" في [يومئذ] له أثره في ترقية المعنى وتهويله واستحضار صورته، فقد أشار هذا التنوين إلى جمل جاء هو عوضاً عنها، ليُبْرزها في موضعها الذي اقتضى المقام لَمْحَ مضمونها، ليقوم عليها مبنى ما بعدها ومعناه، وتقدير الجمل المحذوفة المعوَّض عنها بالتنوين: يوم إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت أثقالها وقال الإنسان ما لها تحدث الخَلْقَ بما عندها من الأخبار، كلٌّ بحَسَبِه [3]. وهل هذا التحديث المسند إلى الأرض حقيقي أو هو مجازي ؟ الجمهور على الأول [4]، وهو مقتضى الظاهر، ويعضده ما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قَرَأَ رسول الله ﷺ هذه الآية [يومئذٍ تحدث أخبارها] قال: أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا، كذا وكذا، قال: "فهذه أخبارها [5]". واستقرار هذا المعنى في نفس المؤمن واستحضار

---

(١) انظر: جامع البيان: ١٥ / ٢٦٦.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٨ / ٥٠٠.

(٣) انظر : روح المعاني: ٣٠ / ٢١٠، وانظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٥ .

(٤) انظر: التفسير الكبير ٣٢ / ٥٩.

(٥) أخرجه الترمذي: ٥ / ٤١٦، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب، كما أخرجه الحاكم: ٢ / ٥٣٣، وأحمد: ٢ / ٣٧٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٦ / ٥٢٠، انظر تخريج الحديث المذكور مع كلام المحققين عليه في هامش اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٤٤٦ – ٤٤٧.

حقيقته من أعظم ما يربي المهابة في قلبه، ويباعد بينه وبين معصية ربه، كما أنه أعظم حافز له على فعل الخيرات وعمل الطاعات في أيام حياته وفي شتى بقاع الأرض ما أمكنه ذلك؛ لأنها ستشهد له وتخلّد ذكره وتنطق بفعله يوم العرض الأكبر الذي تستعرض السورة الكريمة مشاهده. وفي الوقت نفسه جهل الإنسان – أيّاً كان – بهذه الحقيقة الواقعة يفضي به إلى الفساد في الأرض – غالباً – ثم الفضيحة بعدئذ على رؤوس الأشهاد.

٩ – **حروف المعاني وأثرها في الترقي والإقناع:**

حروف المعاني كلمات تدل على معنى في غيرها [١]، بحسب مقتضيات المقام ومتلطبات السياق الذي يورد في شأنه الكلام، ونجد في قوله تعالى: [بأن ربك أوحى لها] ثلاثة حروف، أسهمت في ترقية المعنى الذي نهضت عليه سورة " الزلزلة " وأول هذه الحروف هو: الباء، وأظهر ما تكون في تصدير الآية بها أنها تعليل وبيان للسّبب الذي جعل الأرض تحدّث بأخبار ما فُعل عليها من خير أو شر، فدلّ معناها على أن مدخولها بيان وتفسير لسبب ما قبلها؛ لذا امتنع وصل مدخولها بالواو بما قبلها؛ لوقوعه جواباً عن سؤال منقدح من جملة الآية السابقة عليه، ومضمونه: ما سبب تحديث الأرض بأخبارها ؟ فكان جوابه: [بأنّ ربك أوحى لها]. وثاني هذه الحروف هو " أنّ " التي أضفت على المعنى الذي دخلت عليه توكيداً وتصعيداً، وذلك عندما قَوّت جملة الإسناد الخبري، الذي سيق معناه تعليلاً وبياناً لكون الأرض ناطقة بأخبار الخلق، والسبب هو أن الله الذي خلقها – جلّ في علاه – أوحى لها بأن تنطق شاهدة بما فُعل عليها، فيكون أقوى في الإقناع وألزم في الحجة وأظهر للعدل في مقام الحساب والجزاء، وزاد في لطف المعنى وتقريره اصطفاء عنوان الربوبية وإضافته إلى ضمير المخاطب ليكون اسماً لـ " أنّ "، ودلالته في سياق تصعيد المعنى تفيد أن السيد المالك لشؤون الدنيا والآخرة، المحسن إليك وإلى الخلق أجمعين، العادل بينهم هو الذي أوحى للأرض بما من شأنه إحقاق الحق وإزهاق الباطل [٢] ومجازاة كلٍّ بما يستحقه في أول دار المكافأة والجزاء بعد فراق دار العمل والابتلاء ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠.

(٢) انظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٦.

وثالث هذه الحروف اللام في قوله: [أوحى لها]. وهي هنا لانتهاء الغاية [1]، بمعنى " إلى"، وإنما عُدِلَ عن الأخيرة إلى الأولى إيذاناً بالإسراع في الإيحاء مما يكسب المعنى قوة ومهابة، فقال [لها] [2] دون [إليها]، وفي ذلك مراعاة لفواصل الآي [3]، وإحكام التناسب في نظمها وتناسق أواخرها.

١٠- الفعل المضارع والحال في ترقية المعنى وتصعيده:

لقد صُدّرت الآية التالية بالظرف في قوله تعالى: [يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم] وهذا الظرف شديد الصلة بنظيره السابق، الوارد على نَسَقِه [يومئذٍ تحدّث أخبارها]، فهو بدل من جملته، وفيه تصعيد للمعنى ومزيد إظهار لمجريات أمور ذلك اليوم العظيم، والذي تولى كشف المعنى وإبراز هيئة إخراج الناس من قبورهم هو الفعل المضارع [يصدر] المسند إلى الناس كافة، مؤمنهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم، ودلالة الفعل المضارع اللغوية تفيد استحضار صورة الحدث ورسمها أمام المتلقي، ليتملّى مشاهدها، ويستصحب تبعاتها، ومن المعروف أن الصدور ضد الورود، فالوارد هو الجائي، والصادر هو المنصرف، فاللفظ القرآني يحتمل أمرين، أحدهما: أن الخلق يردون الأرض أمواتاً ثم يصدرون من قبورهم إلى عرصات القيامة أحياء للجزاء والحساب.

والآخر: أن الخلق يردون عرصات القيامة للمحاسبة والمجازاة ثم يصدرون عنها إلى مواضع الثواب أو العقاب [4].

ولا شك في أن مرحلة الصدور هذه هي مرحلة بلغ فيها المعنى رقيّاً إلى الغاية العليا من مقاصد هذه السورة العظيمة، وصعدت فيها أنفاس الناس وأنفسهم إلى الذروة العظمى، وكانت تلك المراحل المتقدمة كالتمهيد لها وكالتوطئة لورودها، وأعان على كشف صورتها مجيء الحال [أشتاتاً] كاشفاً عن هيئات الناس ومساراتهم، فهم يصدرون متفرقين لا يلوي أحد على أحد، وذلك بحسب مراتبهم ودرجاتهم في الذوات والأحوال والأعمال من مؤمن وكافر، وآمن وخائف، ومطيع وعاص [5]، متجهين بعدئذٍ إلى

---

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٩٩.

(٢) انظر: نظم الدرر: ٢٢ / ٢٠٦.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٨ /٥٠١.

(٤) انظر: التفسير الكبير ٣٢/ ٦٠.

(٥) انظر: نظم الدرر: ٢٢/ ٢٠٧.

شرفاتهم أو دركاتهم، التي قسمها الله تعالى لهم بعدله وفضله، فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنّة فقد فاز.

ثم إن الذي حدّد علّة صدور الناس متفرقين وبيّن غايته هو حرف التعليل اللام [ليُرَوا]، فهو متعلق بفعل الصدور مرتبط به [1]، ودلالة حرف التعليل المعنوية ظاهرة وأثره النفسي في تصعيد المعنى متمكن، فقد ربط بين فعلين مضارعين، الأول هو [يَصْدُر] مبنياً للفاعل مسنداً إلى الناس، لأنهم موضع الحدث ومحلّه، والثاني [يُرَوا] مبنيّاً لما لم يُسَمَّ فاعله، فقد حذف الفاعل، ونكتة حذفه هي أن المقصود الأعلى هو رؤيتهم أعمالهم وإيقافهم على حقيقتها لا تعيين مَنْ يُريهم إياها [2]، ولهذا يكون اهتمام المتلقي منصباً على الأهم، الذي اصطفي من أجل كشف معناه الفعل المضارع، ومن مهامه اللغوية استحضار الصورة المعنوية وتقريبها للأذهان، حتى كأنها رأي عيان، فإن المقصود الأعظم هو إيقاف الخلق، كلّ بحسبه على حقيقة عمله، وهنا ذروة الصعود النفسي لدى كل مكلّف، فآخذ كتابه بيمينه يكون سعيدا سعادة أبدية، وآخذ كتابه بشماله يكون شقياً شقاوة سرمدية.

وقد وردت قراءة أخرى بفتح ياء المضارعة [ليَرَوْا] ببناء الفعل للمعلوم [3]، مسنداً إلى واو الجماعة العائدة على الناس، فيكون فيها تأييد لمضمون قراءة الضمّ، ونوع الرؤية هنا الأعم الأغلب في معناها أنها بصرية، لتعديها إلى مفعول واحد [4]، ثم إن المقصود فيها يتوصل إليه بصورة أيسر وأسهل من قراءة الضم، ولما كانت أعمال الخلق أجناساً وأشتاتاً سواء كانت خيراً أو شراً وقع المفعول به مجموعاً في قوله [أعمالَهم] فالمؤمن له أعمال صالحة منوّعة، من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو برّ أو صلة أو علم أو غيره.. وللكافر أعمال طالحة متفرّقة من كفر أو عهر أو ظلم أو جرم أو شرب أو بغي أو فساد أو غيره.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٨/ ٥٠١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٣٥.

(٣) انظر: الكشاف: ٤/ ٢٢٨، والبحر المحيط: ٨/ ٥٠١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٤٥٠.

(٤) انظر: روح البيان: ١٠/ ٤٩٤.

وكل هؤلاء وأولئك على أعمالهم موقوفون وبأعمالهم مجزيون في يوم العرض العادل، الذي تكشف هذه السورة أمره.

١١- الترتيب والتعقيب:

إن من معاني الفاء أن تكون لترتيب المعنى، بأن يكون ما بعدها مترتّباً على ما قبلها متصلاً به قائماً عليه [1]، وهذا ما نجده في المعنى الذي تتحدث عنه السورة، متمثلاً في قوله تعالى: [فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره..]، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور عن الآية المذكورة آنفاً: "تفريع على قوله [ليروا أعمالهم] تفريع الفذلكة، انتقالاً للترغيب والترهيب بعد الفراغ من إثبات البعث والجزاء، والتفريع قاض بأن هذا يكون عقب ما يصدر الناس أشتاتاً" [2]، ودلالة فاء العطف على الترتيب والتعقيب في النظم ظاهرة، فإن رؤية كل عامل نتيجة عمله في الدنيا تكون في ذلكم اليوم العصيب، فمن كان عاملاً عمل الخير – مهما كان قدره – فإنه يرى جزاء عمله موفوراً مشكوراً، ومن كان عاملاً عمل الشر – مهما كان قدره – فإنه يرى جزاءه مقدّراً محصوراً، تشهد عليه الأزمنة والأمكنة والوقائع والأعضاء، وبهذا كان من شأن الفاء ترتيب أصناف الناس وتوزيعهم على حسب أجناس أعمالهم من خير أو شر على ما سبقها، فكان لها أثر في تصعيد المعاني وانتظام المباني على وَفْق ما تقدم في النظم الحكيم، وهي أيضاً تقتضي التعقيب الفوري، بعدما تنكشف الأغطية وتظهر حقيقة كل عبد على بيضاء نقية من غير ظلم ولا هضم، فمن عمل الخيرات في الدنيا يجدها ويرى آثارها، ومن عمل السيئات يلقاها ويعاين عواقبها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

١٢- الشرط والجزاء:

لقد جرى توظيف أسلوب الشرط وجزائه في السورة الكريمة في مقام خاتمتها توظيفاً أسهم مع الفاء في إبراز نتيجة الزلزلة، وأبان عن حصيلة إيقاف كل إنسان على ماهية عمله في صورة مذهلة، تقوم عليها الشواهد الناطقة وتقررها البراهين الصادقة، فوقع أسلوب الشرط بأداته وجملتيه في تصعيد المعنى والوصول إلى قمته موقعاً عجيباً في تقسيم الناس بحسب نتائج أعمالهم وفرز مآلاتهم، قسمةً لا تقبل الخلط

---

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٦٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠ /٤٣٦.

ولا يتسرب إليها الاضطراب، مبنية على طبيعة العمل الدنيوي، مؤسَّسةً عليه، فمادة العمل دنيوية، ونتيجتها أخروية، وقانونها الجزاء من جنس العمل، بعد البيان والإعذار في الحياة الدنيا، [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره]، فتأمل كيف وُظّف جواب الشرط وهو نتيجة تقع في الآخرة ليكون حافزاً على فعل الخير — الذي هو فعل الشرط — لكل ذي لبّ ليغتنم حياته في الدنيا في عمل ما يرفعه ويصعد به في تلك المقامات التي تنقطع فيها سائر الأعمال ولا تنفع فيها الآهات ولا الزفرات ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وتعد تلكما الآيتان اللتان تضمنتا أسلوب الشرط بجملتيه أحكم آيتين في القرآن، كما نص عليه ابن مسعود ﷺ[١]، ويروى عن كعب الأحبار أنه قال: لقد أنزل الله تعالى على محمد ﷺ آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره][٢]، وكل من صحّت عربيته وفقه المعاني يدرك ما فيهما من باعث وحافز وزاجر، فقد روي أن صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق أتى النبي ﷺ يستقرئه، فقرأ عليه هذه الآية، فقال: حسبي حسبي، إن عملت مثقال ذرة خيراً رأيته، وإن عملت مثقال ذرة شراً رأيته[٣]. وفي رواية أنه قال بعدما سمع ذلك: لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها، حسبي فقد انتهت الموعظة[٤]. ومن أرق الناس فؤاداً وأحسنهم إدراكاً أبو بكر ﷺ فقد روي أن سورة الزلزلة نزلت وهو يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترك أبو بكر الأكل وبكى، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا بكر ما يُبْكيك؟ قال: يا رسول الله: أَوَ أُسألُ عن مثاقيل الذرّ؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر ما رأيتَ في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذرّ الشرّ، ويدّخر الله لك مثاقيل الخير[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٧٢٤٢.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٤٥٣.

(٣) انظر: النكت والعيون تفسير الماوردي: ٦ /٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٧٢٤٣.

(٥) انظر: المحرّر الوجيز: ١٥/٥٤١، وانظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٤٥٠-٤٥١: الحاشية، ففيها تخريج للحديث وذكر لشواهده. وهي بطرقها لا ترقى إلى درجة الصحة، فالله أعلم.

١٣- التمييز:

هذا الأسلوب يقوم في مدلوله على الفصل والتحديد ورفع الإبهام عن الشيء [١].

ويسمى أحياناً: التبيين أو التفسير؛ لأن هذه مهمته [٢]، وقد بانت هذه الوظيفة في التمييز وتجلت في قوله تعالى [خيراً] في سياق جملة الشرط: [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره]؛ فإنها تمييز على الأظهر الأرجح [٣] لـ [مثقالَ ذرة] لأنه مقدار مبهم فسّره [خيراً] في جانب الصالحات، و [شراً] في جانب السيئات في قوله تعالى [ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره].

وبذلك نلحظ أن "التمييز" في جملة النظم الحكيم قد أسهم في تصعيد المعنى إلى ذروة المنتهى في تحديد مسار الناس يوم العرض الأكبر، وذلك بناء على عواقب أعمالهم ونتائج أفعالهم، من خلال معيار الخير والشر، المحدَّد لهم سلفاً في الحياة الدنيا، ذلك أنه ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ فكل واحد من البشر سيجد أمامه حصاد عمله متميزاً ومُمَيَّزاً، فمن زرع الخير حصد ثماره ورآها ماثلة أمامه، وتَحَدَّد مصيره بناء عليها برحمة الله تعالى، ومن زرع الشر حصد آثاره، وتمثَّلت له، ولم يستطع الفرار من عواقب مآتيه.

فجاء "التمييز" بهاتين النكرتين [خيراً] و [شراً] المحدِّدتين لنوعية المقادير الموضِّحَتين لطبيعتها - جاء حَدّاً فاصلاً لتمييز فئات الناس، ورسم مسار اتجاههم، إما إلى النعيم، وإما إلى الجحيم، كما جاء هذا "التمييز" نهاية التصعيد المعنوي لأحداث سورة "الزلزلة"، إذ بناء عليه عرف كل فريق مصيره، ورأى كل عامل حقيقة أعماله في الدنيا، فكُشِفت الحجب وأزيلت الأستار، ونطق ما كان ساكتا، وشهد ما كان عاطلاً، وبان ما كان غامضاً، وانماز العباد فريقين، فآخذ كتابه بيمينه، فينقلب إلى أهله فرحاً مسروراً، وآخذ كتابه بشماله مضطرباً حائراً مدحوراً.

* * *

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة: ميز.

(٢) التمييز عند النحاة: نكرة منصوبة - في الأغلب - فضلة، بمعنى من التي للبيان، انظر: النحو الوافي: ٤١٧/٢، وموسوعة النحو والصرف والإعراب: ٢٧٠.

(٣) انظر: الدر المصون: ٥٥٦/٦، وذكر السمين في الصفحة نفسها رأياً مرجوحاً هو البدلية من [مثقال].

الخاتمة:

وبعد، فإني أحمد الله تعالى على ما يسّر من إتمام هذا البحث في صورته العلمية، التي استهدفت بيان أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في واحدة من سور القرآن الكريم، وهي سورة " الزلزلة "، وهي مثال حي وبيان ناطق لهذا الأسلوب البياني الدقيق الذي يتَخلل النظم القرآني في كثير من القضايا التي عرضها وبسط مجالاتها في أثناء خطابه للناس أجمعين.

ويحسن في خاتمة هذا البحث أن أجمل أبرز ما تَحَصَّل من نتائجه في ضوء تطبيق أسلوب الترقي وتصعيد المعاني على الموضوع القرآني الذي عرضته سورة " الزلزلة "، وذلك على النحو الآتي:

١- تبيّن من المعنى اللغوي للترقي والتصعيد أن بينهما معنى مشتركاً لطيفاً، كما أن بينهما فرقاً معنوياً طريفاً، فكل ترقٍّ يتخلله صعود وينتهي به، وكل صعود يبدأ بترقٍّ وينهض به، فأحدهما بداية للآخر، والآخر نهاية له، لذا جرى وسم البحث بهما مقترنين.

٢- أن الترقّي يكاد يَنْزِع ويظهر في الحسّيات، وأما التصعيد فيكاد يغلب ويتبيّن في المعنويات، مع شيء من التلازم بينهما.

٣- أن مصطلح " الترقّي " لم يكن من جملة ما نضج وظهر من المصطلحات البلاغية المعروفة عند أرباب الدراسات البيانية من ذوي التأصيل المنهجي، وإنما ورد في صورة إشارات عامة في مواضع علمية متفرقة في أثناء التنقير عن أسرار التنزيل في آي الذكر الحكيم، في مقامات التقديم والتأخير، وترتيب المفردات، وتقديم الأولى.. وهكذا.

٤- يعد عبد القاهر الجرجاني وجار الله الزمخشري من أوائل من ذكر هذا الأسلوب وألمح إلى دلالته وألمع إلى بلاغته، ولكن من غير إشهار ولا استكثار.

٥- أن أسلوب الترقّي وتصعيد المعاني أصدق ما يكون في القضايا الكلية ذات المعنى الواحد، فبه تكتمل القضية، ومن خلاله تستتم في تدرج بيّاني ذاتي وتنامٍ معنوي دلالي، يقتضيه مقام المعنى، وتخدمه أدوات اللغة ومفرداتها، حتى ينتظم المعنى ويتكامل بداية ونهاية في نظم لغوي مبهر، ذي أثر بلاغي آسر.

٦- أن سورة "الزلزلة" ذات موضوع كوني واحد؛ تجلّى فيها أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في صورة بناء لغوي متناهٍ في الدقة والإحكام؛ ترقّت فيه المعاني وتناسلت في تصاعد وتنام، حتى وصلت الذروة وعلت إلى الغاية، في تصوير بياني متصاعد؛ صعدت معه أنفاس الناس، وطار صوابهم في خضم أهوال تلك الأحداث الهائلة، إلى أن انمازوا بحسب أعمالهم ذات اليمين وذات الشمال؛ فكانت هذه السورة من أمثل ما يمثّل هذا الأسلوب ويجلّيه، ولذا وقع الاختيار عليها دون غيرها.

٧- أن أسلوب الترقي وتصعيد المعاني في النظم القرآني تتضافر فيه جميع العناصر اللغوية والنحوية، كما تلتئم فيه عناصر البلاغة وأساليبها في جميع علوم البلاغة الثلاثة – المعاني والبيان والبديع–، حتى تصل بانتظامها – بحسب المقام – وتضامّها إلى درجة التأثير البلاغي المعجز.

٨- أن دلالة المادة اللغوية القرآنية، معنىً وجرساً وتجويدًا وصوتاً لها أثرها البالغ في ترقي المعنى المراد تصعيده في نطاق السياق؛ يوازي أو يُكمّل العناصر النحوية والبلاغية العامرة فيه؛ وهذه وتلك تخدم مقاصد النظم الحكيم وتحققه في أبهى صورة، وأجمل أسلوب وأوفاه.

٩- أن الصلة وطيدة مكينة بين البلاغة والنحو؛ فالبلاغة وثمارها نتيجة طبعية لإقامة قانون النحو وتطبيق قاعدته، فما النظم في دقائقه إلا نحو معلل في جملته [١]؛ فتعليل الظواهر النحوية والتنقير عن أسرارها يفضي إلى نكات بلاغية لطيفة وأسرار بيانية دقيقة؛ لذا فإن من رام البلاغة من غير هذا الباب فقد عطل الأسباب، وعثر دون الظفر بلطيف الجواب.

١٠- أن العمل بأسلوب "الفنقلة" [٢] في التعامل مع النظم القرآني مما يثري الأسرار ويكشف دقائق الأستار عن حقائق الإعجاز، وبه ومن خلاله تستبين فروقات التعبير في أسلوب الترقي والتصعيد، ويظفر الباحث من خلاله بدرر مكنونة وجواهر نفيسة مصونة، ما كانت لتنجم لولا ذلك، وهذا ما وَفّق الله إليه وهدى، فجرى معظم

---

(١) انطر: النظم القرآني في آيات الجهاد: ٦٠٢.

(٢) الفنقلة: كلمة منحوتة من: فإن قلتَ لم عبر بكذا دون كذا – مثلاً –؟ فأقول: الجواب: كذا وكذا، وهذا الأسلوب اشتهر به الزمخشري في تفسيره: الكشاف، فنسب إليه ونقل عنه.

تحليل السورة عليه؛ فلله الحمد والمنة على ما فتح ويسّر ولطف. وأستغفره وأتوب إليه عما زل فيه الفهم أو شرد أو خطف.

* * *

فهرس المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٣- البلاغة العربية؛ لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني؛ دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٤- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان / للعلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيّبي، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن / لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤ هـ) تحقيق: د. حفني شرف، ١٩٦٣م.

٦- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور؛ مؤسسة التاريخ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧- تفسير القرآن العظيم؛ للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي؛ حققه: مصطفى السيد محمد وزملاؤه، دار عالم الكتب، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٨- التفسير الكبير للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (– ٣٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشروق، بدون تاريخ.

١١- الجنى الداني في حروف المعاني / للحسن بن قاسم المرادي؛ تحقيق: د. فخرالدين قباوه والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٢- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير – ديار بكر – تركيا، بدون تاريخ.

١٣- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدّوري الحمد، دار عمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي، حققه الشيخ علي محمد معوض وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٥- دلائل الإعجاز؛ للشيخ عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٦- روح البيان؛ للشيخ إسماعيل حقي البروسي؛ دار الفكر، بدون تاريخ.

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨- شرح التلخيص؛ للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابرتي المتوفى سنة ٧٨٦هـ، تحقيق: د. محمد مصطفى رمضان صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع؛ طرابلس – ليبيا.

١٩- شروح التلخيص، لسعد الدين التفتازاني وابن يعقوب المغربي، وبهاء الدين السبكي؛ دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري؛ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان بالرياض؛ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢١- اللباب في علوم الكتاب؛ لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى في سنة ٨٨٠هـ؛ حققه: د. محمد سعد رمضان حسن وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٢- لسان العرب؛ لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، منشورات دار الرافعي بالرياض، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق عطية الأندلسي، تحقيق: السيد عبد العال السيد إبراهيم، طبع على نفقة الشيخ: خليفة بن حمد آل ثاني، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٥- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (- ٥٠٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٧- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٢٨- موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إيميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.

٢٩- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه: السيد عبد المقصود بن إبراهيم، مكتبة المؤيد بالرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٠- النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.

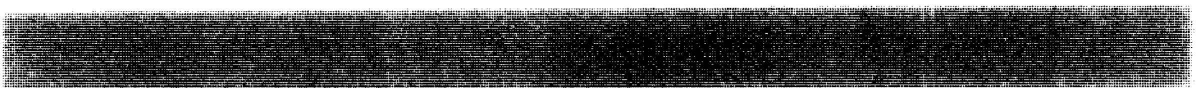
٣١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٢- النظم القرآني في آيات الجهاد، لناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

* * *

التوظيف الإسلامي للرواية
(مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجاً)

د . علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



التوظيف الإسلامي للرواية
(مهما غلا الثمن لعبد الله العريني أنموذجاً)

د . علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

عملت هذه الدراسة على أن تضع بين يدي القارئ أنموذجاً عملياً لتوظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية. ووقفت عند الإمكانات الفذة التي تمتلكها الرواية في حمل المضامين وإيصال الرسائل. وكانت رواية (مهما غلا الثمن) هي ذلك الأنموذج، إذ سعت إلى توظيف عناصرها الموضوعية والفنية في نشر المعتقدات الإسلامية الأصيلة، وفي تقديم صور مختلفة للأسرة المسلمة وللمرأة المسلمة عمّا شاع في كثير من نماذج الرواية العربية الحديثة.

وحرصت الرواية على تقديم المضامين السامية الهادفة مع محافظتها على المستوى الفني المطلوب في الفن الروائي. ويحسب لها ابتعادها عن الاستعانة بأساليب التشويق المبتذلة الرخيصة الشائعة في كثير من الروايات الحديثة، فجاءت الرواية خاليه من تجسيد مواقف الجنس والرذيلة. وهذا يجعلنا نقدم هذه الرواية ومثيلاتها إلى القراء بكل اطمئنان، وبخاصة إذا علمنا أن فئة الشباب هم أكثر فئات المجتمع إقبالاً على قراءة هذا الفن.

وأكدت الدراسة أهمية الاستعانة بكل الوسائل الممكنة، ومنها الرواية، لنشر المعتقدات الإسلامية، ومحاربة الأفكار الفاسدة، ونقد جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد،وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد:

فقد أضحى الفن القصصي بعامة، والفن الروائي بخاصة، من أكثر الأجناس الأدبية شيوعاً وانتشاراً، وأصبح وسيلة من الوسائل المهمة لنشر الأفكار والمعتقدات؛ نظراً للإمكانات الفذة التي يمتلكها.

ولنا في القرآن الكريم الأسوة الحسنة، إذ كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة لتحقيق غاياته العقدية والتربوية.

والدراسة التي أقدمها تتجه إلى تقديم أنموذج للتوظيف الإسلامي للرواية في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية، ويتمثل هذا النموذج في رواية (مهما غلا الثمن)[1]، وهي الرواية الثانية من سلسلة روايات الأدب الإسلامي التي شرع في إصدارها الدكتور (عبد الله بن صالح العريني)، وقد صدرت منها حتى وقت إعداد هذه الدراسة أربع روايات، وتمت إعادة طباعة الروايتين الأوليين ثلاث طبعات، وذلك في غضون خمس سنوات تقريباً[2]. وفي هذا دلالة واضحة على وجود قرّاء واعين ينشدون الأعمال الروائية ذات المضامين الهادفة.

لقد استفادت رواية (مهما غلا الثمن) من إمكانات الفن الروائي في تقديم رواية إسلامية هادفة، وظفت عناصرها في تقديم صورة حقيقية للمجتمع الإسلامي الأصيل، مع حرصها على المحافظة على متطلبات الفن. وساعد على ذلك كون صاحب الرواية قد تعايش مع الفن الروائي: نقداً وإبداعاً،إذ درس في مرحلة الماجستير(الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية)[3]. وقد أسهمت هذه الدراسة في وقوفه عن كثب على إمكانات الفن القصصي بعامة والرواية بخاصة، وقدرته على حمل المضامين وإيصال الرسائل. وبوصفه أستاذاً للنقد الأدبي ومنهج الأدب الإسلامي، في كلية اللغة العربية،

---

(١) دار إشبيليا – الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

(٢) صدرت الطبعات الثلاث للروايتين بين عامي (١٤٢٠ – ١٤٢٤هـ).

(٣) نوقشت الرسالة في (٢٣ / ١ / ١٤٠٧هـ). وقد صدرت طبعتها الأولى في كتاب عام ١٤٠٩هـ من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

تشكلت لديه رؤية واضحة حول أهمية هذا الفن وقدرته على حمل الرسائل وإيصال المضامين، وخبر الجوانب الفنية التي تُراعى عند كتابة الرواية، فاتجه إلى خوض غمار هذا الفن، فأصدر أربع روايات إسلامية هادفة. ومن خلال الإهداء الذي نطالعه في روايته الأولى (دفء الليالي الشاتية)، تتضح رؤيته وغايته من الاتجاه إلى كتابة الرواية الإسلامية، حيث قال: " إلى الذين يفضلون أن يضيئوا شمعة بدلاً من سبّ الظلام "[1].

أراد الكاتب أن يقدم البديل الإسلامي للقارئ المسلم الواعي الذي سئم مما تحمله كثير من الروايات العربية من مضامين فاسدة، وفكر منحرف، وتزيين للشر والرذيلة والفساد !

وجاءت روايته الثانية (مهما غلا الثمن) معبرة عن تطور تجربته الروائية، فرأيت أن أقدمها في هذه الدراسة بوصفها أنموذجًا للتوظيف الإسلامي للرواية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة، وتقديم صورة حقيقية عن واقع مجتمعنا المسلم المحافظ الذي غُيبت صورته فيما نراه ونطالعه في كثير من رواياتنا الحديثة.

واقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة. تحدثت في التمهيد عن توظيف الرواية في نشر المعتقدات والأفكار، وفي المباحث السبعة تحدثت عن توظيف المضمون في رواية مهما غلا الثمن، وتوظيف الشخصيات، وتوظيف الأحداث الثانوية، وصورة الأسرة المسلمة، وتوظيف الحوار، والحبكة الفنية وخصوصية الرواية الإسلامية، والانطباع العام.

وختمت الدراسة بخاتمة أشرت فيها إلى أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

وبعد، فأرجو أن تسهم هذه الدراسة في الكشف عن إمكانية توظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية الصحيحة، وأن يتم تفعيل دور الرواية الإسلامية بوصفها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) دفء الليالي الشاتية: صفحة الإهداء، دار إشبيليا – الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).

تمهيد: توظيف الرواية في نشر المعتقدات والأفكار:

إن المتابع للساحة الأدبية المحلية والعربية يجد أن الفن القصصي بعامة، والروائي بخاصة، من أكثر الفنون الأدبية شيوعاً وانتشاراً لدى جمهور القراء. وهنا تكمن الخطورة؛ فالفن الروائي لا يساق لمجرد التسلية والترفيه وتزجية الوقت، بل أصبح " وسيلة يلجأ إليها كل من أراد أن ينشر رسالته السياسية أو الدينية أو الاجتماعية؛ لأنهم يعلمون أنها أقرب الفنون الأدبية إلى قلوب القراء " [1].

يضاف إلى ذلك الاهتمام الواسع الذي ناله الفن الروائي من النقد الأدبي الحديث، من خلال الكتب المتخصصة، والرسائل الجامعية، والدوريات العلمية المتخصصة، والمجلات المتنوعة، والصحف اليومية عبر ملاحقها الأدبية والثقافية، والأندية الأدبية، والمنتديات الثقافية المتنوعة.

وهذا الاهتمام مرده الشعور بأهمية الفن الروائي، وانتشاره على نطاق واسع لدى المتلقين، وقد كان هذا الاهتمام ردة فعل منطقية، لمكانة الفن الروائي بين الأجناس الأدبية، فشاعت بين النقاد والأدباء عبارة (عصر الرواية)؛ تعبيراً عن كونها الجنس الأدبي الأكثر شيوعاً واستقطاباً للمتلقين في هذا العصر. وهذا لا يقلل على الإطلاق من أهمية الفنون الأدبية الأخرى، كالشعر والقصة القصيرة، إذ لكل جنس أدبي قراء ومتابعون، وشيوع جنس أدبي في مرحلة ما، لا يقلل من أهمية الأجناس الأدبية الأخرى.

كما تكمن أهمية الرواية في أنها من أكثر الأجناس الأدبية التصاقاً بالمجتمع، فهي بمثابة الشاهد الحيّ على الأشخاص والأفكار ومظاهر المجتمع المختلفة، ومضمونها " يتصل بالظواهر الاجتماعية بشكل يفوق الأنواع الأدبية والفنية الأخرى إلى حدٍّ كبير، من حيث إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بفترة أو مرحلة معينة من تاريخ المجتمع أو تطوره ... " [2].

وهنا تكمن خطورة الرواية، وأهميتها في الوقت ذاته ! وقد أدرك الأدباء والكتاب في بداية القرن العشرين قدرتها على إيصال المعتقدات الدينية، والآراء السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال تمكنها من التغلغل في أعماق النفس البشرية،

---

(١) الجنس والواقعية في القصة: فتحي الأبياري: ١٨، الدار القومية – مصر، (د - ت).

(٢) دراسات في علم اجتماع الأدب: د. أمل حركة: ١٠٧ – ١٠٨، دار المعرفة – الإسكندرية، (١٩٩٣م).

فاتجهوا إليها (ملتزمين وملزمين)، فكانت من أنجع الوسائل وأقدرها على حمل تلك المعتقدات والأفكار وإيصالها إلى المتلقين.

وهنا أشير إلى أن الالتزام يكون نابعاً من ذات الأديب، أما الإلزام فنتيجة لعوامل خارجية، توجه الأديب إلى المضامين والأفكار التي يصورها في أدبه، وتكون بمثابة الوصي عليه [١].

وتجدر الإشارة هنا إلى " أن الفلسفات المؤثرة اليوم لم تستطع حشد الجماهير حولها إلا من خلال القنوات الأدبية أساساً، وحتى التحركات السياسية لم تنهض إلا على دعائم فن جماهيري، يشكل وجدان الناس وأفكارهم وأذواقهم، وهذا ما حدث بالنسبة للماركسية والوجودية والوضعية وغيرها ... " [٢].

وفي هذا السياق سأتناول بإيجاز توظيف الرواية في نشر المعتقدات والقيم والأفكار عند اليهود والنصارى، وعند أصحاب بعض المذاهب الأدبية، وسأختم حديثي بالوقوف عند التوظيف الإسلامي للرواية.

- التوظيف اليهودي للرواية:

كان الأدب من ضمن الوسائل التي اعتمدها اليهود في قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، ففي مطلع القرن العشرين الميلادي كان الأدب اليهودي أدباً موجهاً لتحقيق تلك الغايات، " وقد سبق الحركةَ الصهيونية السياسية الصهيونيةُ الأدبية بهذا الاتجاه " [٣].

وقام أحد الكتاب الصهاينة (ثيودرو هرتزل) بتأليف رواية سماها(الأرض الجديدة القديمة)، وقد صرح بأن هدف روايته " لم يكن فنياً، ولكنه كان هدفاً دعائياً " [٤].

وظف اليهود الرواية في نشر أكاذيبهم، وطمس الحقائق التاريخية الثابتة، وفي تعبئة اليهود في كل أنحاء العالم لاغتصاب أرض فلسطين، بوصفها أرضاً للميعاد، كما يزعمون كذباً وزوراً !!

---

(١) للتوسع في قضية الفرق بين الإلزام والالتزام، ينظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د. عبد الرحمن رأفت الباشا: ١٣٠ – ١٤١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

(٢) آفاق الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني: ٢٤، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

(٣) الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع: جودت السعد: ١٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١ (١٩٨١م).

(٤) في الأدب الصهيوني: غسان كنفاني: ٨٢، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ط ٢ (١٩٧٨م).

- **التوظيف النصراني للرواية:**

وظف النصارى الأدب في الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام وغيره من الديانات. وقد أثرت الرواية النصرانية في أدبنا الحديث، حيث " استطاع الكتّاب النصارى أن يزرعوا السلوك المنحرف ببراعة، وأن يشوهوا صورة الأسرة المسلمة والشخصية المسلمة بتتبع النماذج المنحرفة واختلاقها في أحيان كثيرة وإشاعتها، أو تقديمها على أنها صورة للواقع ! . . . فضلاً عن قصص (جرجي زيدان)(١٨٦١ – ١٩١٤م) التاريخية التي أساءت إلى تاريخنا وأعلامه " [١].

ومن صور التوظيف النصراني للرواية ما نجده ماثلاً في أدبنا العربي الحديث من تشويه صريح لصورة الشخصية الدينية؛ نتيجة لتقليد بعض كتاب أوربا المتمردين على الكنيسة، فصوروا " (رجل الدين) تصويراً مزرياً وجعلوا منه صورة للانحراف والنفاق والاستغلال. ونحن بدورنا في الأدب العربي المعاصر نقلنا عنهم هذا التصوير الغريب، برغم اختلاف الظروف التاريخية والفكرية التي سادت أوربا إبان الثورة الفرنسية، والتي لم يكن لها شبيه أو مبرر في بلادنا الإسلامية . . ." [٢].

- **توظيف الواقعية الاشتراكية للرواية:**

أدرك الشيوعيون منذ نشأة دولتهم في الاتحاد السوفييتي " أثر الفنون بعامة، والأدب بخاصة في بناء المجتمعات، وتكوين العقول، وصياغة الوجدانات، ووعوا أثرها في دعم الأنظمة والمذاهب حتى قال (ستالين) [٣]: الفنانون والأدباء مهندسو البشرية " [٤]

والشيوعيون قاموا بإلزام أدبائهم بالتعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم، ومن خالف ذلك عدّوه عدواً للشيوعية، وخائناً لأمته، ومنحازاً إلى أعدائها، ومن التزم بنشر تلك القيم أصبح ذا حظوة كبرى عندهم. وبذلك كان الأدب الشيوعي بمثابة البوق الدعائي المروج لأفكارهم المنحرفة المادية في المجالات السياسة والاقتصادية والاجتماعية.

والواقعية الاشتراكية في حقيقتها تجسيد للرؤية " الماركسية للأدب، وتحمل

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي: د. عبد الباسط بدر: ٩٦، دار المنارة – جدة، ط ١ (د ١٤٠٥هـ / د ١٩٨٥م).

(٢) آفاق الأدب الإسلامي: ١١٦ – ١١٧.

(٣) هو جوزيف فساريونفتش ستالين (١٨٧٩ – ١٩٥٣). سياسي، ودكتاتور روسي، وزعيم شيوعي. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: مج ١ / ٩٦٢ – ٩٦٣، دار نهضة لبنان – بيروت، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

(٤) نحو مذهب اسلامي في الأدب والنقد : ١٢٠.

مبادئ الفلسفة المادية الجدلية التي تقوم عليها الشيوعية، ويرى أنصارها أن الأدب مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته ونموه وتطوره، وأنه يؤثر في المجتمع بقوته الخاصة؛ لذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع وفق المفهومات الماركسية " [1].

ونتيجة للغزو الفكري والبعثات وترجمة الأدب الروسي الشيوعي إلى اللغة العربية ظهر التأثر واضحاً بالأفكار المادية الماركسية في ميادين الاقتصاد والسياسة. واتخذوا الأدب وسيلة من وسائل نشر تلك الأفكار الهدامة. ونظراً لقدرة الفن الروائي على حمل المضامين المختلفة وظف طائفة من الأدباء الرواية في نشر المعتقدات الشيوعية، فشكلوا اتجاهاً روائياً واضحاً منذ منتصف القرن العشرين الميلادي، وبدت أعمالهم صورة من أعمال الروائيين السوفييت. ووجدت أعمالهم رواجاً لدى المتلقين: قراء ونقاداً، فكانت الواقعية الاشتراكية في الفن الروائي من أكثر الاتجاهات الروائية العربية شيوعاً وانتشاراً، وبدت أعمال كثير من كبار الروائيين لا تعدو أن تكون مجرد ترديد للأفكار الشيوعية المنحرفة في نظرتها إلى الأديان وجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية [2].

وعملت روايات الواقعية الاشتراكية العربية على إذكاء الصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد، واهتمت بالطبقات الدنيا، وبخاصة طبقة الفلاحين والعمال، وحملت على الطبقات الأخرى (الثرية)، وأهملت الجانب الروحي في حياة الإنسان، واهتمت بالجوانب المادية. والأخطر من ذلك أنها حملت بقوة على الدين الإسلامي، وجعلته سبب تخلف الأمة، واتهمت الملتزمين بالقيم الإسلامية المحافظين على الشعائر – بالتخلف، ونعتتهم بالرجعية.

ومن تلك النماذج الروائية روايات الكاتب المصري (عبد الرحمن الشرقاوي) (١٩٢٠– ١٩٨٧م)، الذي حفلت رواياته بالأفكار الاشتراكية، وقد نعته أحد النقاد بأنه "

---

(١) مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر: ٥٦ – ٥٧، شركة الشعاع – الكويت، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ /).

(٢) ينظر على سبيل المثال أعمال: (عبد الرحمن الشرقاوي، الطاهر وطّار، عبد الحميد بن هدوقة، فارس زرزور، أديب نحوي، توفيق يوسف عواد، حنّا مينة، محمد أحمد عبد الوالي، وغيرهم).

وفق كل التوفيق في إذاعة عقيدته الديمقراطية الاشتراكية "[1]. وهذا التوفيق المزعوم هو في حقيقته توظيف سيئ ومنحرف للفن الروائي في نشر الأفكار الشيوعية المنحرفة التي تحارب الدين، وتنمي الصراعات الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد.

وجاءت روايته (الفلاح)[2] ممثلة لذلك الفكر،فكانت في مجملها ترديداً للشعارات الاشتراكية التي أراد الكاتب أن يجعل المجتمع المسلم برمته، يعيش وفق النظرة الشيوعية إلى الدين والاقتصاد والسياسية والمجتمع . ويبتعد عن الدين الإسلامي الكامل الذي رضيه الله تعالى لنا.

ومن أمثلة التوظيف الاشتراكي للرواية – أيضاً – ما نجده عند الكاتب الجزائري (عبد الحميد بن هدوقة) (١٩٢٥ – ١٩٩٦م). وذلك في روايتيه: (نهاية الأمس)[3]. و (بان الصبح)[4]. وقارئ هاتين الروايتين لن يجد صعوبة في الوصول إلى أن (الأمس) الذي جاء في عنوان الرواية الأولى هو القيم الإسلامية الأصيلة التي يرى الكاتب في روايته أنها انتهت، ولم تعد صالحة لهذا العصر. بينما (الصبح) في الرواية الثانية هو تلك الأفكار الاشتراكية التي ذاعت وانتشرت في المجتمع. والرواية تحدثت عن الصراع بين جيلين: جيل متمسك بالقيم الإسلامية، أو الرجعية كما يسمونها في الرواية ! وجيل آمن بالقيم الاشتراكية التقدمية.

- التوظيف الوجودي للرواية:

تشكلت الوجودية بوصفها مذهباً فلسفياً في الغرب؛ نتيجة لحيرة الإنسان الأوربي وضياعه وقلقه واضطرابه. وهي تقصر " وجود الإنسان على الحقيقة اليقينية الوحيدة التي

---

(١) دراسات نقدية في الأدب المعاصر: مصطفى السحرتي: ١٤١. الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة. (١٩٧٩م).

(٢) الفلاح: عبد الرحمن الشرقاوي. عالم الكتب – القاهرة. (د – ط). (د – ت). صدرت الطبعة الأولى عام (١٩٦٨م).

(٣) نهاية الأمس: عبد الحميد بن هدوقة. مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للطباعة والنشر – تونس. ط ٢ (١٩٨٧م).

(٤) بان الصبح: عبد الحميد بن هدوقة. دار الآداب – بيروت. ط ٣ (١٩٩١م). الطبعة الأولى صدرت عام (١٩٨٠م).

ينادي بها (ديكارت)[1]، وهي تقول: (أنا أفكر فإذاً أنا موجود)، وبذلك ينحصر الوجود اليقيني للإنسان في تفكيره الذاتي الذي لا يوجد شيء سابق له، أو خارج عليه.

وعلى هذا فإنه لا يوجد عند الإنسان إله يعبد، كما لا توجد عنده مُثُلٌ متوارثة، أو قيم أخلاقية لها صفة اليقين "[2].

وتنقسم الوجودية قسمين: وجودية نصرانية تستمد أصولها من التصور النصراني المحرف، ووجودية ملحدة ترفض وجود إله. والإسلام يرفض هذه الأفكار والمعتقدات؛ لأنها تخالف التصور الإسلامي للخالق تعالى والكون والإنسان [3].

وقد ظهرت الفلسفة الوجودية في القرن السابع عشر الميلادي، لكنّ الفيلسوف الفرنسي (سارتر)[4] " حمل لواء الفلسفة الوجودية الملحدة الكافرة، وأخرج أفكاره في مؤلفات وروايات ومسرحيات "[5].

وقد وظف الوجوديون الأدب في نشر أفكارهم المنحرفة القائمة على الدعوة إلى الحرية المطلقة، والثورة على القيم والتقاليد، فجاء أدبهم حافلاً بالأفكار التي تدعو إلى الإلحاد والخروج على القيم، والتمرد على المجتمع. " وقد استطاع الوجوديون بملكاتهم الأدبية والنقدية أن ينتجوا قصصاً ومسرحيات قوية في صياغتها ومشحونة بأفكارهم الوجودية، وكانت وسيلة ذكية لنشر فلسفتهم ومبادئهم، استطاعت أن تؤثر في آداب كثيرة، منها الأدب العربي المعاصر ... "[6].

ونتيجة لهذا التأثير نشأ في أدبنا العربي الحديث الاتجاه الوجودي في الأدب بعامة. وفي مجال الرواية ظهر بوضوح تأثر طائفة من الروائيين العرب بالفلسفات الوجودية، وما

---

(١) رينه ديكارت فيلسوف فرنسي، توفي سنة (١٦٥٠م).
ينظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: ٧٥.

(٢) المرجع السابق: ٧٥.

(٣) ينظر: مذاهب الأدب الغربي: ٨٨ – ٩٣.

(٤) جان بول سارتر (١٩٠٥م – ١٩٨٠م)، فيلسوف وأديب فرنسي، اقترن اسمه بالفلسفة الوجودية.
ينظر: الموسوعة العربية الميسرة: مج ١ / ٩٤٢.

(٥) الأدب الإسلامي (إنسانيته وعالميته): د. عدنان النحوي: ١٩٦، دار النحوي – الرياض ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

(٦) مذاهب الأدب الغربي: ٩١ – ٩٢.

أنتجته من روايات، وبذلك تشكل الاتجاه الوجودي في الرواية العربية الحديثة [1]. وقد جسّد رواده في رواياتهم فلسفات وأفكاراً بعيدة عن واقع أمتنا مستمدة من الفلسفات الوجودية، فبدت شخصيات رواياتهم مترددة متوترة ضائعة هائمة على وجوهها، منفصلة عن مجتمعاتها وجذورها، تعيش غربة نفسية، باحثة عن ذواتها الضائعة، تسيطر عليها سمة الخوف من الموت والحياة، ومن الماضي والحاضر والمستقبل، ومتمردة وناقمة على كل شيء [2].

وظف الوجوديون رواياتهم في نشر هذه الأمراض في المجتمعات العربية الإسلامية، فجاء أدبهم صورة لما أنتجته الفلسفة الوجودية الغربية المريضة، وجسدته في أدبها.

ومن نماذج التوظيف الوجودي للرواية العربية رواية (الخندق الغميق) [3] للكاتب اللبناني (سهيل إدريس) (١٩٢٢- ٢٠٠٨م) الذي قدّم في روايته صورة للإنسان الوجودي، تمثلت في بطل روايته (سامي) الشاب الذي التحق في البداية بالمعهد الديني. وارتدى الزي الخاص به (الجبة والعمة)، وأصبح يشعر بالثقل بعد أن ارتداه. قال الكاتب: " ... وحين أقبل (الترام)، همّ بالعدو خلفه ليدركه وهو سائر على عادته، غير أنه شعر بثقل الجبة على كتفيه، والعمة على رأسه، وذكر أن الرصانة تقتضيه ألا يقفز إلى (الترام) قفزاً، فتباطأ خطوه مرة أخرى.." [4].

ولكنه بعد أن ترك المعهد الديني،وخلع الزي الديني شعر بالخفة، " فهو يحس الآن بأن جسمه يسترد رويداً رويداً خفته وسرعة حركته، كما كان منذ سنوات. في عهد الحداثة الأولى. أليس صحيحاً، بعد كل حساب، أنه قد شاخ، طوال هذه المدة، وهو لم يبلغ العشرين بعد ؟... " [5].

---

(١) من الروائيين العرب الذين تأثروا بالفلسفة الوجودية في بعض أعمالهم: (سهيل إدريس، وليلى بعلبكي، وليلى عسران، ومطاع صفدي، وكوليت سهيل، وجبرا إبراهيم جبرا، وإسماعيل فهد إسماعيل، والطيب صالح، ونجيب محفوظ، وغيرهم).

(٢) ينظر: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة: د. السعيد الورقي: ٢٦٩ - ٣٠٠، دار المعرفة الجامعية - مصر، (١٩٩٨م).

(٣) الخندق الغميق: سهيل إدريس، دار الآداب - بيروت، ط ٣ (١٩٧٧م).

(٤) المرجع السابق: ٢٩.

(٥) المرجع السابق: ١٠١.

أما أخته (هدى) فنزعت حجابها وتخلصت منه، بمساعدة منه، حيث قال لها مشجعاً: " إنك بحاجة إلى أن تنظري أمامك جلياً، وينبغي ألا تكون على عينيك غشاوة. وفهمتُ سريعاً ما كان يرمي إليه، فمددتُ يدي ونزعتُ عن رأسي ووجهي الحجاب، ثم سلمته إياه، وتناوله على مهل، وأخذ يطويه، ثم نظر إليّ مبتسماً، وقال: أتعرفين عمامتي ؟ إنه يذكرني بها ! " [١].

إنّ الحجاب والزي الديني في هذه الرواية لا يعدوان أن يكونا مجرد رمزين للقيم الإسلامية، وبنزعها تخلص (سامي) وأخته (هدى) منها ! وتخلصا – أيضاً – من سلطة الأب الذي كان يعمل إماماً، وكان حريصاً على تربية أبنائه تربية دينية،ولكنهما تمردا عليه، وانغمسا في حياة الضياع والتحرر، وابتعدا عن الالتزام بالقيم الدينية الأصيلة. وبذلك تعدّ هذه الرواية من الروايات العربية التي وظفت الفن الروائي في نشر الأفكار والفلسفات الوجودية المنحرفة، التي كان لها أثرها في مجتمعاتنا الإسلامية.

- التوظيف غير الأخلاقي للرواية:

لا يتصور وجود أدب لا يحمل رسالة أو مضموناً، حتى الأدب العبثي غير الأخلاقي يحمل رسالة ومضموناً يعمل على إيصالهما إلى المتلقين، ويتمثل ذلك المضمون في نشر الرذيلة والفحشاء في المجتمع، وقطع الصلة بين العبد وخالقه تعالى، والخروج على القيم الأصيلة التي يحملها المجتمع.

وفي مجال الرواية نجد – ومع الأسف – أن الرذيلة والشر هما السمة الغالبة على واقع رواياتنا العربية الحديثة [٢]، فقد وظفت كثير من رواياتنا العربية الحديثة طاقاتها الفنية وقدراتها في ترسيخ المفاهيم المتحررة المنحلة في نفوس القراء، من خلال التركيز على تقديم النماذج المنحرفة على أنها هي الأصل في النفس البشرية، وبذلك يظن القراء أن الانحراف والشر والرذيلة والخيانة والغدر والأمراض النفسية والعقد والهروب من الواقع والانغماس في الجنس والخمر والمخدرات هي الأمر الواقع في هذه الحياة، فتنطبع في نفوسهم تلك الصور، وتبدو غير مستغربة، وهنا تكمن الخطورة !

---

(١) المرجع السابق: ١٦٥.

(٢) ينظر: صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي الحمود، (رسالة ماجستير قُدمت إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ).

ومن الروائيين العرب الذين مثّلت أعمالهم الروائية صورة للتوظيف غير الأخلاقي للفن الروائي، الكاتبة (غادة السمان) (١٩٤٢م -)، ومن أعمالها الروائية رواية (بيروت ٧٥)[١] التي جاءت حافلة بالمواقف الجنسية المحرمة والشاذة التي قدمتها الكاتبة على أنها أمور لا غبار عليها، والمقام لا يسمح بذكر نماذج منها، وقد أصدر أحد النقاد كتاباً عن الجنس في أدبها[٢].

أما في روايتنا المحلية فنجد أنه في الفترة الأخيرة ظهرت أعمال روائية اتسمت بالخروج عن المألوف في مجتمعنا المسلم المحافظ. فجاءت حافلة بالمواقف الجنسية التي تثير اشمئزاز القارئ الواعي. ووجدت رواجاً لدى فئة من القراء؛ لأنها تدغدغ مشاعر المراهقين، وتثير غرائزهم.

-التوظيف الإسلامي للرواية:

إن المطلع على واقع روايتنا العربية الحديثة سيجد أنّها غالباً متأثرة بالرواية الغربية من حيث المضمون والشكل. وما نطالعه من روايات هو في حقيقته لا يعدو أن يكون مجرد ترديد للنماذج الروائية الغربية، وبخاصة النماذج السيئة. أما الروايات الغربية العالمية التي عُنيت بحمل رسالة هادفة إلى المجتمع،وقدمتها بأسلوب فني جميل، فلم تُؤثر فيما قدموه من روايات[٣].

وبذلك تكون روايتنا قد فقدت هُويتها الثقافية، من خلال توظيفها في نشر القيم والفلسفات والمعتقدات الهدامة، والحمل على الدين، واتهام الملتزمين به بالتخلف والرجعية. فكانت بمثابة معول هدم في هذه الأمة، إذ واكبت الدور الذي قام به الغزو العسكري الغربي الذي تعرض له عالمنا الإسلامي وعضّدته، وبعد زوال الغزو العسكري المتمثل في الاستعمار العسكري، قامت الرواية بالإسهام في تحقيق أهدافه، وبذلك

---

(١) بيروت ٧٥: غادة السمان، منشورات غادة السمان، ط د، (١٩٨٧م).

(٢) الجنس في أدب غادة السمان: د. وفيق غريزي، دار الطليعة - بيروت، ط ٢ (٢٠٠٠م).

(٣) ينظر على سبيل المثال: رواية (الأم) (لمكسيم جوركي)، وقد أعجب (نجيب الكيلاني) بقدرة الكاتب على توظيف الرواية في خدمة فلسفته. ينظر: آفاق الأدب الإسلامي: ٢٣.

ومن هذه الروايات: رواية الشيخ والبحر لأرنست همنجواي، وكوخ العم توم لهارييت بيتشر ستاو، وغيرهما. للتوسع حول هاتين الروايتين. ينظر: تجربة الكتابة: س. ر. مارتين، ترجمة: تحرير السماوي، دار الكلمة - بيروت، ط ٢ (١٩٨٣م).

أصبح الأدب بعامة والرواية بخاصة، أداة من أدوات الغزو الفكري الذي تعرضت له أمتنا [١].

ومن هنا برزت الحاجة الملحة إلى قيام الأدب الإسلامي بواجبه حيال تلك الموجة الهابطة من الروايات، فانبرى طائفة من الأدباء المسلمين مستشعرين أهمية الفن الروائي في الوقوف أمام موجة الروايات الهابطة، فعملوا على تقديم البديل عن طريق تقديم روايات إسلامية هادفة، تجمع بين المتعة التي ينشدها القراء، والمضمون السامي الهادف، الذي يقدم التصور الصحيح للخالق والكون والإنسان، ويعبر بصدق عن المجتمعات الإسلامية، والإنسان المسلم.

لقد أضحت الرواية الإسلامية واقعاً ملموساً وحقيقة ماثلة للأعيان لا يمكن تجاهلها، وعلى الرغم ممّا تجده من تجاهل ورفض وتضييق، إلا أنها شكلت بتوفيق الله تعالى أولاً، ثم بجهود فردية من قبل مجموعة من الأدباء، اتجاهاً روائياً، من خلال تقديم ما يعرف بالرواية الإسلامية، ويأتي في مقدمتهم الدكتور (نجيب الكيلاني) (١٩٣١ – ١٩٩٥م)، و (علي أحمد باكثير) (١٩١٠ – ١٩٦٩م)، وغيرهما. وتبع ذلك الدور الذي قامت به رابطة الأدب الإسلامي العالمية من خلال ترسيخ ذلك المفهوم، وتشجيع الأدباء على الانطلاق في كتاباتهم الأدبية وفق التصور الصحيح للخالق والكون والإنسان، ونتيجة لهذا الاهتمام، وتتويجاً له أصبحت مادة الأدب الإسلامي تدرس في بعض الجامعات الإسلامية، وسجلت فيها رسائل علمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وبذلك شكلت الرواية الإسلامية اتجاهاً روائياً واضح المعالم، ومحدد الأطر، له رواده.

وقد استفادت الرواية الإسلامية من إمكانات الرواية المتعددة [٢]، فظهرت أعمال روائية حافلة بالقيم الإسلامية الأصيلة، ومعبرة عن المجتمع الإسلامي تعبيراً صادقاً [٣]، مخالفاً للصورة التي نراها في الرواية العربية الحديثة، فلا يعقل أن نجد رواية لكاتب مسلم يعيش في مدينة فيها آلاف المساجد، ويتكرر فيها الأذان خمس مرات يومياً، ثم

---

(١) ينظر: صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي الحمود .

(٢) ينظر: الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د. عبد الله العريني: ٢٦٣، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ط ١، (١٤٠٩هـ).

(٣) ومن أولئك الكتاب (عبد الحميد جودة السحار، داود سليمان العبيدي، عبد الودود يوسف، عماد الدين خليل، عماد زكي، فوزي صالح، سعاد الولايتي، خولة القزويني، عبد الله سعيد جمعان الزهراني، وغيرهم).

تأتي روايته خالية من ذكر الإسلام، أو أثره في المجتمع !

وواكب ذلك ظهور حركة نقدية واعية اتجهت إلى دراسة الرواية الإسلامية دراسة علمية جادة، وقفت عند الجوانب المشرقة فيها، وبينت جوانب الضعف؛ بهدف تجاوزها في التجارب المقبلة.

إن مستقبل الرواية الإسلامية يبدو مشرقاً على الرغم من الصعوبات التي تعتريها، والتي يمكن تجاوزها من خلال الجهود المبذولة من قبل المخلصين، ووجود القارئ الواعي الذي يبحث عن الأدب الأصيل الهادف البعيد عن إثارة الغرائز. وهذا النوع من القراء موجود، ويبحث عن الرواية الجيدة، بدليل أن بعض روايات الدكتور (نجيب الكيلاني) تمت إعادة طباعتها أكثر من عشر مرات، على الرغم من التغافل الإعلامي الذي تلقاه مثل هذه الروايات الإسلامية، لمجرد أن عبارة رواية إسلامية قد وضعت على غلافها. وفي المقابل تجد الأعمال الروائية الأخرى احتفاء مبالغاً فيه، على الرغم من افتقاد كثير منها متطلبات الفن، بالإضافة إلى رداءة المضمون الذي تحمله وتقدمه !!

* * *

المبحث الأول: توظيف المضمون في رواية مهما غلا الثمن:

المضمون هو " محتوى أو معنى يؤديه المبنى أو الشكل، والمعبر عنه أدبياً بألفاظ وعبارات نثرًا أو شعرًا " [1] .

وجودة أي عمل أدبي ونجاحه ترجعان إلى الاهتمام بهذين العنصرين على حدٍّ سواء، فجودة المضامين وعمقها وصدقها وسموها – إذا لم تتوافر لها صياغة أدبية فنية تراعي قيم الفن – تظل عاجزة عن تقديم عمل أدبي ناجح ومكتمل ومؤثر. وفي المقابل تظل مهارة الأديب وقدرته الفنية عاجزة عن تقديم عمل أدبي يتسم بالجودة إذا كانت المضامين التي يتخذها مادة لأدبه تتسم بالتفاهة والسطحية. ومن هنا كان لابد لأي كاتب يأمل في تقديم عمل أدبي مكتمل أن يقدم المضمون السامي في أسلوب أدبي يراعي متطلبات الفن.

والمضمون في رواية (مهما غلا الثمن) يعبر عن وعي حقيقي بكنه الأشياء، ويحمل في طياته دعوة إلى تغيير الواقع، فالحياة الواقعية كما هي حافلة بالشر والرذيلة والنماذج البشرية المنحرفة السلبية فإنها – أيضاً – حافلة بالخير والفضيلة والنماذج البشرية السوية الإيجابية التي استطاعت أن تتجاوز الواقع المؤلم، فجذوة الأمل تطل علينا من خلال مضمون هذه الرواية. وقد وصف الدكتور (سعد أبو الرضا) المضمون في هذه الرواية قائلاً: بأنه قد تناول كثيراً " من قيم الإسلام ومبادئه:كالإيمان بالله والقضاء والقدر، والحث على كثير من العبادات في الإسلام: كالصلاة والحج وغيرهما، بل والدعوة إلى كثير من الأخلاق: كالصبر والأمانة والإخلاص في العمل، وغالباً ما يتحقق كل ذلك بصورة عملية تناقش قضايا المجتمع المسلم سواء في السعودية أو إندونيسيا، وبطريقة روائية غير مباشرة في معظم الأحيان ... " [2].

وسأتحدث في هذا المقام عن بعض القيم الإسلامية الأصيلة التي جسدتها الرواية، وهي: الصبر، والإحسان، وقوة الإرادة، والأمانة، والكفاح، والرضا والقناعة، والحشمة.

---

(١) المعجم الأدبي: جبور عبد النور : ٢٥٢ – ٢٥٣، دار العالم للملايين – بيروت، ط ٢ (١٩٨٤م).

(٢) جريدة الجزيرة، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

١ - الصبر:

الصبر من أبرز القيم الإسلامية التي عُنيت رواية (مهما غلا الثمن) بتجسيدها، وقد كانت حاضرة - أيضاً - في عنوان الرواية، فكلمة (الثمن) الواردة في العنوان تعبر عن الصبر الذي يبذله الإنسان في هذه الحياة؛ للوصول إلى غاياته.

وعنوان رواية (مهما غلا الثمن) يتسم بالجاذبية، وتبدو العلاقة الوطيدة بين عنوان الرواية ومضمونها، فكانت كلمة الثمن محور الرواية ومفتاحها والمحرك للشخصيات والأحداث ونقطة التحول فيها، وشكلت " بدلالتها اللغوية بنية هذا العمل الروائي، كما تجلي عناصره الفنية، إذ تكشف بمحوريتها عن الحدث الذي يتمثل فيما يمكن أن يقدّمه الإنسان لتحقيق آماله وطموحاته، واقتران ذلك بالصبر " [١].

وكانت غالبية عناصر الرواية تتحرك وتنمو في ضوء مفهوم الثمن الذي يبذله الإنسان في هذه الحياة.

وبالنظر إلى الرواية نجد أن الثمن بالنسبة للشخصيات الخيرة تمثل في الصبر أو الكنز كما عبر عنه (الحاج مأمون) والد (أندي) عندما شبه (ثمرة الدريان) بالصبر في قوله: " إنه مثل كثيرين لا يكتشفون لذة هذه الثمرة إلاّ متأخراً. إنني أراها أشبه شيء بالمبدأ العظيم في حياتي: الصبر. ذلك الكنز الثمين الذي أكرمني الله به، وأظن أن الصبر لو تشكل في صورة فاكهة لكان (ثمر الدريان) بلا شك " [٢].

و (أندي)، بطل الرواية، حقق كثيراً من طموحاته مستعيناً بكنز والده المتمثل في الصبر. ففي بداية التحاقه بالعمل كاتباً في مستودعات السيد (غزالي) كان راتبه قليلاً، مع كثرة العمل، " إلا أنه لم يجد بداً من الصبر على هذه الوظيفة التي لم يذق فيها طعم الراحة؛ بسبب مضايقة مدير المستودعات له " [٣].

وعندما أراد الزواج لم يكن يملك منزلاً مناسباً، لكنه أخبر والدته بأنه رأى منزلاً صغيراً، وقال لها: " هذا كل ما يمكن الآن، إنه بيت صغير، ثم إن عندي كنز أبي سوف آخذ

---

(١) جريدة الجزيرة، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ، العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

(٢) مهما غلا الثمن: ١٧٠.

(٣) المرجع السابق: ١٨.

منه بما يحلّ هذه المشكلة "[1]. وكنز أبيه الذي لا ينفد هو الصبر.

وبعد زواجه ضاقت به الحياة، فكان يقول لزوجه: "سأنفق من كنز أبي "[2]. وظنت زوجه أنّ والده يملك كنزاً، وأنه سيأخذ منه ما يخرجهما من أزمتهما.

وحقيقة ذلك الكنز تتمثل في أن والده كان قد اكتشفه في مسجد قريته، حيث ألقى عليهم شيخ جليل درساً مؤثراً عن قيمة الصبر، وبيّن لهم أثره في حياة رسول الله ﷺ. ومنذ ذلك الدرس عدّ والده الصبر كنزًا ثمينًا يستعين به على تجاوز الأزمات، وحث ابنه على الالتزام به؛ لأنه سيحتاج إليه في كل مراحل حياته[3].

استجاب (أندي) لنصيحة والده، فحقق نجاحات متوالية، مكنته من مساعدة والديه، وتوفير حياة كريمة لأسرته.

ولم تكتف الرواية بتجسيد قيمة الصبر في الحياة، بل عملت على توضيح مفهوم الصبر الحقيقي المتمثل في قوة التحمل، والبعد عن الخضوع والذلة والجزع والتأفف والضجر[4].

بالإضافة إلى تجسيد مضمون الرواية مفهوم الصبر الحقيقي، عملت على إبراز الثمرة الجميلة التي يجنيها من يصبر، فكان النجاح وتحقيق الغايات النبيلة جزاء الصابرين.

٢ – الإحسان:

أكد المضمون في الرواية أهمية فضيلة الإحسان إلى الآخرين، وبيّن أثرها في بناء مجتمع إسلامي متكافل، قوامه المحبة والتكامل، فالمال إذا وجه الوجهة الصحيحة يكون نعمة كبرى وفضلاً عظيماً في يد صاحبه.

وفي الرواية مواقف متتابعة شكلت في مجملها الرؤية الإسلامية الصحيحة في تسخير المال في خدمة الآخرين؛ لأن المال هبة من الله تعالى للإنسان. وقد أسهمت الشخصيات الثرية في الرواية في الوقوف مع بقية الشخصيات في أزماتها، فسادت الألفة والمحبة بينهم، وبدا المجتمع لُحمة واحدة، وذابت الفوارق الطبقية المصطنعة بين أبناء المجتمع الواحد.

---

(١) المرجع السابق: ١٥٠.

(٢) المرجع السابق: ١٦٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق : ١٧٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق : ١٧٢ – ١٧٣.

وجاء تجسيد هذه القيمة من خلال شخصيتين من شخصيات الرواية، هما: السيد (غزالي)، والسيد (زين العارفين)، وقد كانا الملاذ الذي تلجأ إليه الشخصيات – بعد الله تعالى – بحثاً عن المساعدة. ومن نماذج ذلك استجابة السيد غزالي لطلب (إيبو فضيلة) بإخراج ابنها (أندي) من السجن، بعد اتهامه زوراً بحرق مستودعات الشركة [١]. ولم يكتف بذلك، بل أعطاها مساعدة مالية [٢]. وتحمل تكاليف علاج والد (أندي) في (جاكرتا) بكل طيبة نفس [٣].

وعندما دهس سائقه طفلاً، تم نقل الطفل إلى المستشفى، فلم يلق أي عناية؛ بسبب عدم وجود من يتحمل نفقات العلاج، وتم إيداع سائقه السجن، فقام بتحمل نفقات علاج الطفل، ومن ثم أخرج سائقه من السجن بكفالة [٤].

وبعد أن عرض عليه (أندي) وضع المصليات في الشركة، أمر بتوسيعها وفرشها، وزيادة عدد دورات المياه [٥].

أما السيد (زين العارفين)، وهو رجل ثري كانت تعمل لديه (إيبو فضيلة) مديرة للمنزل، فقام بتحمل تكاليف حج (إيبو فضيلة)؛ مكافأة لها على أخلاقها وأمانتها وجِدّها في عملها [٦].

وعندما علم بقصة الدين الذي على زوجها، ورغبتها في سداده، أصبح يرسل راتبها كاملاً إلى الدائن، ويأخذ منه الوصل ويدفعه لها، لكي يشجعها على التوفير [٧].

ولم يكتف المضمون في الرواية بتجسيد قيمة فضيلة الإحسان، بل عُني بإبراز الثمرة التي تعود على المحسنين، فقد وفق الله تعالى السيد (غزالي) في مشروع الإسكان توفيقاً فاق التوقع والوصف، إذ حقق له مكاسب كبيرة، وأسعد الفقراء، وانعكس ذلك عليه، وبدت على وجهه دلائل التفاؤل والانشراح [٨].

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ١٣ – ١٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٣٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٨٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٣١ – ١٤١.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٣١ – ٣٢.

(٦) ينظر: المرجع السابق: ٢١٠.

(٧) ينظر: المرجع السابق: ٢٠١.

(٨) ينظر: المرجع السابق: ٢٠١ – ٢٠٥.

٣ – قوة الإرادة:

عمل مضمون الرواية على ترسيخ مفهوم قوة الإرادة في النفس البشرية، من خلال إبراز قدرة الإنسان على تجاوز المصاعب في هذه الحياة، إن تمتع بإرادة قوية، تدفعه إلى الإمام، وختم الكاتب روايته بالدعوة إلى أن يعمل الإنسان على تغيير الواقع، مهما غلا الثمن الذي يدفعه في سبيل ذلك، وأن يتحلى بالشجاعة التي تعينه على مواجهة المشكلات، وتجاوزها؛ لأنه يعيش مرة واحدة. وهذا ما أكده بطل الرواية (أندي) لزوجه (سارينا) في نهاية روايته، حيث قال: " إن من الضروري أن نواجه مشكلات الحياة، ونعمل على تغيير واقعنا إلى الأفضل؛ لأننا لن نحيا إلا مرة واحدة.. مرة واحدة فقط !! ويجب أن نفلح في هذه المرة الواحدة مهما غلا الثمن " [١].

وكان (أندي) قبل زواجه يميل إلى فتاة من قريته، اسمها (نور حياتي)، وكان يرغب في الزواج منها، ولكن سفرها إلى (الرياض) لتعمل خادمة عند إحدى الأسر، ورغبتها في أن يلحق بها ليعمل سائقاً، دفعاه إلى صرف النظر عن الزواج منها، وأصرّ على مواجهة الحياة في بلده [٢].

إن الحياة لا تتوقف بسبب فشل الإنسان في مشروع من مشاريع حياته، وهذه الفكرة جسّدتها الرواية بوضوح، فقارئ الرواية سيظن أن (أندي) سيتأثر بسبب فشل زواجه من الفتاة التي يميل إليها، أو يعيش حياته على أمل عودتها، أو سيصاب بالأرق، وربما بالجنون، كما يحدث في بعض القصص الرومانسية التي تؤثر تأثيراً سلبيا في نفوس القراء. ولكن ذلك كله لم يحدث؛ لأنه نظر إلى الموضوع نظرة منطقية واقعية أوصلته إلى أنه ليس من حقه أن يلومها، " فلتذهب بسلامة الله، فالأرض بدل منها أرض أخرى، والأحبة بدل منهم أحبة آخرون، وهنالك غيرها كثر، بل هناك من هي أفضل منها، وحين يجدها فسوف يبادر بالزواج منها " [٣].

وقرر بعد ذلك البحث عن امرأة أخرى تشاركه رحلته في الحياة، ووجد بغيته في (سارينا)، وقد عبّر عن ذلك بقوله لوالدته: " أنت تعرفيني جيدًا يا أمي، أنا لا أحب العيش

---

(١) المرجع السابق: ٢٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٤٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٤٤.

في الماضي..." [1].

اتسم (أندي) بقوة الإرادة والعزيمة والإصرار، فتمكن من التخلص من حب (نور حياتي)، وقرر البقاء في (إندونيسيا)، وترك فكرة السفر إلى (الرياض)، بعد أن وجد أنه من الصعوبة بمكان انتظار عودتها، وقرر أن يطوي تلك الصفحة من حياته، فقد اختارت هي الحياة التي تريدها، وعليه هو أن يبدأ حياته من جديد. وفي البداية كان حزيناً على فراقها، ولكنه أنزل ستاراً حديدياً على ذكراها، وأخبر والدته أن لن يستطيع البقاء دون زواج طوال فترة غيابها؛ لأنه لا يأمن على نفسه من الفتنة [2].

وهكذا تخلص من حبها، وتزوج (سارينا). وهذا الموقف يظهر جانباً مهمًا من شخصيته يتمثل في العزيمة وقوة الإرادة والإصرار على تجاوز الماضي.

٤ – الأمانة:

الأمانة من القيم الإسلامية الأصيلة التي رسخها المضمون في الرواية، وقدّمها بوصفها قيمة أصيلة في النفس البشرية.

وقد برزت هذه القيمة في الرواية من خلال المواقف المختلفة التي تعرضت لها بعض الشخصيات السوية الخيرة، فكان تمسكها بهذه القيمة سبباً في نجاحها في حياتها العملية، ومن ذلك (إيبو فضيلة) التي كانت تدير شؤون منزل السيد (زين العارفين) بكل جد وإخلاص وتفانٍ، مما جعله يكافئها بالحج على حسابه؛ بسبب أمانتها وجدِّها ونجاحها في إدارة شؤون منزله [3]. وذكرت ذلك لابنها من خلال قولها: " يا ولدي، انظر هذا البيت مليء بالأثاث الفاخر، وبين يدي يومياً آلاف الروبيات، والسيد (زين العارفين) منحني غاية الثقة، لم يراجعني إلا في الأيام الأولى لعملي. أما بعد ذلك فقد أعطاني الضوء الأخضر دائماً لأتصرف كما أشاء. الأخذ من مصروف المنزل في غاية السهولة، ومع ذلك لا أعلم أن يدي طاوعتني في يوم من الأيام على أخذ روبية واحدة من وجه الحرام. والله يا ولدي، إنني سعيدة جداً بمرتبي الذي أحصل عليه، ولن أفسده بمال حرام أبداً، إن الله تعالى لا يجعل بركة في المال الحرام مهما كان كثيراً " [4].

---

(١) المرجع السابق : ١٥١.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٤٦– ١٤٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢٠٤ – ٢١٠.

(٤) المرجع السابق : ٢٠٩ – ٢١٠.

أما (أندي) فكسب ثقة صاحب العمل من خلال أمانته، " بعد أن عرّضه لعدد من الامتحانات، فنجح فيها، أرسل إليه من يعطيه رشوة، فصفع ذلك الرجل، وطرده عن المكتب ... " [1]. وبعد تجاوزه تلك الامتحانات نال ثقة السيد (غزالي)، وأصبح موظفاً مهماً في مكتبه.

وكذلك تمكنت (نور حياتي) من ترسيخ قدميها في المنزل الذي تعمل فيه، وقبل ذلك تمكنت من كسب قلوب أفراد الأسرة التي عملت لديهم بكل أمانة وإخلاص، بعد تجاوزها بنجاح الاختبارين اللذين وضعتها فيهما ربة تلك الأسرة، وقالت لها بعد ذلك: " أنت أمينة (يا نور)، أنت أحسن شغالة، أنا قلت لـ (بابا عبد اللطيف): إنك أمينة نشيطة، من يوم رأيتك أول مرة، قال لي: لا تستعجلي ! أتذكرين الخمسمائة ريال التي وجدتها في ثوب (بابا عبد اللطيف) ؟ أنا التي وضعتها في الثوب ...

وجاء الامتحان الثاني، هذا السوار الذي وضعته متعمدة، وحينما تركتِ السوار مكانه، شعرت أنك نجحت أيضاً، أنت اليوم مثل بنت من بناتي " [2].

بالإضافة إلى تجسيد المضمون في الرواية قيمة الأمانة، عمل على إبراز الأثر الذي نتج عن تحلي الشخصيات الروائية بها، فكان النجاح وكسب ثقة الآخرين النتيجة المنطقية التي أكدها السياق الروائي.

٥ - الكفاح:

قدّم مضمون الرواية قيمة الكفاح من خلال أسرة (أندي) بطل الرواية الذي كافح وثابر، ليعيش حياة كريمة، حيث غادر قريته بحثاً عن عمل، وبالكاد وجد عملاً متواضعاً براتب ضئيل، وابتعد عن أسرته سنتين، قضاهما في (جاكرتا) [3]. وقد حقق بعد ذلك نجاحاً ملموساً. فتحول من مجرد موظف بسيط إلى موظف مهم في مكتب صاحب الشركة الذي قدّم له (شقة) من غرفتين، وأمر (بتشطيبها) وتأثيثها [4]. وتمكن من بناء أسرة صغيرة سعيدة، بعد كفاح متواصل .

---

(١) المرجع السابق: ١٥٤.

(٢) المرجع السابق: ٩٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٥٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ٢٢٢.

أما والدته (إيبو فضيلة) فكانت تعمل مديرة منزل في (جاكرتا) عند السيد (زين العارفين)، حيث غادرت قريتها واتجهت إلى (جاكرتا) لتعمل هناك، لتتمكن من تسديد دين زوجها، وتحافظ على المزرعة من الضياع [1].

وبعد كفاح وغربة دامت ثلاث سنوات تمكنت من تسديد الدين ، وظهرت معاناتها في قولها لابنها: "هل تصدق ؟؟ لقد سددت القسط الأخير من دين والدك، لم أكن أصرف من راتبي روبية واحدة، وجدت أن بإمكاني أن أكل، وأشرب، وألبس مما يتوافر في هذا المنزل، وأرسل راتبي فوراً إلى التاجر الذي استدان منه والدك، وآخذ وصلاً على المبلغ. فعلت هذا ستة وثلاثين شهراً !! ... كان هدفي الوحيد هو أن أسدد دين والدك، منعت عن نفسي كل شيء غير ضروري، وصبرت طوال تلك السنوات، وكان الأمر صعباً، ثم أصبح عادياً ... " [2].

أما الحاج (مأمون) والد (أندي)، فكان يعمل بقدم واحدة في المطعم الصغير الذي أنشأته الأسرة، ولم يقف بتر قدمه عائقاً أمامه لمواصلة الكفاح في الحياة [3].

قدّمت الرواية صورة عملية لأسرة مسلمة مكافحة، عملت بكل جدٍّ على مواجهة الواقع، وفي ذلك ترسيخ لمبدأ الكفاح،والدعوة إلى التحلي به.

٦ – الرضا والقناعة:

من صفات المسلم الحق أن يكون راضياً قانعاً بما قسم الله تعالى له، وقد أكد مضمون الرواية هذه القيمة من خلال اتسام الشخصيات الخيرة بها، وقد تجسّدت هذه القيمة في شخصية الحاج (مأمون) الذي كان " يعود بعد يوم طويل من العمل، في نهاية النهار، وحين يصلي المغرب يأكل وجبة العشاء، يأكل ما تيسر، ثم يشرب الشاي بعد ذلك، يشعر بلذة كل لقمة يأكلها، دون حاجة إلى حبوب فتح الشهية، أو أدوية تخفيف الحموضة، وحين يفرغ من شرب الماء من كوز الماء الخاص، يقول: الحمد لله !!

تخرج هذه الكلمة من فمه كأعذب ما تكون !! وأحلى ما تكون !! وأرق ما تكون !! يحس أنها خرجت من أعماق قلبه، تعبر عن سعادة نفسية، وشكر عميق لله عز وجل " [4].

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٠ – ٢٠١.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٨٨، ٢٣٢.

(٤) المرجع السابق: ٦٤.

وتجسدت هذه القيمة – أيضاً – من خلال السعادة الحقيقية المخيمة على حياة (أندي) وزوجه (سارينا) على الرغم من أنهما لا يجدان – أحياناً – قوت يومهما [1].

٧ – الحشمة:

حث الإسلام المرأة المسلمة على العفة والتستر، والتشريع الإسلامي أوجب على المرأة الحجاب الذي هو في حقيقته حماية لها مما يمكن أن يلحق بها من أذى من جراء التبرج وعرض المفاتن، " فما صنعه الإسلام ليس تقييداً لحرية المرأة، بل هو وقاية لها أن تسقط إلى درك المهانة، فتكون مسرحاً لأعين الناظرين " [2].

وقد أكدت الرواية أهمية اتسام المرأة المسلمة بالعفة، ومحافظتها على حجابها، من خلال حرص جل الشخصيات النسوية فيها على الحشمة، ومن ذلك وصف الكاتب زي (إيبو فضيلة) والدة (أندي)، حيث قال : " كانت ملابس السيدة العجوز نظيفة، وإن لم تكن جديدة، وكان يشمل الإزار الإندونيسي المفصل من قماش (الباتيك) التقليدي الجميل... كان اللباس يعمّ الجسم كله، لكنه بدا ضيقاً جدًا يعوق حركتها في السير. وكانت تضع شالاً على رأسها بلون أبيض شفاف تمامًا. لكن وضعه على أي حال يعطي انطباعًا باحتشام المرأة " [3].

يظهر الوصف السابق لزي (إيبو فضيلة) أن الفقر لا يعني أن يبدو الإنسان رث الثياب؛ فالدين الإسلامي يحث على النظافة والاهتمام بالمظهر الخارجي قدر المستطاع، والفقر لا يمنع الإنسان من الظهور بمظهر مناسب أمام الآخرين، فعلى الرغم من فقرها إلا أنها كانت ترتدي زيًا محتشماً ونظيفاً ومناسبًا.

والرواية جسّدت ذلك عملياً – أيضاً – من خلال حرص (أندي) على أن تكون الفتاة التي سيتزوجها محتشمة ذات دين [4].

ومن ناحية أخرى نقدت الرواية ظاهرة التفريط بالحجاب، وبينت الأثر السلبي الذي

---

(١) ينظر: المرجع السابق : ٢٢٨ – ٢٣١.

(٢) إعداد المرأة المسلمة:د. السيد محمد علي نمر: ٨٨،الدار السعودية – المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

(٣) مهما غلا الثمن: ٦ – ٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق : ١٤٥.

نتج عن ذلك، وتم ذلك من خلال الفتاة التي مرت أمام (أندي) وزوجه (سارينا) [١].

وهكذا جسد المضمون في الرواية بصورة مباشرة وغير مباشرة مجموعة من القيم الإسلامية الأصيلة، وعُني بإبراز أثر انتشارها في المجتمع. وأكدت الرواية قدرة الإسلام على حل المشكلات التي تواجه البشر، على المستوى الشخصي والاجتماعي. وعبّر المضمون عن مواجهة القيم الأصيلة القيم الفاسدة التي اندحرت وانهزمت هي وأتباعها شر هزيمة أمام الحق وأهله [٢].

* * *

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ١٩١ – ١٩٧.

(٢) ينظر: المجتمع (مجلة) العدد رقم (١٥١٢)، ٢٤(جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠٠٢م). مقال: الرواية الإسلامية بين المشرقية والرحلة المغربية (رحلة عبد المحسن إلى أمريكا.. ومشكلة أندي الإندونيسي): د. حلمي محمد القاعود: ١٥.

المبحث الثاني: توظيف الشخصيات في الرواية:

الشخصية في الرواية هي التي تقوم بالأحداث، وهي المحور الذي تدور حوله جل عناصر الرواية، وتستقطب كلّ الاهتمام، ولو توقفنا عند الأهمية التي تكتسبها بعض العناصر الأخرى، مثل: الأحداث، والبيئة، والحبكة الفنية، والأسلوب، فسنجد أنها ترجع إلى ارتباط تلك العناصر بالشخصية، فعندما تظهر عناية الروائي بعنصر من العناصر الروائية الأخرى، فإن تلك العناية ترجع إلى ارتباط ذلك العنصر بالشخصية الروائية.

وفي الروايات الواقعية لا يُفرض في الشخصيات التي يقدّمها الكاتب أن يكون لها " ذكر في سجل المواليد والوفيات، ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان وجود مثل هذه الشخصيات في الحياة التي نحياها ونعرفها "[1]. فالأهمية التي اكتسبتها الشخصيات الروائية الواقعية تكمن في أن القراء يجدون شبهًا كبيراً بين الشخصيات التي يطالعونها عبر صفحات الرواية وشخصيات يعرفونها في واقع الحياة، وربما يجدون أنها تشبههم في بعض بالجوانب، ومن هنا نجد أنه في كثير من الروايات يربط النقاد والقراء على حدّ سواء بين شخصيات الرواية وشخصية الروائي نفسه، أو شخصيات واقعية أخرى في الحياة؛ لأنهم وجدوا جوانب مشتركة بين الشخصية الروائية وتلك الشخصيات.

ومن هذا المنطلق اكتسبت الشخصية الروائية مزيداً من الجاذبية والتشويق، وأضحت من أقدر العناصر على حمل المضامين، وإيصال الرسائل.

وفي رواية (مهما غلا الثمن) استعان الروائي بمجموعة من الشخصيات الروائية التي شكلت عالمه الروائي، وعملت على تجسيد وجهة نظره، وبلورة رؤاه الفكرية التي أراد أن يقدمها في روايته.

حرص الكاتب على ترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة من خلال تقديم نماذج بشرية متنوعة تمثل الخير ونقيضه، ووضْعها في مواقف حاسمة أبرزت نجاح الشخصيات السوية التي تحلت بالأمانة والإخلاص في التعامل مع تلك المواقف، وفشل الشخصيات الشريرة الباحثة عن الكسب السريع؛ بغض النظر عن مصدره.

---

(١) فن القصة: د. محمد يوسف نجم : ١٠-١١، دار الثقافة - بيروت. (د - ت). (بتصرف)

إن الشخصيات الروائية المتنوعة في رواية (مهما غلا الثمن) كانت بمثابة النماذج البشرية التي مثّلت أنماطاً مختلفة من البشر. وقد مثّلت كل شخصية مجموعة من القيم التي طرحها الكاتب في روايته. وكانت معظم الشخصيات تمثل النماذج السوية الخيّرة، باستثناء شخصيتي مدير المستودعات (سودرمان) ووكيله (أغوس).

وتكمن أهمية هاتين الشخصيتين في أنهما تمثلان المعادل الموضوعي لشخصية البطل (أندي) وبقية الشخصيات الخيّرة في الرواية. وهذا التقابل بين الشخصيات يسهم " في تشكيل بنية هذه الرواية. فنجد (أندي) شخصية ثرية فنياً، متعددة الأبعاد: اجتماعياً ونفسياً بما يجعلها تحمل كثيراً من القيم الإسلامية التي أناطها الكاتب بروايته ... بينما نجد (سودرمان) شخصية تحمل لواء الشر ضد كل من يتصل به سواء كان (أندي)، أو مساعد (سودرمان) نفسه (أغوس)، بل إنه لم يمحض السيد (غزالي) النصيحة، عندما حاول أن يورطه بإيقاعه في الشر عندما عرض عليه مشروع إحراق عشش الفقراء المجاورة لمستودعات الشركة "[1].

وفي ظل هذه الثنائية وظفت الرواية الشخصيات الإسلامية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة التي توصل الإنسان إلى غاياته في الدنيا والآخرة. يضاف إلى ذلك إسهام تلك الثنائية في تنمية الأحداث الروائية، وإضفاء مزيد من الواقعية عليها؛ لأنّ الحياة تشمل نماذج بشرية متنوعة تختلف نظرتها إلى الخالق تعالى والكون والإنسان؛ فجاءت الرواية معبرة عن كل تلك النماذج بصورة إيجابية تمثلت في تقديم النماذج الخيّرة بصورة جميلة تدعو إلى الإعجاب والاقتداء بها، وكان النجاح النتيجة الحتمية لها، مثل شخصيات (أندي، والحاج مأمون، وإيبو فضيلة، ونور حياتي، والسيد غزالي، والسيد زين العارفين)، وتقديم النماذج الشريرة بصورة منفرة من خلال مواجهتها مصيراً يتناسب مع أفعالها، مثل شخصية (سودرمان مدير المستودع، ووكيله أغوس).

والملاحظ أن النماذج الإيجابية التي قدّمتها الرواية تفوق النماذج الشريرة من حيث عددها، وأثرها في محيط الرواية، وربما كان مردّ ذلك إلى أنّه تعبير عن أن ذلك هو ما يجب أن يتحقق في الحياة.

---

(١) الجزيرة (جريدة)، الأربعاء، ٥ من محرم ١٤٢٥هـ، العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

وفي مقابل إظهار الرواية الشخصيات الخيّرة بصورة حسنة، أدانت الشخصيات الشريرة التي أفنت حياتها في الجري خلف المال بطرق غير شرعية، وكان السجن النتيجة الحتمية لسعيها الجشع وراء المال، حيث أُدين مدير المستودعات بحرقها، وزج به في السجن [1].

وظفت الرواية الشخصيات الروائية في تجسيد فكرة مؤداها أن الإنسان السوي يستطيع أن ينجح في حياته من خلال تمسكه بالقيم الإسلامية، وقد عبر نجاح الشخصيات الخيّرة في تحقيق غاياتها عن إمكانية تحقق ذلك. وقد مثلت تلك الشخصيات شمعة أو شمعات مضيئة في مرحلة تئن من الضعف والانكسار.

ووجود شخصية الثري الخيّر سمة ظاهرة في روايات الكاتب، ففي روايته الأولى (دفء الليالي الشاتية) نجد شخصية الثري (أبي فهد) الذي قام بإنشاء أول مسجد في مدينة (دنفر) في (أمريكا)، وبذلك أسهم في حل مشكلة المسلمين في تلك المدينة، بعد أن نجح (عبد المحسن) بطل الرواية في إقناعه بذلك [2]. وفي رواية الكاتب الثالثة (مثل كل الأشياء الرائعة) مثلت شخصية الشيخ (مبارك) شخصية المسلم الثري المحسن الذي يسخّر ماله في خدمة الآخرين، وكان قد ذهب إلى (مدغشقر) في رحلة صيد، ومن خلال المواقف المختلفة برزت شخصيته بوصفه رجلاً كريماً صالحًا يسخّر ماله في مساعدة المحتاجين [3].

قدّمت الشخصيات الأربع الثرية التي جاءت في روايات الكاتب الثلاث أنموذجًا لشخصية المسلم الثري الذي وسّع الله تعالى عليه رزقه، وبدوره قام بجعل ذلك المال في خدمة الآخرين. وأرى أن تقديم مثل هذه الشخصيات جاء مجسداً للتصور الإسلامي لكيفية التعامل مع المال، فالإسلام لا يعترف بالطبقية، ويجعل التقوى المقياس الذي يحكم من خلاله على الإنسان المسلم، فلا فرق بين غني ولا فقير، ولا بين أسود وأبيض، والمجتمع الإسلامي يمثل لحُمة واحدة، تسوده روح الأخوة.

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢١٩.

(٢) ينظر: دفء الليالي الشاتية : ١٢٤ – ١٣٢.

(٣) ينظر: مثل كل الأشياء الرائعة: د. عبد الله العريني: ١٥٤ – ١٥٦،١٦٤، ١٧٥ – ١٨١، دار كنوز إشبيليا – الرياض، ط ١ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

والكاتب نجح في توظيف شخصيات روايته في التعبير عن معتقداته وآرائه، وأعطاها " فرصة الحركة الطليقة على سجيتها، لتعبّر عن نفسها، عما يدور في داخلها "[1]. وبدت حركتها وفق السياق العام للرواية، وكانت الشخصيات الخيرة متفاعلة مع مجتمعها، متصالحة مع نفسها، واضحة في تصرفاتها، متفائلة، قانعة، راضية، مؤمنة بقضاء الله وقدره، وكان النجاح في تحقيق الأهداف هو الثواب الذي نالته.

أما الشخصيات الشريرة فجاءت لاستكمال المشهد الروائي، بحيث مثلت الجانب الآخر المضاد. ومن خلال نجاح الشخصيات السوية والقيم التي حملتها، واندحار وانهزام الشخصيات الشريرة والقيم التي حملتها – وفق الكاتب في توظيف الشخصيات الروائية في تقديم صورة إيجابية للإسلام وشخصياته، التي ربما اتخذها القارئ قدوة حسنة في حياته.

* * *

---

(١) المجتمع (مجلة). العدد (١٥١٥) ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٢م. مقال: الرواية الإسلامية بين الرحلة المشرقية والرحلة المغربية (٤-٤): د. حلمي محمد القاعود: ٥٢.

المبحث الثالث: توظيف الأحداث الثانوية في الرواية:

الأحداث الثانوية هي مجموعة من الوقائع الجزئية التي يسردها الروائي في روايته، والتي تشكل مجتمعة الحدث الرئيس، وتسهم في تجسيد المعنى العام للرواية. ولهذا النوع من الأحداث أهمية في البناء الفني للرواية، ومن ذلك أنها تسهم – مع غيرها من العناصر الروائية – في التعبير عن وجهة نظر الكاتب ومواقفه المختلفة.

وفي رواية (مهما غلا الثمن) وظف الكاتب الأحداث الثانوية في التعبير عن الآراء والمعتقدات التي يؤمن بها، من خلال حسن اصطفائه مجموعة من الأحداث الثانوية، التي مثلت تلك الآراء، وعبرت عن وجهة نظره، ومن ذلك التوظيف:

١ – تصحيح الفهم الخاطئ لدى فئة من المسلمين، حول بعض العبادات، فالحج – مثلاً – فرضه الله تعالى على المستطيع، أما أن يُحمِّل المسلم نفسه مالا تطيق من أجل القيام بهذا الركن، فأمر لا يقره الشرع، وهذا ما أكدته الرواية، فوالد (بجّو) باع مزرعته؛ ليؤدي فريضة الحج، وترك أسرته لا تملك شيئاً. وبعد عودته من الحج اضطر إلى العمل أجيراً في مزرعته السابقة، وسافرت ابنته لتعمل خادمة في بلاد بعيدة، وأصبح ابنه بائعاً متجولاً. وبعد فوات الأوان عرف أن الحج لمن استطاع إليه سبيلاً [١].

٢ – الدعوة إلى التسامح بين المسلمين، وتجاوز الزلات، وكان ذلك من خلال الإشارة إلى مناسبة (حَلَلْ بحلَلْ)، وهي " تقليد إندونيسي اجتماعي جميل تبدأ أيامه مع بداية عيد الفطر، وتنتهي بنهاية شهر شوال من كل عام، وعبارة (حلل بحلل) مأخوذة من اللغة العربية، وأصلها (حلال بحلال)، بمعنى تحلل الإنسان ممن أخطأ عليه أو أساء إليه، وأن يطلب مسامحته ..."[٢]. وقام (أندي) بالذهاب إلى (سودرمان) مدير المستودعات، وسلّم عليه، وحاول أن يبدأ معه صفحة جديدة، على الرغم من أنه كان السبب في زجه بالسجن [٣].

٣ – الحث على ضرورة التعامل الحسن مع الفقراء والمساكين والبائعين المتجولين، ونقدت الذين يتعاملون بصلف مع أمثال هؤلاء، وتمثل ذلك من خلال الطفل البائع

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٥٠.

(٢) المرجع السابق : ٢١١.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١٢ – ٢١٩.

الذي كان يقفز قفزاً إلى داخل القطار ليبيع بعض ما يحمل من زجاجات الشاي، في أثناء وقوف القطار، وكان الرجل الذي يجلس بجوار (أندي) قد طلب من الطفل أن يعطيه زجاجة من الشاي، وأخذ فترة طويلة من الوقت في مجادلة الطفل، حتى كاد يحرمه من بيع أي شيء؛ لأن القطار أوشك على التحرك، والطفل يرجوه أن يحسم أمره، ولكن الرجل واصل جداله بكبرياء، فطلب (أندي) من الطفل أن يعطيه الزجاجة، ودفع له ثمنها، فشرع الصبي بفتح " الزجاجة بيدين مرتعشتين من تأزمه النفسي، وقدّمها له فراح يشربها بكل انشراح، وفي الوقت الذي لم يستطع جاره أن يقول شيئاً، أو يفعل شيئاً، وإنما اكتفى بزم شفتيه معلناً تبرمه وسخطه ... "[1].

٤ – نقدت الرواية ظاهرة التبذير المنتشرة في بعض المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال حزن (نور حياتي) الشديد وتأثرها بما يحدث للطعام بعد الولائم التي كانت تقيمها الأسرة التي تعمل لديها، فبعد انتهاء الوليمة يرفع الطعام الشهي، ويلقى في صناديق النفايات، وهذا المشهد المتكرر كان مبعثاً لحزنها وألمها، ودافعاً إلى تذكر الجوع الذي يعيشه أهلها[2].

٥ – التذكير بقدرة الله تعالى، وتمثل ذلك من خلال حادثة ثورة البركان التي كانت بمثابة الشاهد الحي على قدرة الله تعالى، وقد تشرد بسببه سبعون ألفاً، ومات خمسة عشر ألف قتيل، من أهالي إحدى القرى، وقدّم الكاتب في روايته صوراً مروّعة لحال أولئك المشردين، نقلوها لأهل القرية التي نزحوا إليها، ومن ذلك قول (أندي) لوالده: " لقد حدثونا عن تلك الليلة التي ثار فيها البركان، وكيف أضرمت النيران بأكثر منازل القرية، إن لم يكن فيها كلها، كانت أصوات الانفجارات تهز رؤوس الناس ... إحدى النساء حملت كيس أرز صغيراً من شدة الخوف وضمته إلى صدرها وأسرعت به إلى معسكر اللاجئين، وفي المعسكر وضعته، وهي تقول: لقد وصلنا أخيراً يا بني !! مسكينة لقد ظنت ذلك الكيس هو ابنها ... "[3]

عمل الكاتب على توظيف الأحداث الثانوية في الرواية في تمثل القيم

---

(١) المرجع السابق: ٤٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨١.

(٣) المرجع السابق: ١٠٩ – ١١٠.

الإسلامية الأصيلة ونشرها بين القراء، ونقد بعض جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية. وقد سارت تلك الأحداث في سياق المضمون الروائي، وجاءت حركتها متفقة مع حركة الشخصيات والجو العام للرواية.

* * *

المبحث الرابع: صورة الأسرة المسلمة في الرواية:

الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع، وإذا صلحت صلح المجتمع، والأسرة " في الإسلام تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، فيدخل في هذا الأجداد والجدات، وتشمل – أيضاً – فروع الأبوين ... "[١].

والنواة الأولى للأسرة تتشكل من خلال العلاقة بين الرجل والمرأة، وأساس العلاقة بينهما في الإسلام هو الزواج الذي يعدّ الرابطة التي تنقل العلاقة بين رجل وامرأة من التحريم إلى الحل الشرعي، وكل العلاقات ما عداه حرام تستوجب أشد العقاب [٢].

١ – العلاقة بين الرجل والمرأة:

برع الكاتب في رواية (مهما غلا الثمن) في تقديم صورة مشرقة لعلاقة الرجل بالمرأة في إطارها الشرعي، المتمثل في إقامة حياة زوجية سعيدة قوامها الرحمة والمودة، وإقامة شرع الله تعالى، وذلك من خلال تقديم نموذجين لعلاقة الرجل بالمرأة وفق النظرة الشرعية، وفي إطارها الصحيح المتمثل في الزواج.

– النموذج الأول: تمثل في والدي بطل الرواية (أندي) (الحاج مأمون) وزوجه (إيبو فضيلة). فالعلاقة بين هذين الزوجين قامت على المودة والرحمة، إذ عملت الأم مديرة منزل لمدة ثلاث سنوات، حارمة نفسها من كلّ شيء؛ لكي تسدد ديون زوجها، وتفك رهن مزرعته [٣].

– **أما النموذج الثاني:** فتمثل في العلاقة بين (أندي) وزوجه (سارينا)، حيث قامت العلاقة بينهما على الحب الناشئ في إطار بيت الزوجية، فالحب الصحيح – كما قدّمته الرواية – هو ذلك الحب الذي يأتي بعد الزواج [٤].

إن الأساس في نجاح العلاقة الزوجية يقوم أول ما يقوم على حسن اختيار الزوجة، و(أندي) عندما رغب في الزواج قرر أن يختار ذات الدين والعفاف والخلق الفاضل [٥]؛ ونتيجة لهذا الاختيار وفق في زواجه.

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة: ٦٢، دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع : ٦٣ .

(٣) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢٣١.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ١٤٥.

ومن خلال الأحاديث التي كانت تجري بينهما، قدّم الكاتب أنموذجاً لحياة زوجية سعيدة، قوامها المودة والرحمة والاحترام،في إطار بيت الزوجية.وإذا كان (أندي) قد فشل في الزواج بمن أحب، فالحياة لم تتوقف،لأن البيوت السعيدة لا تقوم على الحب الذي ينشأ قبل الزواج،فالحب الحقيقي هو ذلك الحب الذي يولد بعد الزواج،من خلال العشرة الطيبة القائمة على المودة والرحمة[1].

وقد أشاد الدكتور (سعد أبو الرضا) بتوجه الكاتب " الأخلاقي الإسلامي وهو يتعامل مع قضية المرأة والعلاقة بينها وبين الرجل، مقارناً بين ما نجده في هذه الرواية من عفة وتعفف، وبين روايات أخرى تتخذ من الجنس المكشوف وسيلة لتجسيد هذه العلاقة... وها هو ذا الدكتور (عبد الله العريني) يقدّم للقارئ عمله الروائي الثاني (مهما غلا الثمن) محققًا نقلة فنية متميزة في تشكيل بناء الرواية، وتجلي نسيجها اللغوي المتآلف المتناسق إلى حدٍّ كبير، مع استمراره في تحقيق مستوى أخلاقي متميز أيضاً لعلاقة الرجل بالمرأة من حيث العفة والتصون ومعالجته لهذه العلاقة من مدخلها الشرعي وهو الزواج، برغم ترائي الحب كرابط إنساني وجداني بين الزوجين ... "[2].

والرواية أنصفت شخصية المرأة مما لحقها من تشويه في كثير من نماذج الرواية العربية التي بدت المرأة فيها مجسّدةً لصورة الخيانة والرذيلة والانحراف [3]، بينما قدّمت رواية (مهما غلا الثمن) نماذج مشرقة لشخصية المرأة المسلمة الملتزمة بتعاليم الشرع الحنيف، وأظهرت – أيضاً – دورها المهم في نجاح الأسرة المسلمة، ومن هذه الشخصيات: (إيبو فضيلة، وسارينا، ونور حياتي، وهيلة).

٢ – العلاقة بين الآباء والأبناء:

نظّم الإسلام العلاقات المختلفة التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، وبما أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، فقد نظّم الإسلام الحقوق والواجبات التي على كل فرد من

---

(١) ينظر: المرجع السابق : ١٦٥ – ١٧٧.

(٢) الجزيرة (جريدة)، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ العدد (١١٤٧٢)، مقال (تطور التجربة الفنية عند الدكتور عبد الله العريني في روايته مهما غلا الثمن): د. سعد أبو الرضا، ص ٤١.

(٣) ينظر: على سبيل المثال شخصية المرأة في روايات نجيب محفوظ، مثل: (نفيسة في بداية ونهاية، وإحسان شحاته في القاهرة الجديدة، وزنوبة في الثلاثية، ونور في اللص والكلاب).

أفرادها. فالأبناء لهم حقوق وعليهم واجبات [١].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) سعى الكاتب إلى تقديم أنموذج إسلامي لتلك العلاقة، مبرزًا أثر تلك العلاقة في نجاح أفراد الأسرة في التغلب على الأزمات التي تعرضوا لها.

والرواية جسّدت عاطفة الأمومة والأبوة تجاه الأبناء، ومن ذلك ذهاب (إيبو فضيلة) إلى السيد (غزالي)؛ لإخراج ابنها من السجن، بتهمة حرق المستودعات، على الرغم من براءته من تلك التهمة [٢].

وفي مشهد استقبال الحاج(مأمون) ابنه(أندي) العائد من القرية،صورة معبرة عن عاطفة الحب التي يحملها الأب لابنه، فعندما علم بقدوم ابنه ترك عمله في المزرعة، وعاد إلى البيت، وحين رآه " فتح له ذراعيه، وتهلل وجهه بالبشر، عانقه وضمه إليه، شعر برغبة جارفة بالبكاء " [٣].

وفي موقف آخر أخفى الحاج (مأمون) عن ابنه موضوع رسالة (نور حياتي) الرابعة التي تدعوه إلى أن يلحق بها للعمل سائقاً في (السعودية)؛ وذلك لأنه لا يريد أن يبتعد عنه [٤].

يضاف إلى ذلك أن الحاج (مأمون) كان يصر على تسمية ابنه بـ (أندي الصغير)، وعلقت زوج (أندي) على ذلك بقولها: " لا تنزعج من قول أبيك (أندي الصغير) !! فنحن عند آبائنا وأمهاتنا نظل صغاراً، ولو كبرنا !! شعورهم بأننا ما زلنا صغاراً كفيل بألا يقطع عنّا حبهم وإحسانهم " [٥].

والرواية ركزت على إظهار أهمية تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة، وأبرزت أثر تلك التربية في الأبناء والآباء في الوقت ذاته. وقد ظهرت نتيجة التربية من خلال نجاح (أندي) و (نور حياتي) في حياتهما.

لقد مثّلت شخصية (أندي) بطل الرواية شخصية المسلم الملتزم بدينه، المتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة، وكان لوالديه الفضل بعد الله تعالى في غرس تلك القيم في نفسه، ومن ثم انعكست على حياته وأثّرت فيها، ويبرز ذلك من خلال علاقاته داخل

---

(١) ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع: ٩٩ – ١٣٢.

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ٥ – ١٦.

(٣) المرجع السابق: ٥٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٠٥ – ١٠٦.

(٥) المرجع السابق: ١٧٦.

محيط أسرته: مع والديه، وزوجه (سارينا)، ومن خلال نجاحه في مجتمع عمله، حتى تمكن من كسب ثقة مدير الشركة السيد (غزالي)، فتحول من مجرد موظف بسيط إلى موظف مهم في مكتب مدير الشركة يستشيره في معظم قراراته المهمة، بعد أن عرّضه لاختبارات تجاوزها بنجاح [1]، بفضل تمسكه بالقيم الإسلامية الأصيلة التي تربى عليها منذ الصغر في أسرته، مثل الصبر الذي اكتسبه من والده، حتى إنه كان يسمي الصبر (كنز أبي) [2].

وكانت والدته توجهه، حتى بعدما أصبح رجلاً، يبحث عن زوجة، فقالت له: " إذا كنت تحب (سارينا) فعليك أن تأتي البيوت من أبوابها " [3].

مثّل والد (أندي) ووالدته ركني الأسرة الفقيرة التي نشأ فيها بطل الرواية، وكان لهما أكبر الأثر في تربيته تربية إسلامية صحيحة مكنته من النجاح في مواجهة صعوبات الحياة. وعبر (أندي) عن ذلك من خلال قوله: " يا الله، منذ صغري كنت أسمع والدي يردد كثيراً على مسمعي كلمة (الصبر)، إنه يعده مفتاح النجاح في الحياة. أتعلمين ؟ لولا توفيق الله ثم نصيحته الخالدة لما استطعت أن أتغلب على مشاكل الحياة واحدة بعد الأخرى ... إنه درس علمني إياه والدي، وسوف أنقل هذا الدرس إلى أبنائي في المستقبل ... " [4].

أما (نور حياتي) فشقت طريقها بنجاح عند الأسرة التي تعمل لديها خادمة، وصرحت لوالدتها في أكثر من موضع في الرواية بأن سر نجاحها يرجع إلى التربية الإسلامية الصحيحة التي حظيت بها من قبل والديها، ومن ذلك قولها: " سأتحدث لكِ أنتِ بالذات يا أمي عن كلِّ شيء، وأشكرك على تربيتك لي، هذه التربية التي علمتني النشاط والأمانة والعفة، وقد شعرت أنني أستفيد من تعليماتك أكبر فائدة " [5].

وقالت في موضع آخر: " أمي الغالية، لقد قررت أن أكتب إليكِ أنتِ بالذات عن وقائع

---

(1) ينظر: المرجع السابق: ١٥٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٥٠، ١٦٥، ١٧٠، وغيرها من المواضع.

(٣) المرجع السابق: ١٤٩.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٣.

(٥) المرجع السابق: ٧٦.

غريبة وقعت لي، وما كان المخرج منها – بعد توفيق الله – إلا تربيتك وتعليماتك الثمينة التي أعتز بها، بل كان لهذه التربية الفضل – بعد الله – في حب أهل المنزل لي وثقتهم بي "[1].

والوقائع الغريبة التي ذكرتها في رسالتها تمثلت في تعرضها لامتحانين من أصحاب المنزل؛ للتأكد من أمانتها، وقد اجتازتهما بنجاح [2]. ومن خلالهما ظهر بوضوح أثر التربية الإسلامية في بناء شخصيتها بناء سليماً منحها مزيداً من الثقة في النفس؛ وبذلك تحلت بالقناعة والرضا والأمانة والإخلاص، وقد شكرت في رسالتها الرابعة أهلها على حسن تربيتها، وذلك من خلال قولها: " أما قلت لك يا أمي، ويا أبي: إن تربيتكما لي هي خير ما أحمله معي. لقد بدأت أرى محاسن تلك الأخلاق التي حرصتم على أن ألتزم بها أنا وأخي (بجّو) فجزاكم الله خير الجزاء "[3].

وكانت (نور حياتي) قد أخبرت ووالدتها بأنها رأتها في المنام تقول لها: " أنت ابنتي حقاً !! "[4]، بعد أن سلمت الخمسمائة ريال التي وجدتها في الثياب إلى صاحبة المنزل .

سعت الرواية إلى إظهار ثمرة التربية الصالحة للأبناء، من خلال النجاح في الحياة العملية والأسرية، وهذا النجاح انعكس بطبيعة الحال على الآباء والأمهات، الذين نعموا ببر الأبناء، وهذا ما جسدته الرواية – أيضاً – حيث قدّمت صوراً مختلفة لبر الأبناء، ومنها معرفة حقوق الوالدين وفضلهما، فكان (أندي) يعرف فضل والديه عليه، ويسمع توجيهاتهما، ويستحضر كلامهما، مثل قوله عن الصبر: كنز أبي، أما (نور حياتي) فكانت ترجع سر نجاحها – بعد توفيق الله تعالى – إلى والديها.

وعملياً تجسد ذلك البر من خلال سلوك الشخصية، (فأندي) عندما عاد إلى قريته في زيارة بعد خروجه من السجن انحنى يقبل يدي والده بحرارة وحب جارف [5].

وحدث الشيء نفسه عندما علم بمرض والده، فجاء مسرعاً، "وما إن دخل على

---

(١) المرجع السابق: ٨٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨٤ – ٩١.

(٣) المرجع السابق: ١٠٤، وينظر: ١٠١.

(٤) المرجع السابق: ٨٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٦٥.

والده، حتى أكب على يديه يقبلهما، ثم ضمه إلى صدره "[1].

وعندما قرأ الرسالة الرابعة، التي تحوي دعوة من (نور حياتي) ليعمل سائقاً في (الرياض)، قرر أن يأخذ موافقة والده [2].

وفعل الشيء نفسه مع والدته عندما أراد أن يتزوج، فقرر أن يسمع رأيها، لأنه يعلم أنه لا أحد يحبه كما تحبه أمه، وأنها أقدر منه على رؤية بعض الجوانب الخفية التي قد تغيب عنه [3].

ومن صور البر التي قدمتها الرواية – أيضاً – تقديم المساعدة المادية، وقد قام بذلك (أندي) عندما زار والديه في القرية، ولكن والده ردّها شاكراً، وقال له: " لو احتجت مساعدتك لأخذتها منك، ولكن أمورنا المالية أفضل بكثير مما تتصور " [4].

٣ – تعامل الأسرة المسلمة مع الخدم:

العاملون في المنازل أو الخدم هم فئة من الناس تشارك الأسر حياتها ومعيشتها، بما تحمل من أفراح وأتراح. وهناك من يتعامل مع هذه الفئات بصلف وقسوة، وهذا مخالف للتشريع الإسلامي الذي حثنا على الإحسان إلى كل الناس.

ورواية (مهما غلا الثمن) أثْرت موضوع الأسرة المسلمة في الرواية من خلال تناولها جوانب مختلفة من حياة الأسرة المسلمة، ولاستكمال الصورة سعت إلى بلورة وجهة النظر الإسلامية في التعامل مع الخدم، من خلال تقديم صورة نموذجية عملية لتعامل أسرة مسلمة مع فئة الخدم التي قدّر الله تعالى عليها ذلك المصير. وقد جسّدت أسرة (عبد اللطيف) ذلك النموذج الإيجابي للتعامل مع الخدم، وتحقق ذلك من خلال مواقف متعددة، فمنذ أن حطّت الطائرة التي أقلت (نور حياتي) من بلدها (إندونيسيا) إلى أرض (المملكة العربية السعودية) – شرعت الرواية في تقديم صورة نموذجية للتعامل الإسلامي الصحيح مع تلك الفئة، (فعبد اللطيف) عندما ذهب إلى المطار لاستقبالها صحب أبناءه؛ تجنباً لوقوع الخلوة بينهما [5].

---

(١) المرجع السابق: ١٨٢. وينظر – أيضاً – ١٩٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٠٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: : ١٤٦.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ٧٢.

وصاحبة المنزل (هيلة) كانت تناديها بـ (يا بنتي) [١]. وكانت (نور حياتي) ترد عليها بـ (ماما هيلة) [٢].

وبعد أن تأكدت صاحبة المنزل من أمانتها، بعد نجاحها في تجاوز الامتحانين اللذين تعرّضت لهما، قالت لها: " أنت اليوم مثل بنت من بناتي ... " [٣].

والتعامل الحسن الذي حظيت به (نور حياتي) من قبل الأسرة التي عملت لديها كان يشعرها بالسعادة والرضا، وجعلها توازن بين حياتها وحياة بعض صديقاتها اللواتي كن غير سعيدات في حياتهن العملية، حيث قالت: " حدثتني بعض صديقاتي عن أنهن لسن سعيدات مثلي، تمنت كل واحدة أن تكون مكاني !! أما أنا فأشعر بالسعادة ... " [٤].

يضاف إلى ذلك أن ربة المنزل عندما اكتشفت قدرتها على ترتيل القرآن الكريم، طلبت منها تخصيص وقتٍ لتعليم ابنيها (خالد والعنود) قدراً من القرآن، مقابل أن تمنحها مكافأة إذا حفظ أي منهما جزءاً من القرآن الكريم [٥].

ومن خلال تقديم صور عملية لواقع الأسر المسلمة عملت الرواية على توظيف تلك الصور الإيجابية في نشر القيم الإسلامية الأصيلة، ومن ناحية أخرى عمّقت فهمنا بأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في بناء أفرادها بناء سليماً، ومن ثم بناء المجتمع الإسلامي الذي ننشد.

* * *

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ٧٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٨١.

(٣) المرجع السابق: ٩٠.

(٤) المرجع السابق: ١٠٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق: ١٠١ - ١٠٣.

المبحث الخامس: توظيف الحوار في الرواية:

الحوار ركن من أركان الأسلوب الروائي، وصورة من صوره، وهو " اللغة المعترضة التي تقع وسطاً بين المناجاة واللغة السردية. ويجري الحوار بين شخصية وشخصية، أو بين شخصيات وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي " [١].

ومن خلال الحوار يترك الكاتب " طرفي الحوار يستخدمان كل ما يستطيعانه، من وسائل لعرض أفكارهما. وفي هذا متعة للقارئ، إذ يشعر أنه يسمع تلك الأفكار مباشرة من أصحابها، وأن أولئك قد سنحت لهم الفرصة أن يقولوا ما يريدونه...

وهي فرصة ذهبية للكاتب – أيضاً – كي يمسك بالقضية من أطرافها، في صياغة ظاهرها الحياد المطلق، وحقيقتها التوجيه الخفي، إلى ما يرومه من قيم ومبادئ " [٢].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) كان الحوار من الوسائل الناجعة التي وظفها الكاتب في نشر آرائه وأفكاره، ومن صور ذلك التوظيف:

١- تضمين أحاديث الشخصيات الروائية الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. وهذا يسهم في إضفاء الروح الإسلامية على الجو العام للرواية. يضاف إلى ذلك أنه كان وسيلة ناجعة للتوجيه والتذكير والتعليم، ومن ذلك استشهاد (نور حياتي) بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٧]، في أثناء حديثها مع صاحبة المنزل التي تعمل لديها عن الطعام الذي يُلقى في صناديق النفايات بعد انتهاء الولائم [٣].

ومن ذلك – أيضاً – قول (سفيان) سكرتير السيد (غزالي) للسائق الذي دهس طفلاً: " سأشرح له كل شيء، دع هذا الأمر عليّ، وكن من أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧] " [٤].

ومن ذلك – أيضاً – قول (أندي) لزوجه (سارينا) مداعباً، عندما طلبت منه أن يحدثها

---

(١) في نظرية الرواية: د. عبد الملك مرتاض: ١٣٤، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، شعبان (١٤١٩هـ).

(٢) الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: ٢٨٠.

(٣) ينظر: مهما غلا الثمن: ٨١.

(٤) المرجع السابق: ١٤١.

عن كنز أبيه.: " الحديث يطول، وأخشى أن أنشغل بالحديث. فتنفردي بهذا الطعام اللذيذ. ثم أضاف ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: من الآية ٢٨] "[١].

والجمل الحوارية التي أجراها الكاتب على ألسنة الشخصيات الروائية بدا عليها التأثر واضحاً بأسلوب القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا يعكس تأثر أسلوب الكاتب بالنصوص الشرعية. ومن ناحية أخرى كان وسيلة من وسائل نشر القيم الإسلامية والتعبير عن واقع المجتمع الإسلامي. وهناك ميزة أخرى أرى أنها مهمة، تتمثل في أن تأثر أسلوب الرواية بأسلوب القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يسهم في إكساب الفن الروائي أهمية وقيمة، ويجعله أكثر قبولاً وقدرة على التأثير.

ومن نماذج التأثر بأسلوب القرآن الكريم. قول (أندي) لوالده: " مثل أن تطلب من ذلك التاجر تأجيل السداد إلى أجل، ثم يبدل الله بعد العسر يسرا "[٢].

ومنه – أيضاً – ما جاء على ألسنة الشخصيات الروائية أثناء حوارها، مثل: (فعادتهم أنهم لا يسألون الناس إلحافاً. فعليك أن تأتي البيوت من أبوابها. ألا تخاف سهام السحر التي لا تخطئ ، إنا لله وإنا أليه راجعون. الحمد لله على كل حال)، وغيرها من المواضع[٣].

٢- نقد ظاهرة التساهل في أمر الحجاب. فبينما كان (أندي) يسير مع زوجه (سارينا) في الشارع مرت بهما فتاة (إندونيسية) بلباس غير محتشم، ومن خلال الحوار الذي أجراه الكاتب بينهما، وضح أهمية الحجاب في حماية المجتمع من الرذيلة [٤]. وفيه قال (أندي) لزوجه: إن سبب اختيارك زوجاً لي، يرجع إلى أنك مختلفة عن النساء المتبرجات." لا بموديل الثياب، أو لون الحذاء، أو تسريحة الشعر،بل في إصرارك على اللباس الساتر المحتشم.إنني على يقين من أن المرأة المتبرجة تقدم نفسها على أنها جسد شهواني فقط،وأن الجسد هو المهم الذي

---

(١) المرجع السابق: ١٦٨. ومن المواضع الأخرى التي استشهدت فيها الشخصيات الروائية أثناء حواراتها بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. أو جاءت ضمن حواراتها: ١٣٨، ١٣٩، ١٧٠،١٦٠،١٥٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣. وغيرها من المواضع.

(٢) المرجع السابق : ٥٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٩٥، ١٤٨، ١٥٨، ١٧٨، ٢٢٥، ٢٢٦. وغيرها من المواضع.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩١ – ١٩٥.

يتفوق على دينها وخلقها وعقلها وقلبها وعلمها وفكرها ودورها الكريم في الحياة،وكأنها ليست إلا دمية من الدمى "[1].

٣ – نشر بعض الأفعال الإسلامية المشروعة التي ربما غابت عن أذهان بعض الناس، مثل: صلاة الاستخارة، وتمثل ذلك في الحوار بين الحاج (مأمون) وابنه (أندي)، ومن خلاله وجهه إلى أداء صلاة الاستخارة، قبل اتخاذ قرار السفر إلى السعودية أو البقاء في بلده، وأرشده إلى كيفية القيام بذلك، وأخبره أن " الإنسان مهما اجتهد يحتاج أن يكون الله معه. وألا يغتر بأنه قد أعدّ كل العدة، واستعد كل الاستعداد "[2].

٤ – نقد بعض التصرفات التي تصدر عن بعض المسلمين، مثل الحرص الشديد على تسويق (السجائر)، وقد مثّلت الرواية ذلك من خلال الحوار بين (أندي) و (بجّو) أثناء سيرهما في القرية، عندما شاهدا شابًا " يحمل على صدره صندوقاً صغيراً يبيع السجائر: يبيعها بالحبة، والحبتين؛ ليلائم حاجات الفقراء الذين لا يستطيعون شراء علبة كاملة، أليس عجيباً يا (بجّو) هذا الحرص على تسويق السجائر، وإنفاق ملايين الروبيات من أجلها، مع أن الذين يشترونها هم أحوج ما يكونون إلى ثمنها لشراء طعام أو دواء "[3].

٥- نقد التقصير الواضح في تدريس العلوم الشرعية، وأبرز أثر ذلك التقصير في حياة المجتمع، حيث انتشرت البدع، وانتشر الزي الغربي بين الطلاب والطالبات، وصرحت (سارينا) لزوجها بأنها لم تستطع العيش في مثل ذلك الجو؛ لذا فضلت أن تعمل في مدرسة (الباقيات الصالحات)، حتى بنصف الراتب[4]. وأخبرته أنه المها أن تكون " حصة الدين حصة واحدة يتيمة، يلقيها مدرس مادة الخلق الإسلامي، فليس هنالك تعليم للعقيدة وللعبادة، حصة واحدة يتيمة ماذا يمكنها أن تعمل ؟ ... "[5].

وتبعاً لهذا الموضوع نقد الحوار إرهاق المعلم والتقصير في حقه، وقد تجسد ذلك في

---

(١) المرجع السابق: ١٩٥.

(٢) المرجع السابق: ١١٨.

(٣) المرجع السابق: ٩٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١٩٤.

(٥) المرجع السابق: ١٩٣.

سياق قول (أندي)لـ(بجّو): " ... وفي التعليم يُرهق المعلم بكثرة الحصص الدراسية،وقلة المكافأة، فيضطر إلى أن يُدرّس في مدرستين أو ثلاث مدارس في اليوم الواحد؛ ليسدد مصروفاته الضرورية. وبدلاً من مساعدته على الخروج من هذه المحنة التي وضعناه بها يكون الحل الذي نقدمه، عيداً للمعلم، وأناشيد وحفلات صاخبة في نهاية السنة الدراسية !! فتنجح أجيال لا تحمل الحد الأدنى من التعليم "[1].

٦ – نقد بعض الإعلانات التجارية التي تمارس الدجل والكذب على الناس، وقد تمثل ذلك من خلال حديث (أندي) لـ (بجّو) عن لافتات الشوارع في (جاكرتا)، وما تحمل من تدليس. ومن خلال الحوار – أيضاً – تم نقد واقع الطب، واتجاه الناس إلى المسكنات [2].

٧ – نقد واقع الغرب الذي يدّعي حماية حقوق الإنسان، بينما ينفق عشرات المليارات من الدولارات على أدوات الزينة، وينفق في السنة الواحدة أكثر من ثلاثين مليار دولار على الكلاب والقطط، بينما يموت في كل سنة أربعة ملايين طفل في الدول النامية؛ بسبب مرض الجفاف الذي لا يكلف علاج المريض ربع دولار فقط [3]. وهذا ما بيّنه (أندي) لزوجه (سارينا) فأجابته ضاحكة: " كل هذه الأرقام الفلكية من أجل قطط وكلاب، ليتهم إذن يعاملوا الآخرين كمعاملة الكلاب والقطط ؟

رد (أندي) باهتمام بالغ: ولو فعلوا !!– وهو أمر مستبعد تماماً – فإن مشكلات الدول النامية ستحل إذا أعطيت جزءاً من الأموال الموجهة للقطط والكلاب في تلك البلاد " [4].

وهكذا عمل الحوار في الرواية على تجسيد رؤية الكاتب، والتعبير عن أفكاره، فجاء حافلاً بالدعوة إلى التمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة، وفي الوقت ذاته وظف في نقد بعض جوانب القصور في بعض المجتمعات الإسلامية، وتجاوز ذلك إلى نقد بعض السلوكيات في المجتمعات الغربية التي تعبر عن التناقضات الكبيرة لديهم.

---

(١) المرجع السابق: ٩٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٩٥ – ٩٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١٩٦.

(٤) المرجع السابق: ١٩٦ – ١٩٧.

المبحث السادس: الحبكة الفنية، وخصوصية الرواية الإسلامية:

الحبك في اللغة " الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب " [1].

أما في الاصطلاح فالحبكة هي " عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث، فالقاص يختار الحوادث الصالحة، ويضع هذه قبل تلك، وتلك قبل هذه، بحيث يجيء السياق والتتابع موفياً بالغرض المقصود. ولو خلت القصة من الحبكة لم تعد قصة فنية " [2].

والصلة تبدو وثيقة بين معنى الحبك في اللغة ومصطلح الحبكة الفنية الذي يشير " إلى تخطيط أو حبك شيء على نحو مقصود ومخطط، وهو ما يفعله القاص: فهو يحبك خيوط العمل القصصي؛ ليوصل القارئ إلى نتيجة ما " [3].

ووجود الحبكة في القصة هو الذي يفرق بين القصة الفنية والقصة غير الفنية؛ لأن الأحداث موجودة في حكايات الجدات، وأحاديث الناس اليومية، وفيما يتناقلونه من أخبار، ولكن في القصة الفنية تجري الأحداث وفق خطة محددة يرسمها القاص، ويعمل على الربط بين أحداثها المتفرقة، من خلال التأكيد على مبدأ السببية، " ففارق كبير بين أن تقع هذه الأحداث بسبب تلك الأحداث الأخرى، وأن تقع عقب غيرها " [4].

وللحبكة الفنية عناصر تعمل على ربط أحداث الرواية، منها: البداية، ووسائل التشويق، والصراع (التدافع)، والتوقيت والإيقاع، والعقدة، والحل.

وفي هذا المبحث سيتم تناول بعض عناصر الحبكة الفنية التي كان لها خصوصية من حيث التصور الإسلامي للخالق تعالى والكون والإنسان، وهي: الصراع (التدافع)، والعقدة، والحل.

ومن خلال الوقوف عند هذه العناصر في رواية (مهما غلا الثمن) – بوصفها رواية إسلامية – يتضح تميز المعالجة الفنية لها عن الروايات الأخرى . ومن هنا أرى أن هذا التميز أو هذه الخصوصية، تمثل قضية جديرة بالعناية والاهتمام، وربما أسهمت في قيام

---

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي: مادة (ح ب ك).

(٢) دراسات في القصة العربية الحديثة: د. محمد زغلول سلام: ١٣، منشأة المعارف – الإسكندرية، (١٩٨٧م).

(٣) النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبد الله: ٧٦.دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١ (١٩٨٦م).

(٤)فن الشعر:أرسطو طاليس.ترجمة: عبد الرحمن بدوي: ٣٠، مكتبة النهضة المصرية – مصر. (د–ت).

رواية إسلامية متميزة عن غيرها ليس في المضامين التي تطرحها فحسب، بل – أيضاً – في المعالجة الفنية.

وهذا الطرح يناقض الرأي الشائع الذي يرى أن خصوصية الرواية الإسلامية تتمثل في سمو المضمون الذي تطرحه، بينما المعالجة الفنية لا تختلف فيها الرواية الإسلامية عن غيرها من الروايات. ولكن من خلال قراءاتي المتواضعة للنتاج الروائي بمختلف اتجاهاته وبيئاته، ووقوفي عن كثب على كثير من القراءات النقدية له، أزعم أنه لا بد من وجود بعض الاختلاف بين المعالجة الفنية للرواية الإسلامية وغيرها من الروايات. وأرى أن عبارة (حيادية الفن) ينقضها واقع بعض الروايات الإسلامية التي وعت أثر الإسلام في النظر إلى كل جوانب الحياة، ومنها الأدب.

ورواية (مهما غلا الثمن) تعدّ أنموذجا لهذا الاختلاف والتميز، إذ جسّدت تجسيداً عملياً هذه الخصوصية، من خلال جوانب عدة، ومنها ما هو متصل ببعض عناصر الحبكة الفنية، مثل: الصراع (التدافع)، والعقدة، والحل.

وفي هذا المبحث سأقف عند تميز هذه العناصر في الرواية الإسلامية ؛ من خلال نجاح رواية (مهما غلا الثمن) في توظيفها لنشر القيم الإسلامية، والتعبير عن الرؤية الإسلامية الصحيحة.

١ – الصراع (التدافع):

الصراع عنصر مهم من عناصر الحبكة الفنية في الرواية. والصراع " ينمو من تفاعل قوى متعارضة (أفكار ومصالح وإرادات) في حبكة. ويمكن القول: إن الصراع هو المادة التي تبنى منها الحبكة " [١]. ولا يمكن وجود رواية ناجحة تخلو من أي شكل من أشكال الصراع [٢].

وللصراع الروائي أشكال متعددة، منها: الصراع الذي ينشأ داخل الشخصية الروائية، والصراع بين الشخصيات المختلفة، والصراع الحضاري، والصراع بين التيارات الفكرية المختلفة، والصراع بين الأمم والشعوب.

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي: ٢٢٢، التعاضدية العمالية – تونس، ط١ (١٩٨٦م).

(٢) ينظر: فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير: ترجمة د. عبد الستار جواد: ١٥، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط١(١٩٨٨م).

والصراع في رواية (مهما غلا الثمن) كان محوره الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، حتى وإن بدا في الظاهر صراعاً نفسياً، أو صراعًا بين الشخصيات الروائية.

ومن صور الصراع النفسي الذي صورته الرواية ذلك الصراع الذي عاشته (نور حياتي) عندما وجدت النقود في ثوب صاحب المنزل الذي تعمل فيه، وكانت في أشد الحاجة إلى ذلك المال. عاشت في تلك الليلة صراعاً نفسياً حادًا، وتنازعتها رغبتان: الأولى: إخفاء المال، والثانية: إعادته إلى أصحابه. وقد رصدت الرواية حالتها النفسية تلك رصدًا دقيقًا، وعبرت عن الصراع الرهيب الذي مرت به، ولكنها تذكرت كلمات والدتها، وحتى عندما شرعت في قراءة القرآن الكريم كما كانت تفعل في كل ليلة، شعرت أن كل آية توبخها وتزجرها وتحذرها من السرقة، فقررت أن تعيد المال إلى أصحابه. وبهذا انتصر جانب الخير على جانب الشر [1].

أما الصراع بين الشخصيات فمثّله الصراع الذي نشأ بين مدير المستودعات ووكيله من جانب، وبطل الرواية (أندي) من جانب آخر، وهو في حقيقته لم يكن صراعاً بين شخصيات حول موقف معين، بل كان صراعاً بين الحق الباطل، إذ إن سبب الخلاف بينهما يرجع إلى قيام (سودرمان) بإحراق المستودعات، ومحاولته إلصاق التهمة ب (أندي)، الذي وقف في طريق تحقيقه المقترحات الشريرة التي طرحها على السيد (غزالي)، والمتمثلة في إحراق عشش الفقراء؛ لدفعهم إلى مغادرتها، ومن ثم يقوم السيد (غزالي) بشراء الأراضي بثمن بخس، ويضمها إلى أراضي شركته [2].

إن اختلاف (أندي) مع (سودرمان) لا يرجع إلى وجود خلاف شخصي بينهما، بل كان مرده محاربة الأفكار الشيطانية الشريرة التي كان يحملها (سودرمان) ووكيله (أغوس)، و (أندي) – أيضاً – لم يكن يحمل أي حقد أو ضغينة على (سودرمان)، فقد ذهب إليه، وطلب منه فتح صفحة جديدة، على الرغم من الضرر الذي لحق به بسببه [3].

إنّ الصراع في الرواية لم يكن الهدف منه مجرد تحقيق نصر شخصي على الطرف الآخر، إذ تجاوز أن يكون صراعاً دنيوياً خالصاً. وحتى الصراع النفسي الداخلي في الرواية

---

(١) ينظر: مهما غلا الثمن: ٨٥ – ٨٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٥٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١١.

كان في حقيقته صراعاً بين الخير والشر. ورفع من قيمته في الرواية حضور آيات القرآن الكريم التي أعانت (نور حياتي) على تجاوز مغريات الحياة، ونهتها عن السرقة.

امتاز الصراع في الرواية بأنه صراع بين الحق والباطل. ولم يكن صراعاً طبقياً، أو صراعاً مع القدر. فالمسلم عرف خالقه، وآمن بقضائه وقدره. وهو- أيضاً - لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان نتيجة ظروف مؤقتة، وبزوالها ينتهي الصراع.

وهكذا وظفت الرواية عنصر الصراع في نشر القيم الإسلامية. من خلال الحث على تصفية النفوس من الأحقاد والضغائن، والتجاوز عمّا قد يصدر عن الآخرين من زلات، والدعوة إلى تقوية النفوس أمام مغريات الحياة، والتذكير بأن الصلاة وقراءة القرآن الكريم تعينان المسلم على نفسه.

ومن جانب آخر أبرزت الرواية اختلاف الرؤية الإسلامية لعنصر الصراع الروائي عن غيرها من الرؤى، من حيث الدافع إلى وجوده وحدته، وقوى الصراع المختلفة.

٢ – **العقدة:**

هي " اللحظة التي تصل فيها الحبكة إلى أقصى درجات التكثيف والانفعال، وهي نقطة التحول في القصة، وتعتبر كبداية لتمهيد الحل "[١].

وفي رواية (مهما غلا الثمن) يوجد أكثر من مرحلة أو موقف أو نقطة، كانت تمثل أزمة تعرض لها بطل الرواية (أندي) أو أحد أفراد أسرته، ومنها:

أ- زجه في السجن في بداية الرواية، بتهمة حرق مستودعات الشركة التي يعمل فيها[٢].

ب – سفر (نور حياتي) إلى السعودية للعمل خادمة هناك. وهي الفتاة التي كان يرغب في الزواج منها، وأرسلت له عرضاً للعمل هناك سائقاً، وهذا الحادث مثل أزمة حقيقية له، وأصابته الحيرة بين الاستجابة لعرضها و البقاء في بلده وفي الشركة التي يعمل فيها، بعد أن شعر أنّ هناك مستقبلاً مشرقاً ينتظره في الشركة[٣].

ج – الدين الذي على والده، وكاد بسببه يبيع أرضه لسداده، ومن ثم سيتحول للعمل

---

(١) النقد التطبيقي التحليلي : ٧٧.

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ١٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق : ١٠٧.

أجيراً عند المالك الجديد [١].

د- مرض والده الشديد وحاجته إلى عناية صحية فائقة، ولم يكن يملك المال اللازم لعلاجه [٢].

لقد مثلت هذه الأحداث مجتمعة عقدة الرواية وأزمتها، وجاءت موزعة على فصول الرواية منذ بدايتها إلى نهايتها، وشكلت في مجملها رؤية الكاتب، من خلال ردة فعل الشخصيات تجاه تلك المواقف، حيث تمكنت الشخصيات الروائية من تجاوز تلك الأزمات، معتمدة على الله تعالى - أولاً - ثم على القيم الأصيلة التي اتسمت بها، وكان الصبر والإخلاص والأمانة وقوة الإرادة سبيلها إلى النجاح في تجاوز تلك الأزمات، بالإضافة إلى إسهام الشخصيات الثرية الخيرة في مساعدة الآخرين على تجاوز أزماتهم.

وبذلك تكون الرواية قد أبرزت تميز العقدة في الرواية الإسلامية عن غيرها من الروايات، فلم تبدِ الشخصيات الإسلامية أي جزع أو ضجر، ولم تتعرض للأمراض النفسية، ولم تتجه إلى الحلول المحرمة، والأساليب الملتوية، ولم تعترض على قضاء الله تعالى وقدره، بل سلّمت أمرها لله وتوكلت عليه؛ لأنها مؤمنة بأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وأنه خير لها، وإن بدا في ظاهره شراً. وانعكس هذا بدوره على أن تبدو مرحلة العقدة أو الأزمة في الرواية الإسلامية أقل عنفًا من الروايات الأخرى.

٣- الحل:

حل العقدة القصصية يعدّ الثمرة والنتيجة الناجمة عن تدفق الأحداث، وفيه يُقدّم الروائي المصير الذي آلت إليه الشخصيات الروائية، وهو " القسم الأخير من الحبكة. والخاتمة تسجل حصيلة الصراع (الفكري أو العاطفي أو الديني) الذي أظهرته الشخوص، وحالة الإدراك أو الوعي الذي تصل إليه الشخصية، بغض النظر عن عمق ذلك الإدراك أو مدى دوامه أو استمراره... " [٣].

والرواية يمكن أن تنتهي بنهاية سعيدة أو حزينة (مأساوية). وفي النهاية السعيدة تزول " العراقيل التي تعوق الوصول إلى الهدف الرئيس، وعندئذٍ تظل في حاجة لرؤية

---

(١) ينظر: المرجع السابق: ٥٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق : ١٧٨.

(٣) النقد التطبيقي التحليلي : ٧٧.

كيف يتم ذلك في الواقع ؟ " [1]. أما في النهاية الحزينة فيكون الفشل والإخفاق مرافقين للشخصيات الروائية، وربما انتهت الرواية بحدوث كارثة أو مأساة حقيقية.

وحل العقدة الروائية في رواية (مهما غلا الثمن) كان سعيداً، إذ نجحت الشخصيات الخيّرة في تجاوز ما اعترضها من مشكلات وأزمات، فخرجت منها منتصرة راضية قانعة. حقق (أندي) النجاح في مجال عمله، وأصبح موظفاً مهماً في مكتب مدير الشركة، بعد أن كان مجرد موظف صغير فيها. وفي مجال أسرته تمكن من إقامة أسرة صغيرة قوامها المودة والرحمة، بعد نجاحه في التغلب على رغبته السابقة في الزواج بالفتاة التي كان يحب، فحياته لم تتوقف لمجرد فشله في الزواج بمن أحب. وتمكنت والدته (إيبو فضيلة) من تسديد دين زوجها، بعد ثلاث سنوات من العمل في منزل السيد (زين العارفين). فحافظت على مزرعة الأسرة ومنزلها من الضياع، وقامت بافتتاح مطعم صغير في قريتها، عملت فيه مع زوجها الحاج (مأمون) [2].

أما نهاية الشخصيات الشريرة في الرواية فتشعر القارئ بالارتياح للمصير الذي آلت إليه، فقد تم سجن مدير المستودعات (سودرمان) بعد أن تم الكشف عن صلته بحريق المستودعات [3].

كان الحل في الرواية متفقاً مع التصور الإسلامي المتمثل في حتمية انتصار الحق وأهله على الباطل وأتباعه؛ لأنّ ذلك سنة من سنن الله تعالى الذي قال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]. وهذا ما تحقق في الرواية، حيث نجحت الشخصيات الخيرة في تحقيق النجاح في مساعيها، ونال الأشرار جزاء ما قدّمت أيديهم.

وهذه الرؤية الإسلامية المتميزة لحل العقدة القصصية في الرواية من أوجه الاختلاف بين الحبكة الفنية في الرواية الإسلامية وغيرها من الروايات . ومن ناحية أخرى وظف الكاتب الحل في تقديم رؤية إسلامية متفائلة، قوامها نجاح الخير وأهله واندحار الشر وأتباعه، وهذا يسهم في بث التفاؤل في النفوس، ويدعو في الوقت نفسه إلى الصبر

---

(١) الأدب وفنونه: د. عز الدين إسماعيل: ١١٦، دار الفكر العربي – القاهرة، (د – ت).

(٢) ينظر: مهما غلا الثمن: ٢٣١ – ٢٣٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٢١٨ – ٢١٩.

والعمل والكفاح للوصول إلى النهاية السعيدة، وتحقيق الطموحات، وإن لم تتحقق في الدنيا، فالمؤمن الصابر ينتظره في الآخرة ثواب الله تعالى.

* * *

المبحث السابع: الانطباع العام:

إنّ المقياس الحقيقي لأي عمل أدبي يتمثل في ذلك الأثر الذي يتركه فينا عند الفراغ من قراءته، وما يبعث فينا من مشاعر سامية نبيلة، تعمق فهمنا للحياة، وتسمو بالإنسان؛ وذلك لا يتحقق إلا من خلال الاحتفاء بالشكل والمضمون على حدٍّ سواء. إذ يحرص الأديب على تقديم المضامين السامية بصورة فنية جمالية تُراعي قيم الفن وقواعده، وهذا ما عملت رواية (مهما غلا الثمن) على تحقيقه.

والكاتب في رواية (مهما غلا الثمن) شاهد الحياة وفق الصورة التي قدمها في روايته، أو يريد أن تكون. وأرى أن هذا حق مشروع، بل أرى أنها نظرة مطلوبة تسهم في إضاءة شمعة في النفوس، وتزيل بعض التراكمات التي يحملها إنسان هذا العصر، والتي جسدتها بوضوح رواياتنا الحديثة؛ بحجة تحقيق الواقعية في الأدب؛ وبسبب طغيان النزعة المادية وسيطرتها على النفوس، حيث اعتاد قارئ الروايات الحديثة شيوع النظرة السوداوية على أحداثها، وفشل الشخصيات في تحقيق آمالها المشروعة في البحث عن حياة أفضل، فكانت نهاية جل تلك الروايات معبرة عن معاني الفشل والهزيمة والاندحار، وغيرها من المعاني التي تؤدي إلى الإحباط. وهذا النظرة التي اعتادها النقاد والقراء هي التي قد تدعو إلى الاستغراب بعض الشيء من الرؤية التي قدمتها الرواية، حيث نجحت الشخصيات الخيّرة السوية في تحقيق كثير من آمالها وطموحاتها المشروعة في الحياة، وتمكنت من رؤية ثمرة تمسكها بالقيم الأصيلة ماثلة أمامها بصورة سريعة، وفي المقابل أخفقت الشخصيات الشريرة في تحقيق مآربها غير المشروعة.

والرواية قدّمت شخصيات روائية مثالية جاذبة نجحت في التعامل مع المشكلات والمواقف التي تعرضت لها، من خلال المواجهة الحاسمة مع تلك المواقف المختلفة، مع محافظتها على القيم الأصيلة التي كانت المحرك الأول للشخصية في جميع تحركاتها. وأرى أن تقديم مثل هذه الشخصيات الروائية المثالية ينال رضا القراء، ويسهم في غرس فكرة أن الالتزام بالقيم الأصيلة لا يعوق الإنسان عن تحقيق النجاح في الحياة، ويزرع الأمل في النفوس في إمكانية تجاوز المحن، ومن جهة أخرى تستفز القراء لمحاكاتها في الواقع؛ لأنها تعدّ أنموذجاً مثالياً للإنسان المسلم.

بذلك تكون الرواية قد قدّمت وجهاً للمجتمع مختلفاً عن وجوه المجتمع التي سادت في كثير من نماذج الرواية العربية، وأكدت إمكانية انتصار الخير وأهله. فجذوة الخير قد تضعف أو تخبو في مرحلة من المراحل، لكنها لا تنطفئ أو تندثر.

إن الاتجاه إلى توظيف الفن الروائي في نشر التفاؤل في النفوس يكون بمثابة التعويض عما يجده القارئ في واقع الحياة، فالرواية تقول: إن الحياة يمكن أن تكون أفضل في حال التزامنا الصحيح بعقيدتنا، وتمسكنا بالقيم الأصيلة في تعاملاتنا مع الآخرين. وفي هذا المقام يمكن طرح بعض التساؤلات، مثل: ألا يمكن أن تتحقق تلك الحياة التي صحبناها عبر صفحات الرواية في واقع الحياة التي نعيشها ؟ وهل يمكن أن يرى الإنسان ثمرة التمسك بالقيم الأصيلة والأخلاق السامية المستمدة من العقيدة الإسلامية تتحقق بصورة سريعة كما جاء في الرواية ؟

إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات نجدها ماثلة فيما قدمته الرواية من توجيهات مباشرة وغير مباشرة، حيث عملت على تقديم صور عملية لحياة الأسرة المسلمة داخل مجتمعها، فبدت حركتها نابعة من التصورات الإسلامية السامية التي تعلي من قيمة الإنسان في الدنيا والآخرة،وتربطه بخالقه تعالى، وقد لمست النماذج البشرية السوية التي قدّمتها الرواية ثمار تمسكها بالقيم الأصيلة، من خلال رفضها الخضوع للواقع السلبي المحيط بها، بل عملت على تغييره، ونجحت في ذلك، كلٌّ بحسب طاقاته وإمكاناته.

وقد جاءت العبارة الأخيرة في الرواية على لسان بطل الرواية (أندي) معبرة عن المعنى العام للرواية، حيث قال: " إنّ من الضروري أن نواجه مشكلات الحياة، ونعمل على تغيير واقعنا إلى الأفضل؛ لأننا لن نحيا إلا مرة واحدة، مرة واحدة فقط !! ويجب أن نفلح في هذه المرة الواحدة مهما غلا الثمن " [1].

نجحت الرواية في بث انطباع جميل سامٍ، صحب القارئ أثناء قراءة الرواية، وعاش معه حتى بعد الفراغ من قراءتها، وهذا الانطباع هو الثمرة الحقيقية التي ننشدها من قراءة الفن الروائي بخاصة، والأدب بعامة.

---

(١) مهما غلا الثمن: ٢٣٤.

الخاتمة:

عملت هذه الدراسة على أن تضع بين يدي القارئ أنموذجاً عملياً لتوظيف الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات الإسلامية. ووقفت عند الإمكانات الفذة التي تمتلكها الرواية في حمل المضامين وإيصال الرسائل. وكانت رواية (مهما غلا الثمن) هي ذلك الأنموذج، إذ سعت إلى توظيف عناصرها الموضوعية والفنية في نشر المعتقدات الإسلامية الأصيلة، وفي تقديم صور مختلفة للأسرة المسلمة وللمرأة المسلمة عمّا شاع في الرواية العربية الحديثة.

وحرصت الرواية على تقديم المضامين السامية الهادفة مع محافظتها على المستوى الفني المطلوب في الفن الروائي. ويحسب لها ابتعادها عن الاستعانة بأساليب التشويق المبتذلة الرخيصة الشائعة في كثير من الروايات الحديثة، فجاءت الرواية خاليه من تجسيد مواقف الجنس والرذيلة. وهذا يجعلنا نقدم هذه الرواية ومثيلاتها إلى القراء بكل اطمئنان، وبخاصة إذا علمنا أن فئة الشباب هم أكثر فئات المجتمع إقبالاً على قراءة هذا الفن.

وأكدت الدراسة أهمية الاستعانة بكل الوسائل الممكنة، ومنها الرواية، لنشر المعتقدات الإسلامية، ومحاربة الأفكار الفاسدة، ونقد جوانب القصور في المجتمعات الإسلامية، فإذا كان أصحاب الاتجاهات المنحرفة قد اتخذوا من الرواية وسيلة لنشر أفكارهم ومعتقداتهم الهدّامة، فإنه لا ينبغي للكتاب المسلمين أن يتركوا الساحة لهؤلاء، وعليهم أن يعملوا على تقديم البديل الصالح النافع، وهذا ما سعى إليه الدكتور (عبد الله العريني) من خلال شروعه في إصدار مجموعة من الروايات الإسلامية، ومنها الرواية التي اتخذتْ منها هذه الدراسة موضوعاً لها.

وتوصي الدراسة باستشعار أهمية الفن الروائي في نشر القيم والمعتقدات ومحاربة الأفكار الضالة المنحرفة، وتدعو إلى دعم الأدباء والكتاب المسلمين، وحثهم على الاتجاه إلى الفن الروائي، ونشر الصالح منه.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع:

١- آفاق الأدب الإسلامي:د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

٢- الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د. عبد الله العريني، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ط ١، (١٤٠٩هـ).

٣ – اتجاهات الرواية العربية المعاصرة:د. السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية – مصر، (١٩٩٨م).

٤- الأدب الإسلامي (إنسانيته وعالميته): د. عدنان النحوي، دار النحوي – الرياض، ط ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٥ – الأدب الصهيوني الحديث بين الإرث والواقع: جودت السعد . المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط ١ (١٩٨١م).

٦- الأدب وفنونه: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي – القاهرة، (د – ت).

٧- إعداد المرأة المسلمة: د. السيد محمد علي نمر، الدار السعودية – المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

٨- بان الصبح (رواية): عبد الحميد بن هدوقة، دار الآداب – بيروت، ط ٣ (١٩٩١م).

٩ – بيروت ٧٥ (رواية): غادة السمان، منشورات غادة السمان، ط ٥، (١٩٨٧م).

١٠ – تجربة الكتابة: س. ر. مارتين، ترجمة: تحرير السماوي، دار الكلمة – بيروت، ط٢ (١٩٨٣م).

١١- تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي – القاهرة.

١٢- الجزيرة (جريدة)، الأربعاء ٥ من محرم ١٤٢٥هـ العدد (١١٤٧٢).

١٣ – الجنس في أدب غادة السمان: د. وفيق غريزي، دار الطليعة – بيروت، ط ٢ (٢٠٠٠م).

١٤ – الجنس والواقعية في القصة: فتحي الأبياري، الدار القومية – مصر، (د – ط).

١٥ – الخندق الغميق (رواية): سهيل إدريس، دار الآداب -بيروت، ط ٣ (١٩٧٧م).

١٦- دراسات في علم اجتماع الأدب: د. أمل حركة، دار المعرفة – الإسكندرية، (١٩٩٣م).

١٧ – دراسات في القصة العربية الحديثة:د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف – الإسكندرية، (١٩٨٧م).

١٨- دراسات نقدية في الأدب المعاصر / مصطفى السحرتي. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة. (١٩٧٩م).

١٩ - دفء الليالي الشاتية (رواية): د. عبد الله العريني. دار إشبيليا - الرياض. ط١ (١٤٢٠هـ).

٢٠ - صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية: علي بن محمد الحمود.(رسالة ماجستير قُدمت إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤١٧هـ).

٢١ - الفلاح (رواية): عبد الرحمن الشرقاوي. عالم الكتب - القاهرة. (د - ت).

٢٢ - فن الشعر: أرسطو طاليس. ترجمة: عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية - مصر. (د-ت).

٢٣- فن القصة: د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة - بيروت. (د - ت).

٢٤ -فن كتابة الرواية: ديان دوات فاير: ترجمة د. عبد الستار جواد . دار الشؤون الثقافية - بغداد. ط١ (١٩٨٨م).

٢٥ - في الأدب الصهيوني: غسان كنفاني. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. ط٢ (١٩٧٨م).

٢٦ - في نظرية الرواية: د. عبد الملك مرتاض. سلسلة عالم المعرفة - الكويت. شعبان (١٤١٩هـ).

٢٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي. دار الكتاب العربي .

٢٨- مثل كل الأشياء الرائعة (رواية): د. عبد الله العريني . دار كنوز إشبيليا - الرياض. ط١ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٢٨ - المجتمع (مجلة). العدد (١٥١٥) ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٢م. والعدد (١٥١٢). ٢٤(جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠٠٢م).

٣٠ - مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د. عبد الباسط بدر. شركة الشعاع - الكويت. (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ /)

٣١ - المعجم الأدبي: جبور عبد النور. دار العالم للملايين - بيروت. ط ٢ (١٩٨٤م).

٣٢ - معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي. التعاضدية العمالية - تونس. ط١(١٩٨٦م).

٣٣- مقدمـة لنظريـة الأدب الإسـلامي: د. عبـد الباسـط بـدر، دار المنـارة – جـدة، ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٣٤ – مهما غلا الثمن (رواية): د. عبد الله العريني، دار إشبيليا – الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ /٢٠٠١م).

٣٥ – الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان – بيروت، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٣٦ – نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٣٧ – النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبد الله: ٧٦،دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط ١ (١٩٨٦م).

٣٨ – نهاية الأمس (رواية): عبد الحميد بن هدوقة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للطباعة والنشر – تونس، ط ٢ (١٩٨٧م).

* * *

في أصول ألفاظ جازانية من محافظة صامطة

د. يحيى بن أحمد مهدي العريشي
كلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض

في أصول ألفاظ جازانية من محافظة صامطة

د. يحيى بن أحمد مهدي العريشي
كلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض

ملخص البحث:

يُعد البحث المعنون بـ (في أصول ألفاظ جازانية من محافظة صامطة) من البحوث المهتمة باللهجات المحلية ذات التوافق، أو التقارب، أو التفاوت في الظواهر الصوتية، أو الدلالية ؛ حيث يسعى الباحث من خلاله إلى بيان وضعية بعض الألفاظ المختارة من محافظة صامطة ؛ من حيث هيئتها الصوتية، ودلالتها اللغوية ؛ لأنه قد اتضح من خلال تتبع ألفاظ البحث المدروسة أن هناك ألفاظًا في الاستعمال الجازاني (محافظة صامطة) قد بقيت على أصل صورتها الصوتية ؛ من غير زيادة، أو نقص في حروفها، وكذلك من غير تبديل لرسمها، وضبطها الحركي . وعلى خلاف ذلك ؛ وجدت ألفاظ أخرى طرأت عليها ظواهر صوتية مختلفة؛ مثل : ظاهرة الإبدال اللغوي بين ألفاظ منها على سبيل المثال : (البَجَجَ البَحَجَ)، (العَبَسَ العَبَص)، (مَكَلَ حَكَل)، وكذلك ظاهرة القلب اللغوي بين ألفاظ ؛ مثل : (الفِرْسِك الفِرْكِس)، (حَشْرَجَة شَرْحَجَة)، وظاهرة الحذف، والزيادة ؛ مثال الحذف (على سبيل المثال) : حذف الهمزة من لفظة (الحِدَاء)، لتصبح (الحِدَأ)، وحذف الواو والنون من (لَيْمُون)، لتصبح (لِيْم)، ومثال الزيادة (على سبيل المثال): زيادة الباء على لفظة (هَطَلَ)، لتصبح (هَطْبَلَ)، وزيادة الألف على لفظتي (صُبْر، صَنِفَة)، لتصبح (صَابِر، صَانِفَة)، وظاهرة اللَّحْن في ألفاظ منها على سبيل المثال: ضم الخاء في لفظة (الخِطام) المكسورة في أصلها اللغوي، وفتح الصاد في لفظة (الصِّلدم) المكسورة أصلًا. أما الدلالة اللغوية لألفاظ البحث فقد تفاوتت بين التوافق الدلالي، أو التقارب الدلالي، أو شبه التقارب الدلالي، أو التباعد الدلالي ؛ وقد أشير إلى ذلك مع نهاية مبحث كل لفظة. ويُلحظ أنه قد داخل دلالة بعض الألفاظ في الاستعمال الجازاني دلالات يمنية جاءت موافقة في مدلولها تلك الألفاظ الجازانية ؛ مثل : جَفَشَ، ذَهِن، تَرْقُل، سَبَاْهَة، أشْكَل، صَابِر، طَيِّنَة. فَأْصَ، مُقَذِّي، لَعَطَ (بمعنى لَحَسَ)، نَدَشَ، وحْي، وَكَّفَ). وقد كان للتعريب دور محدود في ألفاظ البحث ؛ ومن ذلك لفظة(فِرْسِك) المأخوذة من الفارسية ذات الأصل اليوناني، ولفظة (لَيْمُون) المأخوذة من الفارسية ((لَيْمُو)). وقد خُتم البحث بخاتمة شملت أبرز النتائج التي توصّل إليها الباحث، مع إبداء بعض التوصيات.

المقدمة:

الحمد لله الذي كفل للسان العربي البقاء، وضمّنه الألفاظ، والمعاني ذات النّقاء، وأصلي وأسلم على سيّد الحنفاء : نبينا محمد (صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه الشرفاء)، وبعد:

فإنّ من نعم الله الجليلة التي امتنّ بها على عباده المؤمنين: تلك اللغة العربية الخالدة ذات الثراء العلمي الفكري، والثقافي الاجتماعي الذي ضمن للأمة الإسلامية رُقيًا، وسُموًا في شتى مجالات الحياة؛ عن طريق تلك الألفاظ السامية في ذاتها، وفي مدلولاتها .ومما لا شك فيه؛ فإن التواصل البشري، والتمازج اللغوي، لا بُدّ أن يلقي بظلاله على حضارة أيّة أمة، وعلى لغتها؛ سواء أكان ذلك إيجابًا، أم سلبًا؛ مع الحفاظ على الثوابت اللغوية؛ ومن أمثلة ذلك: ذلكم العالم الإسلامي، والعربي الذي حفظ كثيرًا من ألفاظه، ومعانيها؛ مع ما داخله من شيوع المفردات، والألفاظ التي كانت وليدة لهجات، وتعريبات، ودخيل، ومولّد؛ مع الحفاظ على كثير من الألفاظ اللغوية في هيئتها الكتابية، ومضامينها الدلالية.ولم تكن جزيرة العرب بمنأى، ومعزل عن ذلك؛ حيث طرأ على لغتها كثير من تلك المظاهر اللغوية المتعدّدة، تحت عامل التأثير، والتأثّر في الألفاظ، والمعاني، وقد كان من تلك البلدان العربية المُؤَثِّرة، والمتأثِرَة بذلك: المملكة العربية السعودية؛ بغربها، وشرقها، وشمالها، وجنوبها، وأخص بالذكر: منطقة جازان الجنوبية، ممثّلة في محافظة صامطة (موطن الباحث)؛ حيث إنه قد بقي لها كثير من الألفاظ اللغوية ذات الأصل اللغوي الثابت، والمدلول المعنوي الموضوع لها؛ شأنها في ذلك شأن كثير من مناطق ،ومحافظات المملكة، وغيرها. ومع ذلك فقد شاب الألفاظ، ومدلولاتها بعض من مظاهر التغيير، والتبديل؛ إما بزيادة حروف اللفظة، أو نقصها، وإما بإجراء تغيير حركي قد يخالف رسم حركة حروف اللفظة تماماً، أو قد يكون له قبول في لغات قبائل العرب.وإنّ مثل تلك التغيرات الكتابية، والمنطقية لتلك الألفاظ الجازانية؛ له تأثيره على المدلول اللغوي؛ من حيث التوافق، أو التقارب وشبهه، أو التباعد (حسب النظرة المعجمية لتلك الألفاظ، ودلالاتها).من هنا؛ رأى الباحث الإسهام في طرح ذلك الأمر، ومناقشته مناقشة علمية، في بحث بعنوان: **(في أصول ألفاظ جازانية من محافظة صامطة)**[*]؛وذلك بغية تحقيق أهداف البحث التالية:

(*)تقع صامطة في الجنوب الشرقي من منطقة جازان على دائرة(د٢٥ .١٦)شمالا.وخط طول(٤٢). يحدها شمالا:محافظة أحد المسارحة.وجنوبا:اليمن.وشرقا:اليمن ومحافظة الحرّث.وغربا:البحر الأحمر.يبلغ=

١- الإسهام في خدمة اللغة العربية، من حيث بيان التأصيل اللغوي الدلالي للألفاظ الصالح لكل زمان ومكان، وإظهار ما طرأ على ذلك من استعمال جازاني قد يساير اللفظة ومدلولها، وقد يختلف قليلا مع قربه من المعنى المراد، أو يَنْأى به عن المدلول؛ في ظل اختلاف الرسم الكتابي، والضبط الحركي لتلك اللفظة.

٢- إظهار صدق الانتماء إلى منطقة الباحث الجنوبية؛ ممثَّلة في منطقة جازان، محافظة صامطة موطن الباحث التي هي في منظور الباحث (مع سائر مناطق، ومحافظات المملكة) موطن اعتزاز، وفخر يستحق الذكر، والإشادة، والخدمة العلمية المنهجية المؤصَّلة.

٣- إظهار حقيقة بعض الألفاظ المستعملة في محافظة الباحث؛ من حيث صورها الكتابية الحركية، ومن حيث دلالتها اللغوية؛ وذلك للرد على من يزعم أن ذلك مخالف لبنية الألفاظ اللغوية، ومغاير لما عليه المعاجم، والكتب اللغوية.

٤- الاستجابة لدعوات بعض مفكري، ومثقفي المنطقة ؛ بأن يكون لبعض ألفاظ المنطقة، ودلالاتها نصيب من بحوث ترقيتي إلى درجة أستاذ.

٥- المشاركة في إيداع هذا الجهد المتواضع رفوف المكتبة العربية؛ ليشكّل مع سائر المؤلفات، والبحوث الأخرى فائدة لغوية دلالية؛ تخدم المهتمين، والباحثين، والدارسين في مجال فقه اللغة.

= عدد المراكز الإدارية التابعة لها:أربعة؛ مركز الموسَّم،مركز السِّهي،مركز الطُوال،مركز القُفُل.يبلغ عدد القرى التابعة لها:(٢٨٥)قرية .عدد السكان(٣٠٠٠٠٠)نسمة . (ينظر:محافظة صامطة الموقع والمراكز الإدارية التابعة لها،إصدار:المجلس البلدي لبلدية محافظة صامطة).

مرّت تسمية صامطة بأربع مراحل:عرّفت في الأولى بـ (مَصْبَري)،نسبة إلى بئر كانت هناك.ولم تزل معروفة بذلك إلى الوقت الراهن.وعرفت في المرحلة الثانية ب(سامطة)،واشتهرت بذلك الاسم خلال القرن الثاني عش الهجري تقريبا.أما المرحلة الثالثة فقد عُرفت فيها بـ (صامدة)،نسبة إلى صمودها في وجه الغزاة اليمنيين. وعرفت أخيرا بـ (صامطة)،واشتهرت بذلك في عهد دولة الأشراف آل خيرات الذين تولوا إمارتها بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.وقد كان للداعية:عبد الله القرعاوي الذي جاء صامطة عام(١٣٥٨هـ)دور كبير في الدعوة والإصلاح. هو وتلاميذه النجباء ؛ مثل: حافظ الحكمي،وأحمد بن يحيى النجمي،وغيرهم.وقد كان للقرعاوي دور كبير في تأسيس المعهد العلمي في صامطة عام(١٣٧٤هـ). ينظر: (محافظة صامطة بين الماضي والحاضر، محمد بن أحمد آل خيرات، من ص:٥ـ٢٨ (بتصرف).

وقد اتبع الباحث في بحثه الخطوات الآتية:

١ـ جمع الباحث مادة بحثه عن طريق مقابلة بعض كبار السن من متعلمين وغير متعلمين ممن يسكن في مدينة صامطة. وبعض القرى التابعة لها. وقد اعتمد في ذلك على النقل مشافهة للفظة،ومدلولها في الاستعمال الجازاني.، وقد كان عدد الألفاظ المجموعة في البداية أكثر من ثلاثمائة لفظة،وبعد عرضها على بعض الباحثين والمثقفين في المحافظة، تم تقليل تلك الألفاظ؛ بسبب بحث أكثرها من قَبْل. وبسبب مخالفة بعض الألفاظ لأصول اللغة، ودلالات المعاجم،ومن ثَم أصبح مجموع ألفاظ البحث تسعا وتسعين لفظة.

٢. رُتِّبت مادة البحث ترتيبًا ألفبائيًا؛ حسب مادة البحث العلمية، بدءًا بحرف الباء، وانتهاء بحرف الواو؛ حيث إنّ بعض الحروف الهجائية لم يجدلها الباحث مادة علمية؛ مثل: حرف الألف، والتاء، والظاء، والياء.

٣. وضع الباحث علامة نجمة (*) قبل مادة اللفظة المبحوثة؛ وذلك في حالة كون تلك اللفظة قد عرض لها آخرون في مؤلفاتهم؛ ممن كان لهم إسهام في دراسة ألفاظ المنطقة. وقد رأى الباحث إجراء بعض الإضافات، والتعليلات اللغوية عليها؛ إما عن طريق صورتها اللغوية، أو دلالتها المعنوية.

وقد بلغ عدد تلك الألفاظ المبحوثة من قبل أولئك : ثمانية ألفاظ؛ هي : (تَرَمة، المِجْوَل،حَكَل، دَهَفَ، صابِر،طَفَر، عَتَرَ، قَحَفَ)؛ وهي جزء يسير من مجموع ألفاظ البحث البالغة (٩٩) لفظة.

٤ـ إذا كانت مادة اللفظة المبحوثة مطابقة للفظة في الاستعمال الجازاني؛ من حيث الضبط بالحركة، ومن حيث التوافق الدلالي، أو التقارب (حسب نظرة المعاجم، والكتب اللغوية، ومن سار على منوالها)؛ فإن الباحث يكتفي بذكر مادة اللفظة، ثم ذكر اللفظة بعدها بين قوسين؛ من ذلك على سبيل المثال: ج ل ب (الجِلْب)، ح ر ت (الحَرت)، خ ف ع (خَفَعَ)، ك ز م (الكَزَم). أما إذا وُجد اختلاف في مادة اللفظة المبحوثة في الاستعمال الجازاني؛ وذلك بإبدال، أو قلب، أو نقص حرف، أو زيادة، أو كان هناك اختلاف حركي في ضبط تلك اللفظة؛ (مع بقاء المعنى الدلالي، أو اختلافه)؛ فإن الباحث يضع مادة اللفظة، ثم اللفظة نفسها بين قوسين مركنين

في الاستعمال الجازاني [ ]، وذلك في حالة اختلاف مادة اللفظة المبحوثة. أما إذا كان هناك اختلاف حركي في ضبط تلك اللفظة، فإن الباحث يكتفي بذكر اللفظة بين ذينك القوسين المركنين، مع بقاء المعنى الدلالي. أو اختلافه في جميع تلك المواد المبحوثة، وألفاظها؛ فمن أمثلة اختلاف حروف اللفظة المبحوثة في الاستعمال الجازاني عن أصل وضعها اللغوي (على سبيل المثال): [ص هـ ف الصَّهَف] المبدلة في الاستعمال الجازاني عن (ص هـ ب الصَّهَب) في أصل وضعها اللغوي، و[ف ر ك س الفِرْكِس] المقلوب عن أصل وضعه اللغوي (ف ر س ك الفِرْسِك).

ومن أمثلة نقص حروف اللفظة في الاستعمال الجازاني (على سبيل المثال) : [الَّلأْ] ناقصة حرف الألف المقصورة في أصل وضعها اللغوي (الَّلأى)، و[لِيم] ناقصة حرفي الواو والنون (لَيْمُون)، و [الجَبْ] ناقصة الجيم الثانية (الجَبْجَبَة).

ومن أمثلة الزيادة : [هَطْبَلَ] في الاستعمال الجازاني زائدة حرف الباء في أصل الوضع اللغوي (هَطَلَ)، و[مَدْرَس] زائدة حرف الميم (دَرَسَ)، و[المِرْدَام] زائدة حرف الميم في (الرَّدْم)، و[صَائِفة] زائدة حرف الألف في (صَنِفَة).

ومن أمثلة الضبط الحركي في الاستعمال الجازاني المعدود من قبيل اللحن (على سبيل المثال) : [الخَثّ]. [الخُطام].

٥- وضع الباحث اللفظتين المبدلة إحداهما من الأخرى في موضع واحد، مثل: (بخس بخص ، خوس خيس).

٦. لم يلجأ الباحث في ألفاظ مادة بحثه (المستقاة من ألفاظ محافظة صامطة)، ولا في الأمثلة التوضيحية لها إلى استخدام (أم الحميريّة الحالة محل أل التعريف)، سوى الأمثال الجازانية المأخوذة من كتاب (النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف).

٧- بدأ الباحث كل لفظة من ألفاظ مادة بحثه بذكر دلالتها اللغوية الموضوعة لها في المصادر، والمراجع المعتمدة، في سبيل الوصول إلى ذكر تلك اللفظة في الاستعمال الجازاني، وما هي عليه من توافق صوتي ، وحركي لأصل وضعها اللغوي. أو اختلاف صوتي، وحركي يُحكم عليه بأنه لهجة. أو أنه من قبيل اللحن، ومن ثَمَّ عرض دلالة تلك اللفظة في الاستعمال الجازاني (حسب وضعها الذي هي عليه)، مع ضرب الأمثلة

لها في كثير من المواضع؛ في سبيل الحكم عليها بالتوافق الدلالي، أو التقارب وشبهه، أو التباعد.

٨. حاول الباحث ضرب أمثلة مختصرة لكثير من الألفاظ المستعملة في محافظة صامطة (موطن البحث)، مع دلالتها؛ وذلك بغية إفهام القارئ، والسامع المعنى الدلالي لتلك اللفظة، والحكم عليها من حيث التوافق ، أو التقارب وشبهه، أو التباعد الدلالي المرسوم لها في مصادرها المعتمدة. وقد استعان الباحث بذكر بعض الأمثال الجازانية الشارحة لبعض الألفاظ ؛ مثل : (البَهْز ، جَب ، خَفَعَ).

٩ـ حاول الباحث مقاربة الدلالة اللغوية لبعض الألفاظ الواردة في الاستعمال الجازاني (محافظة صامطة) مع دلالتها اللغوية الموضوعة لها في مصادر اللغة المتعددة؛ وذلك عن طريق التشبيه، أو المجاز المرسل، أو الاستعارة (أحيانًا)؛ فمن أمثلة الألفاظ الجازانية التي استخدم فيها التشبيه من أجل تقريب الدلالة إلى أصلها المعنوي: (الحميلة، الخَث، صَابِر ، الصَّلْدم، غَمِيْس). ومن أمثلة الألفاظ الجازانية التي استخدم فيها المجاز المرسل: (المِجْوَل ، المُزْقُم). ومن أمثلة الاستعارة : (قِلْص).

١٠– آثر الباحث توظيف مصطلح الاستعمال الجازاني؛ بدلًا عن اللهجة؛ لأن كثيرًا من الألفاظ الجازانية في هذا البحث ، مع دلالاتها لها تأصيلها اللغوي، والدلالي الموافق للمعاجم، والكتب اللغوية، وغيرها.

١١ـ استخدم الباحث مصطلح الاستعمال الجازاني بدلًا عن الاستعمال الصامطي (المنسوب إلى منطقة البحث)؛ لأن كثيرًا من ألفاظ ، ودلالات المحافظة تشترك مع ألفاظ ، ودلالات محافظات جازان الأخرى.

١٢ـ اعتمد الباحث في توثيق مادته العلمية، والحكم عليها على بعض كتب التفسير، والحديث الشريف، وكتب المعاجم، واللغة، ودواوين الشعر.

وختامًا؛ فإنّ خوض غمار الألفاظ الجازانية، ودلالاتها التي منها ألفاظ محافظة صامطة، ودلالاتها يعد أمرًا شاقًا؛ حيث تشابه بعض تلك الألفاظ، ودلالاتها مع سائر محافظات منطقة جازان؛ مع حدوث بعض التعديلات الصوتية، والدلالية بين محافظة وأخرى؛ ناهيك عن استخدام، وتوظيف بعض الألفاظ دون الأخرى في سائر محافظات المنطقة ؛ بل تلاشى كثير منها في مختلف محافظات المنطقة،يضاف إلى ذلك :

تلك الألفاظ الجازانية التي سبق الحديث عنها من قبل مؤلفين، وباحثين آخرين؛ الأمر الذي جعل ألفاظ البحث الخاصة بمحافظة صامطة لا تزيد عن (٩٧) لفظة (حسب اجتهاد الباحث، وحسب ما أمده به كبار السن، والمفكرون، والمثقفون، والباحثون في المحافظة من ألفاظ، ومدلولات تحمل بين طياتها الغث والسمين، والمقبول والمرفوض).

ولا أملك إزاء ذلك إلا أن أسدي جزيل الشكر، ووافر التقدير، وخالص الدعاء لكل أولئك؛ على إسهامهم الجاد، وتوجيههم الهادف، وتصويبهم البناء.

والحمد لله أولًا، وآخرًا.

* * *

حرف الباء:

١- ب ج ج (البَجَج) [ب ح ج البَحَج]

إنّ من مفاهيم لفظة (البَجَج) : الدلالة على سَعَة العين وضَخْمها؛ يقال : فلان أبجُّ العين؛ إذا كان واسع مَشَقّ العين[١] . ومثله: رجل أبَجُّ العين وبَجِيجُ العين، وامرأة بَجَّاء؛ وقد بَجَّ يَبَجُّ بَجَجًا[٢]؛ ومن ذلك قول ذي الرمة:

ومُختَلَقٌ للمُلك أبيضُ فَدْغَمٌ *** أشَمُّ أبجُّ العينِ كالقمر البدرِ[٣]

لفظة (البَجَج) معروفة في الاستعمال الجازاني بـ(البَحَج) ؛ وذلك بإبدال الجيم الأولى حاءً، من قبيل الإبدال اللغوي الذي يعني: ((إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض))[٤]؛ إذا تُبدل الجيم من الحاء، والحاء من الجيم؛ مثل: تركتُ فلانًا يجوس بني فلان ويحوسهم؛ أي : يدوسهم ويطلب فيئهم ، ويُقال : اجتسَّ الخبر اجتساسًا ، واحتسّه احتساسًا ؛ أي بحث عنه[٥]. ومن الملاحظ هنا : أنه ليس هناك علاقة صوتية مخرجيّة بين حرفي الجيم والحاء في (البَجَج) و (البَحَج) ، ولا في الأمثلة السابقة المذكورة ؛ إذ الجيم والحاء صوتان متباعدان مخرجًا؛ لأنّ مخرج الجيم : من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، ومخرج الحاء: من وسط الحلق[٦]. ولكنّ هناك توافقًا وَصْفِيًا بين الجيم والحاء؛ لكونهما من الأصوات المنفتحة[٧]، والأصوات الاحتكاكية المرقّقة[٨]. وعلى هذا : فإنه يُقبل عَدُّ لفظتي : البَجج) و(البَحَج) من قبيل الإبدال اللغوي؛ لأنّ من شروط الإبدال اللغوي (عند غالبية علماء اللغة) : وجود علاقة صوتية تكون في قرب المخارج، أو تماثل الصفات الصوتية[٩] ، وقد وُجدت بعض الصفات الصوتية (السابقة

---

(١) ينظر : اللسان (بجج) : ٢١٠/٢، ومعجم تهذيب اللغة (بجج) : ٢٧٥/١، وتاج العروس (بجج): ٢٨٩/٣.

(٢) ينظر : المخصص: ٩٨/١.

(٣) ديوان ذي الرمة ١٢٩.

(٤) الصاحبي : ٢٠٩.

(٥) ينظر : كتاب الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي : ٢٠٥/١.

(٦) ينظر : الكتاب : ٤٣٣/٤-٤٣٤.

(٧) ينظر : الكتاب : ٤٣٦/٤.

(٨) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل: ١٧٦، ١٨٢.

(٩) ينظر : دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر ٢١، ومقدمة كتاب الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي: ٩.

الذكر)؛ ناهيك عن أولئك الذين توسّعوا في الإبدال اللغوي بعدم اشتراطهم تلك العلاقة الصوتية؛ أمثال: ابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ)، وأبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) ، وعبد الرحمن الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، وكثير من رواة اللغة الأولين [١]. وكأنّ منهجهم في ذلك : قلّما تجد حرفا إلا وفيه البدل (ولو نادراً) [٢].

أما التوظيف الدلالي للفظة (البَجَج) المرسومة في المعاجم والكتب اللغوية ، و(البَحَج) المعروفة في الاستعمال الجازاني؛ فإنه يَمْثُل في ذلك التوافق الدلالي بين اللفظتين السابقتين؛ إذ يُطلق (البَحَج) في الاستعمال الجازاني على كل من اتسع حجم عينيه ؛ سواء أكان ذلك في مواقف الرّخاء، أم الشدة؛ إذ تسمعهم في مجال التمدّح (على سبيل المثال) يذكرون أنّ فلانًا بحّج بعينيه أثناء خِتَانه، وتلك عادة محمودة تدل في عرفهم على كمال الشجاعة والرجولة، كما أنّك تسمعهم في مجال حكاية الأحداث يذكرون أنّ فلاناً قد بَحَّجَتْ عيناه بعد أن ألمّ به الكرب، أو بعد أن فارق الحياة. والشأن كذلك إذا أرادوا وصف امرأة واسعة العينين ؛ فإنهم يقولون: تلك المرأة بَحْجَاء. وجميع تلك الدلالات للفظة (البَحَج) في الاستعمال الجازاني هي السائدة في الاستعمال اللغوي الموضوع لها (كما اتضح من قبل)، مع ملاحظة إبدال الجيم الأولى في (البَجَج) حاء في الاستعمال الجازاني؛ إما عن طريق التغيرات الصوتية ، أو التصحيفِ والتحريف ؛ وتلك بعض أسباب حدوث الإبدال اللغوي [٣]. ومما يُلحظ على دلالة اللفظة في الاسعمال الجازاني أن دلالتها على وجه الحقيقة، وأنه قد غلب على تلك الدلالة جانب المدح،لا الذم.

٢- ب خ س ، ب خ ص (البَخْس ، البَخْص) [ب خ ش البَخْش]

البَخْس : فَقْءُ العين بالإصبع أو غيرها؛ يقال: بَخَسَ عينه يَبْخَسُها بَخْساً؛ أي: فَقَأَها [٤]. ويجوز لك إحلال حرف الصاد مكان حرف السين؛فتقول: (البَخْص). والصاد أجود في ذلك من السين؛ قال ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ): ((بَخَسْتُها وبَخَصْتُها : خَسَفْتُها. والصاد

---

(١) ينظر : مقدمة كتاب الإبدال ،لأبي الطيب اللغوي: ١/١١.

(٢) ينظر : المزهر،للسيوطي:١/٤٦١.

(٣) ينظر : ظاهرة الإبدال اللغوي ، د . علي البواب : ٣٣ ، ٣٥.

(٤) ينظر : اللسان (بخس) : ٦/٢٥، والقاموس المحيط (بخس): ٦٨٥ ، وكتاب الأفعال، لابن القوطية:٢٨٠.

أجود))[1]. وقيل : ((بَخَسْتُ عينَه أبْخَسُها بَخْسًا، وبَخَصْتُها أبْخَصُها بَخْصًا، والأصمعي لا يجيز إلا الصاد، وهي الفصيحة المستعملة))[2]؛ لأن نطقها بالسين من فعل العامّة[3].

وهناك من يرى أن البخص غير البخس في دلالته، فقد قال ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ):((ويقال: قد بَخَصْتُ عينه(بالصاد)، ولا تقل: بَخَسْتُها ؛ إنما البَخْس النقصان من الحق))[4]. وقيل : ((وبَخَصْتُ عينَه أبْخَصُها بَخْصًا ؛ إذا قَلَعْتَها مع شحمتها. قال يعقوب: ولا تقل : بَخَسْتُ))[5]. ولعلّ الأولى في ذلك : عدّ لفظتي : (بَخَس، بَخَص) ذات دلالة على فقء العين، وأنّ الصاد في (بَخَصَ) من كلام العرب، والسين لغة منه[6]،وأنّ دلالتهما من قبيل الترادف اللغوي؛ إذ إنّ بَخَصَ عينه، وبَخَسَها، ونَجَزَها كلها بمعنى : فَقَأها[7].

لقد طرأ تغيير صوتي على حرفي السين والصاد في لفظتي : (بَخَسَ، بَخَصَ) ؛ حيث أبدلا شينًا في الاستعمال الجازاني (بَخَشَ)، ولعلّ الذي سوّغ إبدال الصاد، والسين شينًا (في الاستعمال الجازاني) : تلك العلاقة المخرجية، والوصفية بين الأحرف الثلاثة؛ إذ هناك تقارب في مخارج تلك الحروف: فمن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى : مخرج الجيم ، والشين، والياء، ومما بين طرف اللسان، وفُويق الثنايا : مخرج الزاي ، والسين، والصاد، أما العلاقة الوصفية بينها : فتكمن في كون الشين، والصاد ، والسين حروفًا مهموسة[8].

أما من حيث الدلالة لألفاظ : بَخَسَ، بَخَصَ، بَخَشَ (المبدلة شينًا في الاستعمال الجازاني)؛ فإنّ هناك تقاربًا دلاليا ؛ إذ اتضح من قبل تخصيص (بَخَسَ، بَخَصَ) بفَقْء العين بالإصبع ، أو غيرها، أما الاستعمال الجازاني فيذهب إلى توسيع مجال دلالة لفظة (بَخَشَ)؛ لتشمل العين ، وباقي الجسم، مع الإيحاء بظهور أثر ذلك الفَقْء، أو الجرح ، وترقّب بروز

---

(١) المصباح المنير (بخس)؛ ١٥، واللسان (بخس) : ٦/ ٢٥.

(٢)كتاب الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي: ٢/١٧٦.

(٣) ينظر : تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين الصفدي:١٠٢.

(٤) إصلاح المنطق : ١٨٤، والمخصص:١/١٠٢.

(٥) الصحاح (بخص) :٣/٨٦٤.

(٦) ينظر : المحكم (ب خ ص): ٥/ ٦٦، واللسان(بخس) : ٦/ ٢٥.

(٧) ينظر : معجم تهذيب اللغة (بخص) :١/ ٢٨٥، والمعجم الوسيط(بخس بخص):٤١/١.

(٨) ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٣-٤٣٤.

الدم (أحيانا) على صفحة جلد العضو المصاب؛ إذ تسمعهم يقولون : فلانًا بَخَشَ فلانًا في عينه، أو وجهه،أو يده ، أو غير ذلك من باقي الجسم؛ بل إنهم يطلقون هذه اللفظة ، ودلالتها على التخوّف من إلحاق الأذى بأطفالهم من قِبَل بعض الحيوانات ، فتسمعهم محذّرين : لا تقترب من ذلك الحيوان حتى لا يَبْخَشَك؛ أي: يجرحك ؛ لأن البَخْشَ : التجريح بمخالب الكلب ، أو القط[1]؛ وبذلك يمكن إضافة دلالة لفظة (بَخَشَ) في الاستعمال الجازاني إلى دلالة اللفظتين السابقتين: (بَخَسَ، بَخَصَ) ذات الترادف اللغوي (على رأي من ذهب إلى ذلك)، مع ملاحظة أنّ بعض جزئيات دلالة (بَخَشَ) يمكن عدّها مع دلالة اللفظتين السابقتين من قبيل الترادف اللغوي الدالّ على معنى : فَقْء العين بالإصبع ، أو غيرها؛ مع أن لفظتي(بخس،بخص)غير مستخدمتين في المدلول الجازاني بنفس هيئتهما الصوتية.

٣- ب ر ع (بَرَعَ)

يقال: بَرَعَ يَبْرُع بُروعًا وبَرَاعة، وبَرُع فهو بارع؛ أي : تم في كل فضيلة ومجال ، وفاق أصحابه في العلم وغيره[2]. والبارع (أيضًا) : هو الذي فاق أصحابه في السؤدد؛ يقال: بَرَعَه وفَرَعَه : إذا علاه وفاقه. ويُوصف كل مُشْرِف بأنه : بارع فارع[3]. ((وكل شيء تناهى في جمال ، ونضارة ، وغيرها من محاسن الأمور فقد بَرَعَ))[4].

يكثر في الاستعمال الجازاني استخدام (بَرَعَ، يَبْرُع، بارع) دون غيرها من الصيغ الاشتقاقية للفظة (بَرَعَ). أما التوظيف الدلالي لتلك الصيغ المستخدمة في الاستعمال الجازاني فقد جاء دالاً على الذي يجيد ركوب الخيل ، ويُحسن الاستعراض به لمسافة بعيدة (خاصة في المناسبات السعيدة)؛ إذ تسمع في مثل تلك الاحتفالات ، والمناسبات من يصوّر إعجابه بمن يمتطي صهوة فرسه في ذلك الميدان بأنه يَبْرُع بخيله في منظر ومشهد يُفهم منه: حسن الاستعراض ، وجودته؛ بل والإسراع فيه. كما أنّك تسمع مَنْ يصف تفوّق الفارس على زملائه أثناء العَدْو بأنه قد بَرَع بخيله ، وأنه هو البارِع. ولعلّ

---

(١) ينظر : معجم الأمثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضر موت ، محمد عبد القادر بامطرف:٦١١.

(٢) ينظر : اللسان (برع) :٨/ ٨، والمحكم (ب ر ع): ٢/ ١٤٤.

(٣) ينظر : أساس البلاغة (ب ر ع):٢٠، واللسان (برع): ٨ /٨، ومعجم تهذيب اللغة (برع) : ١/ ٣١٤.

(٤) ينظر : جمهرة اللغة (ب رع) : ١/ ٣٢٦.

الملاحظ هنا: أنّ تخصيص دلالة (بَرَع، يَبْرُع، بارع) في الاستعمال الجازاني بمن يجيد ركوب الخيل، ويحسن الاستعراض به لم يُصرّح به في الدلالات المعجمية السابقة الذكر. لكن من الممكن استشعار مثل ذلك المدلول الجازاني عن طريق الإشارة إلى معنى التفوق على الآخرين، وعلو المنزلة عليهم، وكذلك العلوّ المكاني المفهوم من أن كل مُشرِف يُعدّ بارعاً فارعاً[1]. وبهذا يحدث تقارب دلالي بين ما أشارت إليه الكتب المعجمية واللغوية وما حذا حذوها، وبين ما هو مستخدم في الاستعمال الجازاني؛ فكما أنّ جميع صيغ لفظة (بَرَعَ) تدل على من تمّ في فضيلة، وجمال، وفضل، وعلم، وغيره من محاسن الأمور؛ فإن من الممكن عدّ (بَرَعَ، يَبْرُع، بارع) في الاستعمال الجازاني ذات دلالة جزئية على كل من تَمّ في معرفة علم الفروسية، ومن ثَمّ يُعدّ بارعا في ذلك الفن؛ بل ومترفّعًا عن الآخرين الذين لم يصلوا إلى خبرته ومعرفته.

٤- ب ر ع ص (التَّبَرْعُص) [ب ر ص ع التَّبَرْصُع]

التَّبَرْعُص هو: أن يضطرب الإنسان تحتك[2]. وقد فُسّر (التَّبَرْعُص) بمطلق الاضطراب[3].

إنّ هذه اللفظة (التَّبَرْعُص) معروفة في الاستعمال الجازاني، إلا أنه قد حصل فيها قلب مكاني مع الحفاظ على حركات حروفها؛ إذا تُنطق (التَّبَرْصُع) (بتقديم حرف الصاد على حرف العين). ومثل ذلك الصنيع من سنن العرب؛ لأن القلب يكون في الكلمة، ويكون في القصة؛ فمن أمثلة القلب في الكلمة: جبذ وجذب، وبكل ولبك[4]. وتطلق هذه اللفظة في الاستعمال الجازاني على مطلق الاضطراب (كما هو مدلولها السابق الذكر)؛ إذ تُطلق دلالة اللفظة على حركة رجلي الرضيع في مهده، وعلى الحركة الاضطرابية لرجلي الخروف بعد ذبحه مباشرة، وعلى من يكون تحت قدميك وتصدر منه حركة اضطرابية بصورة خفيفة، وعلى السير المضطرب عند بداية مشي الطفل على رجليه؛ إذ توصف تلك الحركة الاضطرابية في الأمثلة السابقة بـ (التَّبَرْصُع) المقلوب عن

---

(١) ينظر: اللسان (برع): ٨/ ٨ (بتصرف)، ومعجم تهذيب اللغة (برع): ١/ ٣١٤ (بتصرف).

(٢) ينظر: القاموس المحيط (برعص): ٧٩٠، وتاج العروس (برعص): ٩/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: تاج العروس (برعص): ٩/ ٢٤٢.

(٤) ينظر: الصاحبي: ٢٠٨، والمزهر: ١/ ٤٧٦.

(التَّبَـرْعُص). ومثـل هـذا المـدلول فـي الاسـتعمال الجـازاني قريـب الدلالـة مـن المفهـوم الحقيقي لـ (التَّبَرْعُص) المتضمن معاني الاضطراب والحركة،وكأن ذلك المدلول الجازاني قد اكتسب توسّعا من خلال إطلاق(التبرعص) على مطلق الاضطراب.

٥- ب ق ق (بَقّ)

إنّ من دلالات لفظة (بَقّ) : كثرة الكلام، يقال بقّ الرجل يَبِقُ ويَبَـقُّ بقـا وبَقَقـا وبَقيقـا، وأبَـقَّ وبَقْبَـقَ ، أي : كثر كلامه. ورجـل مِبَـقّ وبقّـاق وبَقْبَـاق، وذلـك إذا كـان كثيـر الكـلام، أخطأ أو أصاب، وقيل : كثير الكلام مُخَلِّط [١]. كما تدل اللفظة على كثرة الإنجاب ، حيث قيـل: ((وبقّـت المـرأة وأبقّـت : كثُـر ولـدها. قـال سـيبويه (ت ١٨٠هـ) : (بقّـت ولـدا ، وبقّـت كلاما، كقولـك : نثـرت ولـدًا ، ونثـرت كلاما).)) [٢]. وبَــق النَّبْت : طَلَع [٣]. كما أنّ مـن دلالـة اللفظة (أيضا) : حكاية صوت كما يبقبق الكوز في الماء ، إذ يقال : بَقْبَقَ الكوزُ بالماء ، أي : صوّت. ويقال : بَقْبَقَت القدر ، أي غَلَت [٤]. وبَقَّ الشيءَ يَبُقُّه : أخرج ما فيه [٥].

لقد بقيت لفظة (بَقّ) ، ومشتقاتها في الاستعمال الجازاني على ما هو معهود فيها من رسم كتابي ، وضبط حركي. وقد جاءت جميع الدلالات المتعلقة بها المتضمنة الإشارة إلى كثرة الشيء المرتبط بها (سواء أكان ذلك زرعًا ، أم واديا ، أم كلاما، أم امرأة ولودًا، أم إخراجًا ، أم صوتًا) [٦] متفقة مع هو مألوف في توظيف دلالتها في الاستعمال الجازاني ، إذ تُطلق لفظة (بَقّ) على سرعة وَهَج النار، ثم انطفائه المفاجئ ، وعلى كثرة الكلام فيما يعود على الآخرين (في الغالب) بالأذى والسبّ، وعلى وفرة خروج المحاصيل الزراعية، إذ تسمعهم أثناء الطبخ (خاصة عندما كان الطبخ يقوم على أدوات بدائية تقليدية) يقولون : بَقّت الطبّاخة ، أو بَقّت النار، أو بَقّ الدافور، وذلك موافق لدلالة: بَقّ الشيء يبُقُّه : إذا أخرج ما فيه [٧]. كما أنك تسمعهم إذا أرادوا حكاية التمادي في إطلاق

---

(١) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٣/١٠. والمحكم (ب ق ق) : ١٤٤/٦.

(٢) اللسان (بقق) : ٢٣/١٠. وكتاب الأفعال . لابن القوطية: ١٢٧.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (بقق) : ١١٢٢.

(٤) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٤/١٠ ، والصحاح (بقق) : ١٢٠٠/٤.

(٥) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٤/١٠ ، والتكملة والذيل والصلة (ب ق ق):١٩٢/٥.

(٦) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٣/١٠-٢٤.

(٧) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٤/١٠ ، والمحكم (ب ق ق) : ١٤٥/٦.

الكلام . وكثرة وقعه على النفس . وتأذّي المستمع منه يردّدون عبارات منها : لقد بَقّ علينا ذلك الرجل في حديثه بَقّة . وبقّت علينا تلك المرأة بَقّة، وذلك موافق لدلالة لفظة (بَقّ) على كثرة الكلام المخلّط الذي قد يصاحبه الخطأ . أو الصواب [1]،أو الدلالة على الكلام المفرّق ؛ لأنك عندما تقول: بَقْبَقَ علينا الكلام ؛ فإنك تقصد بذلك : الكلام المفرّق[2]. أو الكلام المصحوب بالثرثرة ؛ لأنّ أرباب البَقْبَقَة هم الثرثارون [3]، ومن ذلك قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : ((مالي أراك لقاً بقاً . كيف بك إذا أخرجوك من المدينة؟)) [4]. وكأنه ﷺ يرمي إلى معنى كثرة الكلام، حيث يقال : ((رجل لقّاق بقّاق . ولقَاق بقَاق : إذا كان كثير الكلام))[5]. كما أنه يرد (أيضاً) في الاستعمال الجازاني توظيف دلالة (بَقّ) على وفرة المحاصيل الزراعية وكثرتها في عام (ما) ؛ حيث يتحدثون فيقولون : أمّا هذه السنة فقد بقّت علينا الأرض (المزرعة) بقّة مالها مثيل. ومثل ذلك المفهوم مألوف في كتب المعاجم اللغوية؛ إذ يُقال: بَقّ النبتُ بقُوقا ؛ وذلك حين يطلع [6]. وجميع تلك الدلالات اللغوية للفظة (بَقّ) تدل على توافق دلالة الاستعمال الجازاني لما عليه اللفظة في المعاجم اللغوية.

٦- ب هـ ز (البَهْز)

البَهْز : الضرب . والدفع في الصدر بالرِّجْل . واليد . أو باليدين كلتيهما [7]؛ يقال: بَهَزَه عني يَبْهَزُه بَهْزًا ؛ أي : دفعه دفعًا عنيفا ونحّاه [8]؛ ومن ذلك: الحديث: ((أنه أُتي بشاربٍ فَخُفِق بالنعال، وبُهِزَ بالأيدي))[9]؛ أي : دُفع دفعًا عنيفًا [10].

---

(١) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٣/١٠.

(٢) ينظر : معجم تهذيب اللغة (بقق) : ٣٧٢/١ . واللسان (بقق) : ٢٣/١٠.

(٣) ينظر : معجم تهذيب اللغة (بقق) : ٣٧٣/١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير (بقق) : ٨٦.

(٥) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٨٦.

(٦) ينظر : اللسان (بقق) : ٢٣/١٠.

(٧) ينظر : القاموس المحيط (بهز) : ٦٤٧. وتاج العروس(بهز):١٧/٨.

(٨) ينظر : اللسان (بهز) : ٥/ ٣١٤ . وكتاب العين (بهز) : ٩١.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر (بهز) : ٩٥.

(١٠) ينظر : النهاية (بهز) : ٩٥ . واللسان (بهز) : ٥/ ٣١٤.

إنّ هذه اللفظة معروفة في الاستعمال الجازاني بنفس حروفها. ونطقها: ومن ذلك المثل الجازاني (فرحنا بالأعمى يناوسنا بَحْجَرْ بعيونه، وبَاهَزْنا)[1]. أما مدلولها في الاستعمال الجازاني فقريب من دلالتها الموضوعة لها، لأنّ فيه إضافة معنى المفاجأة؛ إذ يكثر الوصف بمعنى (البَهْز) في حالات التستّر والتخفي، وحالات الاستيقاظ من النوم في حالة خوف وذُعر، وحالات التربّص بالشخص أثناء سيره، وما شاكل ذلك. ومن أمثلة ذلك: فلان يُباهِزُ الناس بالدولة، أي: يخوّفهم بها[2]. ويغلب وصف صاحب تلك الحالة بأنه مَبْهُوز، اسم مفعول من الثلاثي (بَهَزَ). وبذلك تحدث المقاربة الدلالية بين الاستعمال اللغوي الحقيقي لها، وبين الاستعمال الجازاني؛ إمّا عن طريق سبب حصول ذلك (البَهْزَ) من الضرب، والدفع في الصدر بالرِّجل، واليد، أو باليدين كلتيهما[3]، وإما عن طريق الغَلَبة[4]، أو عن طريق المفاجأة، بعلُوّ نَبْرَة الصوت، أو إحداث حركات تخويفية دون تنفيذها، أو تصورات وتخيلات منامية (كوابيس).

* * *

---

(1) ينظر: النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف بين العامية والفصيح، يحيى محمد السيد عطيف: ٢/١٠١٢.

(2) ينظر: النتاف: ٢/١٠١٤.

(3) ينظر: اللسان (بهز): ٥/٣١٤.

(4) ينظر: كتاب مجمل اللغة (بهز): ٨٦.

حرف الثاء:

٧- ث د ي (الثَّدْي) [ف د ي الفِدي]

الثَّــدْي : معــروف لــدى عامــة النــاس، وخاصــتهم، وجمعــه : أثْــداء ، وثُــدِيّ ، وثِــدِيّ.[١] والثَّــدْي عــام للمــرأة والرجــل، ويجــوز فــي ثائــه الفتح،والكــسر، والفتح أولى.[٣]وهو مما يذكر،ويؤنث، والتذكير أفصح[٢]، بل لم يذكر فيه الأنباري (ت ٥٧٧هـ) إلا التذكير فقط[٣].

على الرغم من وضوح لفظة (الثَّدْي) رسما، ودلالة ، إلا أن سر ذكرها هنا : ذلك التغيير الصوتي لها في الاستعمال الجازاني ، حيث تُبدل الثاء فاء ، مع كسر الفاء (الفِدي) ، وذلك من قبيل الإبدال اللغوي بين حرفي الثاء ، والفاء (الثَّدي ، الفِدي) ، إذ يقال: فلان ذو ثَرْوَة وفَرْوة ، ويقال : الجَدَث والجَدَف[٤].والذي سوغ التبادل اللغوي بين حرفي الثاء ، والفاء: كونهما من الأصوات المتجاورة، إذ مخرج الثاء : مما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا ، والفاء مجاور له في المخرج ، فهو من باطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العُلى[٥]. وهما صوتان رخوان، مهموسان ، لا يعسر تبادلهما[٦]. أما كسر الفاء في الاستعمال الجازاني (الفِدي) ، فهوعلى جواز كسر الثاء من الثِدي[٧] الذي يظهر فيه الميل إلى الكسر، خلافاً لابن السكيت الذي قال : ((وهو ثَدْي المرأة ، ولا تقل ثِدْي))[٨].

أما دلالتها في الاستعمال الجازاني ، فهي تلك الدلالة المرسومة لها في المعجم العربي، حيث يُطلق (الفِدي) في الاستعمال الجازاني على ثدي المرأة ، والرجل، مع أنه للمرأة أكثر.

---

(١) ينظر : معجم المذكر والمؤنث في اللغة العربية ، د. محمد أحمد قاسم : ٤١.

(٢) ينظر : تاج العروس (ثدي) : ٢٤٤/١٩ .

(٣) ينظر : المذكر والمؤنث ، للأنباري : ٢٧٧/١، ومعجم المذكر والمؤنث : ٤١.

(٤) ينظر : كتاب الإبدال ، لأبي الطيب : ١٩٢/١، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر، للزجاجي : ٨٦.

(٥) ينظر : الكتاب : ٤٣٤/٤.

(٦) ينظر : ظاهرة الإبدال اللغوي د . علي البواب : ٨٨ ، والكتاب : ٤٣٣/٤-٤٣٤.

(٧) ينظر : تاج العروس (ثدي) : ٢٤٤/١٩، والصحاح (ثدي) : ١٨٣٠/٥.

(٨) إصلاح المنطق : ١٦٣.

٨- * ث ر م (ثَرَمَة)　　　　[ف ر م فَرَمة]

لقد عرض محمد بن إبراهيم فضلي مؤلف كتاب (أصالة لهجة منطقة جازان) لفظة (ثَرَمَة)، وتناول دلالاتها اللغوية الموضوعة لها؛ مثل الدلالة على انكسار، أو خلع إحدى أسنان المقدمة من الثنايا والرباعيات. وقد استشهد لذلك بأنه يقال: رجل أثرم، وانثرمت سنّه، وامرأة ثَرْماء، وبها ثَرَمَة [١]. وقد قصد من ذلك: التدليل على أصالة هذه اللفظة في الاستعمال الجازاني، وأن دلالتها موافقة للمعاني المشار إليها في كتب المعاجم اللغوية. وإنما ذُكرت هذه اللفظة ضمن مفردات البحث الحالي؛ لأنه قد فات المؤلف الكريم الإشارة إلى نطق هذه اللفظة (ثَرَمَة) بالفاء (فَرَمَة). ولعلّ ذلك راجع إلى تفاوت اللهجات في نطق هذه اللفظة بين شمال منطقة جازان، وجنوبها.ولقد جاء مثل هذا التبادل اللغوي بين حرفي الثاء، والفاء في أمثلة كثيرة ؛ منها: جلستُ في فِناء داري وثِناء داري، والفُوم والثُوم، وثُمَّ وفُمَّ، وغيرها كثير [٢]. ولعلّ الذي سوّغ إجراء التبادل اللغوي بين هاتين اللفظتين: (ثَرَمَة ، فَرَمَة)، وغيرها من الأمثلة: ذلك الإبدال بين الأصوات المتجاورة ؛ إذ مخرج الثاء: مما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا، والفاء مجاور له في المخرج ؛ إذ هو من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العُلى [٣]. كما أنّ هناك توافقا وصفيا بين حرفي الفاء والثاء المتبادِلَيْن؛ إذ هما صوتان مهموسان رِخْوان [٤]. وعلى هذا: فإنّ بين لفظتي: (ثَرَمَة ، فَرَمَة) توافقاً دلالياً في الدلالة على سقوط، أو انكسار الثَنِيَّة من الأسنان، أو انكسار الثَنِيّة والرباعية، أو انكسار الثنية (خاصة)، أو أن تُقلع السنّ من أصلها مطلقاً [٥].

---

(١) ينظر: كتابه: ص٧٠.

(٢) ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطيب: ١/١٨٧،١٨٤، ١٩٣.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤ / ٤٣٤، وظاهرة الإبدال اللغوي د. علي حسين البواب: ٨٨.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤-٤٣٥.

(٥) ينظر: اللسان (ثرم): ١٢/٧٦-٧٧، والمحكم (ث ر م): ١٠/١٤٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر(ثرم):١٢١.

حرف الجيم:

٩- ج ب ج ب (الجُبْجُبَة) [ج ب ب الجَب]

الجُبْجُبَة والجَبْجَبَة (بضم الجيم الأولى والثانية وفتحهما): زبيل من جلود يُنقل فيه التراب [١]، ومنه حديث عبد الرحمن بن عوفﷺ:((أنه أودع مُطْعِم بن عَدِي لما أراد أن يهاجر جُبْجُبَة فيها نوى من ذهب))[٢]، أي : زِنبيل لطيف من جلود. وتجمع (الجُبْجُبَة) على جَبَاجِب [٣].

إنّ في هذه اللفظة أوجه اختلاف بين ما أشارت إليه كتب المعاجم اللغوية ومن حذا حذوها . وبين الاستعمال الجازاني؛ إذ لا تُعرف في الاستعمال الجازاني إلا بلفظة (الجَبْ)؛ ومن ذلك المثل الجازاني (لا تقل حَبّ . حتى قَدِيْه في الجَبْ)[٤]. كما أنّ لفظة (الجُبْجُبَة) مأخوذ من مادة (ج ب ج ب) (على رأي من استحسن ذلك)، ولفظة (جَبْ) في الاستعمال الجازاني مأخوذة من مادة (ج ب ب)؛ وذلك بحذف حروف آخر اللفظة؛ بسبب السرعة في النطق، أو الاختصار المخل. ولفظة (الجبجبة) أكثر حروفا من لفظة (الجبْ) في الاستعمال الجازاني، ولا يمكن ضم الجيم (الجُبْ) قياسا على جواز ضم، وفتح الجيم من لفظة (الجُبْجُبة) ؛ لأن ذلك يُبعد المعنى تماما عن إرادة الزنبيل المقصود في الاستعمال الجازاني.

أما المفهوم الدلالي لتلك اللفظتين ؛ فإن فيه بُعدًا من ناحية ، وشبه تقارب من ناحية أخرى؛ فمن مظاهر التباعد الدلالي بينهما: أنّ (الجبجبة) زِنبيل من جلود يُنقل فيه التراب (كما اتضح من قبل). أمّا (الجَبْ) في الاستعمال الجازاني فيُطلق على الزنبيل الكبير المعمول من خوص الدوم . توضع فيه الأغراض والأمتعة [٥]، وليس من الجلود. ولا يُقتصر في دلالته على نقل التراب فحسب؛ لأنه يُستعمل (أيضا) في نقل الأمتعة ، وحفظ الثياب، وجمع الحبوب، وبعض المحاصيل الزراعية. أما شبه التقارب الدلالي بينهما ؛ فيعود إلى

---

(١) ينظر : المعجم الوسيط(جبجب) : ١٠٤/١. والصحاح (جبب) : ٨٥/١. ومعجم تهذيب اللغة (جبب) : ٥٣٠/١.

(٢) النهاية (جبجب) : ١٣٦.

(٣) ينظر : الصحاح (جبب) : ٨٥/١. وغريب الحديث . للهروي (جبجب) : ٤٠٢/٤.

(٤) ينظر : النتاف : ٣/ ١١٩٥.

(٥) ينظر : النتاف ٣/ ١١٩٦.

كونهما زنبيلاً ، وإلى الإفادة منهما في نقل التراب. ولعلّ من مسوغات قبول مثل هذا التقارب الدلالي بينهما (دون الدلالة على الزنبيل المتخذ من سعف النخيل): تلك الدلالة المطلقة للفظة (الجُبْجُبة) الدالة على الزبيل الذي ينقل فيه التراب، دون تقييد لمادة صنعه[1]. أما الجَبجَبة (بفتح الجيمين): فتدل في الاستعمال الجازاني على من يقوم بجمع الأشياء بصورة استقصائية ؛ في سبيل الاستيلاء عليها،أو حصرها وجعلها في موضع واحد. وكأنهم قد اشتقّوا من لفظة (الجَبّ) صيغة (فَعْلَلَة). فقالوا (جَبْجَبَة)، إذ تسمعهم يقولون : فلان جبْجَبَ ذلك الشيء جَبْجَبَة، وهو يُجَبْجِب تلك الأشياء جَبْجَبَة؛ أي يجمعها بصورة فيها عجلة ، وشراسة. ولفظة (جَبْجَبَة) دالة في الاستعمال اللغوي الموضوع لها على الزّنبيل المصنوع من الجلود، المستفاد منه في نقل التراب (كما سبق إيضاحه من قبل). وهذه اللفظة (جَبْجَبَة) هي الأولى في الاستعمال الجازاني من (الجَبْ) ؛ حيث التوافق الكتابي ، والنطقي للفظة (جَبْجَبَة) بين الاستعمال اللغوي لها، وبين الاستعمال الجازاني. ولم ترد لفظة (الجَبْ) في المعاجم اللغوية دالة على ما قصده الاستعمال الجازاني لها من دلالة على ذلك الزنبيل المتخذ من سعف النخيل، المستفاد منه في نقل الأمتعة، وحفظ الثياب ، وجمع بعض المحاصيل الزراعية. ولعلّ ذلك يوجد شبه تقارب دلالي للفظة (جَبْجَبَة) بين الدلالة اللغوية الموضوعة لها ، وبين المدلول الجازاني المتضمن جمع الأشياء بصورة استقصائية ؛ في سبيل الاستيلاء عليها ، أو جعلها في موضع واحد؛ سواء أكان ذلك المجموع فيه تلك الأشياء زنبيلاً ، أم غيره، وسواء أكان من جلد، أم غيره.

١٠- ج ر ن (الجَرين) [المِجْرَان]

الجَرين: البيدر الذي يداس فيه الطعام، والموضع الذي تُجفف فيه الثمار [2]؛يقال: أجْرَن الحب أو التمر، أي: وضعه في الجَرين؛ ومنه الحديث: ((لا قطع في ثمر حتى يُؤويه الجرين))؛ وهو موضع تجفيف التمر. وهو له كالبيدر للحنطة)) [3]. والجَرِيْن (أيضاً): موضع

---

(١) ينظر : المحكم (ج ب ج ب): ٧/ ٢٢٦.

(٢) ينظر : المصباح المنير : ٣٨، والمعجم الوسيط (جرن) : ١/ ١١٩.

(٣) النهاية (جرن) : ١٤٩.

البيدر بلغة أهل اليمن [1]. والعامة تكسر الجيم (الجِرين) [2].ويُجمع (الجَرِيْن) على جُرُن، وأجْرِنَة [3].

إنّ لفظة (الجَرِيْن) معروفة في الاستعمال الجازاني بـ(المِجْران) (على وزن فِعْلان)، ومن ذلك المثل الجازاني (نَفَرَ الغُراب من المِجْران) [4]. أما (الجَرِيْن) فلغة أهل نجد، والحجاز، واليمن [5]. وهي مألوفة في الاستعمال الجازاني في دلالتها على موضع تجفيف الثمار، ومن ثَمَّ القيام بدَوْسِها [6]؛ في سبيل استخراج بذورها، ومنتوجها؛ وذلك هو الموافق لدلالة (الجَرِين) في كتب المعاجم.

ويُلحظ هنا أمران : **الأول**: أن لفظة (الجَرِيْن) قد يحلّ محلها (المِجْرَن) دالاً على معناها [7]. ومثل ذلك اللفظ البديل (المِجْرن) هو الغالب في الاستعمال الجازاني، مع زيادة حرف الألف بعد الراء (المِجْران). وليس (المِجْرَان) (على وزن مِفْعَال) من أوزان اسم المكان حتى يكون مقبول الاستخدام في الاستعمال الجازاني؛ لأن أوزان اسم المكان لا تخرج عن وزن : (مَفْعَل، مَفْعِل) [8].أما **الملحظ الثاني**: فإنّ إطلاق (الجرين)، و (المجران) على الموضع الذي تجفف فيه الثمار (كما اتضح من قبل في المفهوم اللغوي، والاستعمال الجازاني) هو السائد في العرف الجازاني، بدلا عن تخصيصه بموضع البُر، والتمر والعنب [9]؛ وذلك لأنّ المحاصيل الزراعية التي تُجفف في ذلك الموضع، وتُداس في سبيل استخراج معطياتها (حسب طبيعة المنطقة الزراعية) لا تعدوكونها ذرة، أو دُخنا، أو سمسما في المحصول الزراعي الجازاني. وعلى هذا ؛ فإن (الجَرين، والمِجْرَن،

---

(1) ينظر : معجم تهذيب اللغة (جرن) : ١/٥٩٠. وكتاب العين (جرن):١٣٨. والمعجم الكامل في لهجات الفصحى، داوود سلوم:٨٦.

(2) ينظر : معجم تهذيب اللغة (جرن) : ١/٥٩٠. والمعجم الكامل في لهجات الفصحى : ٨٦، وفي اللهجات العربية، ابراهيم انيس:٣١٣.

(3) ينظر : اللسان (جرن) : ٨٧/١٣..

(4) ينظر : النتاف ٣/١٤٥١.

(5) ينظر : لغة تميم د. ضاحي عبد الباقي : ٥٤٨. وفي اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس: ٢٦٤.

(6) ينظر : اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية، محمد بن سهيل آل سهيل:٣٣.

(7) ينظر : الشوارد في اللغة، للصنعاني : ٢٤٧. والمعجم الوسيط (جرن) : ١/ ١١٩.

(8) ينظر : النحو الوافي، عباس حسن : ٣/٣٣١–٣٣٢.

(9) ينظر : اللسان (جرن) : ٨٧/١٣.

والمِجْرَان (في الاستعمال الجازاني) ذات دلالة متوافقة مع معاجم اللغة على الموضع الذي تجفف فيه الثمار، ومن ثَمَّ تُداس، ليتم استخراج ما فيها).

١١- ج ف ر (جُفْرَة)

الجُفرة (بالضم): سَعة في الأرض مستديرة، ومنه قيل للجوف: جُفْرَة. وتجمع على جِفار، مثل: بُرْمة وبِرَام [١].

إنّ المتأمل في النطق الجازاني يسمع لفظة (جُفْرَة) تُنطق كما هي ماثلة في المصادر الموثوقة المعتمدة، دون تحريف فيها، أوزيادة. كما أنّ ذلك المتأمل يدرك جيداً حقيقة دلالتها في الاستعمال الجازاني على الرجل النِّهِم الذي يأكل فوق طاقته، ويستغرق وقتا أطول حين تناوله طعامه، حتى يبدو للناظرين (على سبيل المبالغة) كأنه تلك الأرض الواسعة المستديرة التي شُبّه جوفه، وبطنه الممتلئ بالطعام بها، وذلك لأن جُفْرَة البطن هي باطن المُجْرَئِش" [٢]. وبهذا يكون هناك تقارب دلالي للفظة (الجُفْرَة) بين الاستعمال اللغوي الموضوع لها، وبين الاستعمال الجازاني، لأنّ مادة (ج ف ر) حاوية بمشتقاتها الدلالات الموحية بالكثرة، إذ الجَفْر: الصبي إذا انتفخ لحمه وأكل حتى صارت له كرش، والجَفْر: أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، والجَفْرَة: العناق التي شبعت من الشجر والبقل واستغنت عن أمها، والمُجْفَر: العظيم الجنبين من كل شيء، يقال: فرس مُجْفَر، وناقة مُجْفَرة، أي: عظيمة الجُفْرة، وهي وسطه، والجافِر: البعير الذي يُكثر الضراب حتى ينقطع [٣]. وقد أضاف العقيلي (رحمه الله): جَفَرَ القدر: ((اشتد غليانه، فسال الماء من جوانبه)) [٤]. وبهذا يكون إطلاق دلالة (الجُفْرَة) في الاستعمال الجازاني مقبولا على كل مَنْ يملأ جوفه، وبطنه بالطعام بصورة فيها نَهَم، وعجلة، واستكثار، حتى يبدو بطنه كأنه حفرة مستديرة في أرض واسعة.

---

(١) ينظر: الصحاح (جفر): ٢/٥٣٥.

(٢) ينظر: اللسان (جفر): ٤/١٤٢.

(٣) ينظر: اللسان (جفر): ٤/١٤٢-١٤٣.

(٤) معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان: ٥٤.

١٢- ج ف ش (جَفَشَ)

يقال: جَفَشَ الشيء يَجْفِشُه جَفْشاً ؛ أي: جمعه ؛ وهي لغة يمانية [١]. وتأتي اللفظة (أيضا) دالة على العصر اليسير . والحَلْب بأطراف الأصابع؛ يقال: جَفَشَ الناقة جَفْشًا ؛ أي: حلبها بأطراف أصابعه [٢].

إنّ هذه اللفظة (جَفَش) معروفة في الاستعمال الجازاني ؛ من حيث نطقها . وكتابتها. أما مدلولها فيختلف في مجمله عن دلالتها على معنى جمع الشيء. أو عصره عصرًا يسيرًا. أو حَلْبه بأطراف الأصابع؛وذلك لأنّ الجازاني إذا نطق لفظة (جَفَشَ)؛أراد أنه جثم على ركبتيه واضعا صدره على فخذيه [٣]. وتدل (أيضا) على القعود؛ فإذا قيل: جفش فلان على كرسيه . أو جفش فلان على فلان ؛ فُهم من ذلك: إلقاؤه بنفسه على ذلك الكرسي. أو على ذلك الشخص بصورة عشوائية . أو بصورة متعمّدة فيها معنى السرعة والاستجماع ومثل ذلك يوظف في اللهجة اليمنية؛ إذ يقال: جَفَشَ فلان على الشيء ؛ أي: جثم عليه مخفيًا له بإرسال ثوبه فوقه [٤]. ومن الممكن إيجاد شبه تقارب دلالي لتلك اللفظة بين الاستعمال اللغوي الخاص بها. والاستعمال الجازاني؛لأنّ من المحتمل أن الإنسان إذا جَفَشَ على كرسيّه . أو على شخص آخر . تطلّب منه ذلك جمع قواه. وشدّ جسمه . ولفّ ثيابه.كما أنّ من المحتمل إلحاق الأذى بالمجفوش عليه؛ من عَصْر . أو رَكْل . ونحوه (وتلك دلالات للفظة سبق إيضاحها من قبل).

١٣- ج ل ب (جِلْب)

الجِلْب (بالكسر): الرَّحْل بما فيه . أو غطاؤه. أو خشبه بلا أنساع وأداة [٥].وجِلْب الرَّحْل وجُلْبُه: عيدانه [٦]؛ قال الشاعر:

بَلْ خِلْتُ أعلاقي وجِلْبَ الكُوري *** على سَراةِ رائحٍ مَمْطُور [٧]

---

(١) ينظر : كتاب مجمل اللغة (جفش) : ١٣٤. والجمهرة (جفش):١/٤٤٢د.

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (جفش) : ١٢٧.

(٣) ينظر : النتاف ١/٤٣١.

(٤) ينظر : المعجم اليمني في اللغة والتراث. مطهر علي الإرياني ١٤٧.

(٥) ينظر : القاموس المحيط (جلب):٨٨. والمحكم (ج ل ب) : ٧/ ٤٣٨-٤٣٩.

(٦) ينظر : الصحاح (جلب):١/٨٩. وكتاب مجمل اللغة (جلب): ١٣٥د. وتاج العروس (جلب): ١/٣٧٣.

(٧) ديوان العجاج : ٢٣٣.

إن هذه اللفظة (الجِلْب) معروفة في الاستعمال الجازاني بنفس هيئتها الكتابية ، والنطقية. أما طبيعتها الدلالية؛ فقد غلب استعمالها في المفهوم الجازاني على: العِيدَان التي تكون بداخل الرَّحْل المكونة له. وذلك المفهوم مندرج تحت دلالة (الجِلْب) المشار إليها سابقًا؛ إلا أنّ فيه تخصيص الدلالة بعيدان الرحل، دون دلالة الرَّحْل ، وما اشتمل عليه. وفي هذا المفهوم الجازاني لتلك اللفظة توافق مع دلالة إطلاق جِلْب الرَّحْل على عيدانه ؛ لأن التعبير بالجزء في الاستعمال الجازاني (عيدان الرَّحل) مندرج تحت الرحل نفسه؛ وذلك مظهر من مظاهر المجاز المرسل الذي يُطلق فيه الكل ويُراد الجزء، أو العكس.

١٤- ج ل ب (الجَلْب)

أصل (الجَلْب): سوق الشيء؛ يقال جَلَبْتُ الشيء جَلْبًا ، أي: سُقْتُه[١]، وجَلَبَه يَجْلِبُه ويَجْلُبُه جَلْبا وجَلَبًا، واجْتَلَبَه ، أي: ساقه من موضع إلى موضع آخر، فَجَلَب هو وانجَلَب[٢]. ويُطلق على صاحب (الجَلْب) جالِب ، وجَلاّب. كما يُطلق الجَلَب (بفتح اللام) على المجلوبة[٣]. والجَلَب والأَجْلاب: الذين يَجْلُبُون الإبل ، والغنم؛ لأجل البيع[٤].

لقد شاع في الاستعمال الجازاني ورود لفظة (الجَلْب) (بسكون اللام) ؛ للدلالة على البهائم ، والحيوانات أثناء سَوْقِها ؛ للبيع في السوق ، ونحوه. أما (الجَلَب) (بفتح اللام) ؛ فإنه يعني في الاستعمال الجازاني: قصبة مجوّفة تستعمل للبذر[٥].وبهذا يكون التوافق الدلالي للفظة الجَلْب (بسكون اللام) في الاستعمال اللغوي الموضوع لها، والاستعمال الجازاني.

١٥- ج و ل (المِجْوَل)

تشير كتب المعاجم اللغوية إلى أن المِجْوَل: قَدَح ضخم مصنوع من خشب[٦]، وقميص يجــول فيه لابســـه في البيت[٧]، وثوب صغير تجول فيه الجارية[١]. وتستخدم

---

(١) ينظر : كتاب الأفعال ، لابن القوطية: ٤٩، ومفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني: ١٩٨.

(٢) ينظر : القاموس المحيط (جلب) : ٨٧.

(٣) ينظر : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، للأصفهاني (جلب) :٣٣٨/١، والجمهرة (جلب):٢٦٤/١.

(٤) ينظر : الصحاح (جلب) : ٨٩/١، ومعجم الفرائد ، لإبراهيم السامرائي (جلب) : ٥٣.

(٥) ينظر : معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان:٥٤.

(٦) ينظر : تاج العروس (قدح) : ١٢٩/١٤.

(٧) ينظر : المعجم الوسيط (جول) : ١٤٨/١.

هذه اللفظة في الاستعمال الجازاني بنفس صورتها الكتابية، والنقطية (مِجْوَل). أمّا ما ذكره محمد بن أحمد العقيلي (رحمه الله) تحت لفظة (جول) بأنها: المِجْوَلَة [٢]، فغير مستعمل بالتأنيث في محافظة صامطة (موطن الباحث). أما المفهوم الدلالي للفظة (المِجْوَل) فإنّ فيه تباينًا كبيرًا ؛ حيث أشارت الدلالات السابقة الذكر أن (المِجْوَل): إما قدح ضخم من خشب ، وإما قميص يجول فيه لابسه. أما مفهوم اللفظة في الاستعمال الجازاني، فقد ذكرها العقيلي حيث قال: ((المِجْوَلة: أداة من حصير (سعف الدوم) مدورة الشكل تُستَعمل في تذرية الحبوب))[٣]، وهي أقرب إلى ما يُسمّى في الاستعمال الجازاني (المِعْشَرَة). وأكثر ما يطلق (المِجْوَل) في الاستعمال الجازاني على ما يشبه سُفْرة الطعام ، ويحمل الشكل الدائري ، وتوضع عليه المائدة.وواضح من تلك الدلالات للفظة (المِجْوَل) في الاستعمال الجازاني أنها غير صريحة في الاستعمال اللغوي الموضوع لها، إلا إذا أُريد أن ذلك (المِجْوَل) كأنه يجول بما فيه من طعام، أو أنّ صاحب ذلك (المِجْوَل) يجول بالخيرات الموضوعة عليه، في سبيل إيصالها إلى الجالسين على ذلك الحصير.وكأنّ في تصوير تلك الحالة تشبيهاً ببعض الدلالات المستوحاة من لفظة (المِجْوَل) ؛ مثل: الدلالة على ذلك القميص الذي يجول فيه لابسه في البيت [٤].

أو الدلالة على الخَلْخَال [٥]. وقد أومأ العقيلي إلى مثل ذلك الاحتمال عندما قال في المِجْوَل: ((لغة: جَوَل جَوَلانا: طاف (دار)))[٦]. وإذا كان هذا الاحتمال الدلالي مقبولاً في الاستعمال الجازاني، فإنه يمكن عدّ ذلك من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المحلِّيَّة، حيث إن ذلك (المِجْوَل) محل ومكان لما يجول حوله من طعام ، أو أشخاص. وهو بذلك يشبه في دلالته ذلك الثوب الذي يلبسه صاحبه، ويجول فيه. وبهذا يحصل شبه تقارب بين دلالتي لفظة (المِجْوَل) في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني.

---

(١) ينظر : الصحاح (جول) : ٤ / ١٣٦٢.

(٢) ينظر : كتابه : معجم اللهجات المحلية لمنطقة جازان : ٥٩.

(٣) معجم اللهجات المحلية لمنطقة جازان : ٥٩.

(٤) ينظر : المعجم الوسيط (جول): ١/١٤٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر (جول) : ١٧٤.

(٥) ينظر : تاج العروس (جول) : ١٤/١٢٨.

(٦) معجم اللهجات المحلية لمنطقة جازان : ٥٩.

حرف الحاء:

١٦- ح د أ (الحِدَاء) [الحِدَا]

يقال: حَدِئَت المرأة على ولدها حَدَأً ، أي: عَطَفَتْ عليه. وحَدِئت الشاة ، وذلك إذا انقطع سَلاها في بطنها فاشتكت منه[1].

لقد عُرفت هذه اللفظة (الحِداء) في الاستعمال الجازاني بصورتها الكتابية، وطبيعتها الدلالية، إلا أنّ الغالب فيها الألف المقصورة (الحِدَا)، على غرار ماعليه بعض قبائل العرب القديمة التي سكنت جنوب الجزيرة العربية؛ كطيء التي لجأت إلى الوقف بالحذف؛ كقولها: ياأباالحكَا،وهي تريد:ياأباالحكم،بقطع اللفظ قبل تمامه،بما يشبه الترخيم عند أهل النحو(على خلاف في ذلك بين مؤيد ومعارض) [2] .

وقد جاء التطابق الدلالي بين الاستعمال اللغوي الموضوع لها ، والاستعمال الجازاني في الدلالة على كل حِدَاء يخرج من امرأة، أو حيوان بعد وضع مولوده، لأن الحداء هو المشيمة ذات (الطبقة البرّانية للغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، ويخرج معه عند الولادة) [3] .

١٧- ح ر ت (الحَرْت)

الحَرْت: الدلك الشديد ، يقال حَرَتَ الشيء يَحْرُته حَرْتا، أي: دلكه دلكا شديدا [4] .

لقد حظيت هذه اللفظة (الحَرْت) في الاستعمال الجازاني بتطابق صوتي ، ودلالي، إذ هي كذلك في الاستعمال اللغوي، بنفس حروفها ، وحركاتها. كما أنّ دلالتها مسايرة لما أشارت إليه المصادر السابقة؛ إذ يُطلق (الحَرْت) في الاستعمال الجازاني على كل ما يتطلب دلكاً شديداً (خاصة في تنظيف القدور، وأوعية الطبخ). ويكون ذلك الدلك الشديد إما لاستخراج ما علق بتلك الأواني من بقايا أكل متماسك في أسفل القِدر ، وإما لزيادة نظافة. وكلا المدلولين على وجه الحقيقة، لا المجاز.

---

(١) ينظر : المقصور والممدود ، للفراء:٥١، ومعجم تهذيب اللغة (حدأ): ٧٥٥/١، وتاج العروس (حدأ) :١٣٥/١.

(٢) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطورا،د. عبد الغفار هلال: ٣٧٤ـ٣٧٦، واللهجات العربية في التراث ، د. أحمد الجندي: ٦٩٢/٢ـ٦٩٤.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط (شيم):٥٠٤/١.

(٤) ينظر: اللسان(حرت) : ٢٤/٢.

١٨- ح ش ر ج (حَشْرَجَة) [ش ر ح ج شَرْحَجَة]

من المعلوم أنّ الحَشْرَجَة: تردّد صوت النَّفَس، وهي الغرغرة عند الموت ، وتردّد النَّفَس ، بحيث يُردّد صوت النَّفَس في الحلق، من غير أن يخرج باللسان .

على الرغم من وضوح لفظة (الحَشْرَجَة)، وإدراك معناها، إلا أنّ سبب ذكرها هنا: هو أنَّ الاستعمال الجازاني يجري عليها قلباً صوتياً ؛ فتظهر في ثوب غير ثوبها المألوف (شَرْحَجَة). وذلك مظهر من سنن العرب في قلب حروف الكلمة، مثل: جَذَبَ وجَبَذَ، بَكَلَ ولَبَكَ، طَمَس و طَسَمَ[1].

أما دلالتها في الاستعمال الجازاني ؛ فهي تلك الدلالة اللغوية المشار إليها في المعاجم، والكتب اللغوية السابقة الذكر ، المتضمنة إطلاق دلالة اللفظة على تلك الغرغرة عند الموت، وما يصاحبها من تردّد في النَّفَس.

١٩- ح م ل (الحَمِيلَة)

الحميلة مؤنث الحميل ؛ يقال: هي حميلة علينا ؛ أي: كَلّ وعيال[2]. وكل محمول حميل[3] ، ومنه قول عمر ﷺ في الحَمِيل: ((لا يُوَرَّثُ إلا ببيّنة)). سُمي حميلا، لأنه يُحمل من بلاده صغيرا ، ولم يولد في الإسلام))[4] ، فهو فَعِيل بمعنى مَفْعُول.

إنّ لفظة (الَحمِيلة) معروفة في الاستعمال الجازاني بنفس حروفها، وحركاتها في مصادرها الموثّقة، وقد غلبت دلالتها على الأخت، إذ تسمع من يقول: هذه حَمِيلتي، أي: أختي من والديَّ، أو من أحدهما، أو من الرَّضاع.وهي لا تُطلق أبدًا (في الاستعمال الجازاني) على الأُخت في الدِّين، وهي بهذه الدلالة موحية بمعاني تحمّل المسؤولية تجاهها، والقيام بصيانة عِرضها، وتأدية واجباتها (خاصة لو كانت ذات كلّ وعيال)، شأنها في ذلك شأن المكفول ، وشأن الصغير المحمول، وهي بذلك ذات تقارب دلالي كبير مع الاستعمال اللغوي المخصوص بها، الدال على المحمولة ذات الكلّ والعيال، والدالّ على الطفل الصغير المحمول، وهذه الدلالة قريبة من الاستعمال الجازاني المتضمن الأخت المحمولة،

---

(١) ينظر : الصحاح (حشرج):١/٢٧٠،وفقه اللغة ، للثعالبي:٤١١-٤١٢ ، والصاحبي:٢٠٨.

(٢) ينظر : القاموس المحيط (حمل): ١٢٧٧، والمعجم الوسيط (حمل):١/١٩٩.

(٣) ينظر : اللسان (حمل):١١/١٧٨.

(٤) غريب الحديث ، للهروي:١/٧١.

سواء أكانت ذات كلّ وعيال، أم غير متزوجة تتطلب القيام بشؤون حياتها، ومساعدتها في كل ما يُفهم منه حمل مسؤوليتها.

٢٠- ح و ك (حَوْك)

قال ابن بَزْرَج: ((حَوك، وحَوَك، وحَوُوكة؛ والمعنى: النساجات ؛ وهي الثياب بأعيانها، تقول: ضُرُوب من الحَوْك)) [١]. وقيل: الحَوْك: ما نُسج من ثياب [٢]، يقال: حاك الثوب حَوْكا وحِيَاكة: نَسَجَه ، فهو حائك [٣]. ويُقال: ((جاء يَحيك،ويتحايك ،ويتحيَّك، كأن بين رجليه شيئًا يفرج بينهما إذا مشى)) [٤]. والأولى في هذه اللفظة (حَوْك) مجيئها بالواو، قال المبرد (ت ٢٨٥هـ): ((حاك الشعر والثوب يَحُوكه ، كلاهما بالواو)) [٥].

إنّ هذه اللفظة (حَوْك) من الألفاظ المستعملة في العُرف الجازاني بنفس هيئتها الكتابية، والنطقية. أما دلالتها اللغوية فهي قريبة من دلالتها السابقة الذكر ، إذ عُرف (الحَوْك) في الاستعمال الجازاني: بأنه ذلك الإزار الذي يُستر به الجزء السفلي من الجسم فيما تحت البطن مباشرة،كما أنه يمكن استخدامه في التغطية به ، أو الاختباء ؛ ولذلك قيل: ((وتحوّك بالثوب: احتبى به)) [٦]. وقد كان ذلك هو السائد في العُرف الجازاني (خاصة وقت النوم)، إذ يُجعل (الحَوْك) غطاء للنائم ، أو المريض ، ومن في حكمهما.وبهذا تكون دلالة (الحَوْك) في الاستعمال الجازاني قريبة من مدلولها اللغوي الموضوع لها، حيث الدلالة على كون(الحَوْك) من المنسوجات، ومن الأرْدِية والثياب الملبوسة المستخدمة في التغطية ، وما في حكمها. أما وجه الاختلاف بينهما ؛ فإن (الحَوْك) يحمل مفهوما خاصًا في الاستعمال الجازاني يقيّده بما يُلبس أسفل البطن إلى منتصف الساقين ، أو فوق الكعبين ، بما يشبه إزار الإحرام (تقريبًا). ويغلب على (الحَوْك) في الاستعمال الجازاني كونه أبيض اللون. وقد تصاحبه هُدَب سُفلية.

---

(١) اللسان (حوك ، حيك) : ٤١٨/١٠.

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (حاك) :٢٠٨/١.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (حاك) ١٢١١، والمصباح المنير(حوك):٦٠.

(٤) اللسان (حوك حيك): ٤١٨/١٠.

(٥) اللسان (حوك حيك):٤١٨/١٠.

(٦) تاج العروس (حوك): ٥٤٩/١٣.

حرف الخاء:

٢١- خ ث ث (الخُثّ) [الخَثّ]

(الخُث): غثاء السيل إذا خلّفه ونضب عنه حتى يجف، وكذلك الطحلب إذا يبس وقَدُم عهدُه حتى يصير أسود [١]. ويقال: خثَّثَه، أي: جمعه، ورمَّهُ، وأصلحه. ويجمع الخُث على أخثاث [٢].

لقد جرى تغيير نطقي حركي على حرف الخاء من لفظة (الخُث)؛ إذ هي معروفة في الاستعمال الجازاني بفتح الخاء (الخَث)، ويُعد ذلك لحناً في نطق حركة ذلك الصوت؛ لأنه لم يرد بمثل ذلك في اللسان العربي، إلاإذا كان ذلك الصنيع جريا على الميل إلى الفتح في ألفاظ مشابهة لذلك. أما من حيث المفهوم الدلالي للفظة (الخُث)، فإنّ هناك شبه تقارب دلالي بين الاستعمال الجازاني لها، وبين مدلولها المشار إليه من قبل؛ إذ يغلب إطلاق لفظة (الخُث)، ومشتقاتها على من يقوم بجمع التراب، وإخراجه عن موضعه؛ كأن يكون حفرة (مثلا)، أو بئرًا غار ماؤها ونضب واحتاج إلى إزالة الترسّبات العالقة به.ويُلحظ أن هذا المفهوم لتلك اللفظة غير صريح في الدلالة الحقيقية لها، لكن من الممكن استنباط معنى الجمع عن طريق بعض الصيغ الاشتقاقية للفظة (الخُث) التي منها: مجيء دلالة (التخثيث) بمعنى الجمع [٣]، يقال: خثّثه، أي: جمعه، ورمّه، وأصلحه [٤]، كما أنه من الممكن استخراج متعلقات معنى الجمع من تراب، وغيره عن طريق المشابهة؛ إذ من الممكن عدّ غثاء السيل، والطحلب اليابس الجاف المسودّ بأنه مثل التراب، أو في حكمه.ولعلّ ذلك كله يوجد تقاربًا دلاليًا بين الاستعمال اللغوي الخاص باللفظة، وبين الاستعمال الجازاني، وذلك من خلال معنى الجمع، والرَّم والإصلاح [٥]؛ سواء أكان ذلك عن طريق جمع التراب، أم جمع مخلّفات السيول والأودية، أم عن طريق إصلاح الآبار (مثلًا)،وذلك بتنقيتها من الترسّبات والعوائق المسببة نضوب الماء فيها، أو قلّته.

---

(١) ينظر : اللسان (خثث) :٢/ ١٤٥. والمحكم (خ ث ث) : ٤/ ٥٠٨. والقاموس المحيط (خثث) : ٢١٥.

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (خثث) :١/ ٢١٨.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (خثث): ٢١٥.

(٤) ينظر : المعجم الوسيط (خثث):١/ ٢١٨.

(٥) ينظر : المعجم الوسيط (خثث):١/ ٢١٨.

٢٢- خ س ف (الخَسْف) [يَتَخَسَّف]

إنّ من دلالات (الخَسْف): الجوع ؛ يقال: بات القوم على الخَسْف ؛ أي: باتوا جياعًا ليس لهم شيء يتقوّتونه ، وكذلك باتت الدابة على خَسْف إذا لم يكن لها علف [١]؛ ومن ذلك قول الشاعر:

بتْنا على الخَسْف لارسْلٌ نُقات به *** حتى جعلنا حبال الرحل فُصْلانا [٢]

والخَسْف: الشُرب من غير أكل ؛ يقال: شربنا على الخَسْف ؛ أي: على غير أكل [٣]. والخَسْف (أيضاً): الجَوْز الذي يُؤكل ، واحدته خَسْفَة ؛ وهي شِجْرِيَّة [٤].

لقد غلب في الاستعمال الجازاني مجيء لفظة (الخَسْف) بالفعل المضارع (يَتَخَسَّفُ) ، وبالأمر (تَخَسَّفْ)، ولم يُستخدم (الخَسْف) بصيغته الكتابية ، والنطقية . وقد غلبت دلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني على كل من أكل أكلا جافًا من غير إدام، أو إضافات معه. كما يُطلق على مَنْ يأكل الطعام من غير شراب مصاحب له، مما يجعل المضغ يسيرا ، والبلع قليلا. ومثل هذه الدلالة ليست صريحة في كتب المعاجم المتناولة دلالة هذه اللفظة؛ ولكن ربما يمكن تقريب هذا المفهوم لتلك اللفظة بين المدلول المعروف لها، وبين المدلول في الاستعمال الجازاني ؛ ذلك لأنّ من معاني (الخَسْف): النُّقْصان [٥]، كما أن من معانيه (أيضًا) القَطْع ؛ يقال: خسف الشيء ؛ أي: قطعه [٦]. وقد شمل (الخَسْف) الأكل ، والشرب؛ إذ يُطلق على الجوز الذي يُؤكل ، والشُّرْب من غير أكل [٧]. وكأنّ في ذلك تقاربًا دلاليًا بين المفهومين ؛ لأن من أكل طعامًا جافا خاليا من المشهّيات ، والمقبّلات ، والإدامات (كما هو مدلول اللفظة في الاستعمال الجازاني) فإنّ ذلك في نظر الباحث يعد ضرباً من النقصان في طبيعة ذلك المأكول ، وفي وصفه،كما يُعد قطعا لشيء لم يجد الإنسان الآكل لهُ بداً من تناوله ، والرضابه؛ وهو بذلك يشبه ذلك الذي يأكل الجوز وحده.

---

(١) ينظر : اللسان (خسف) : ٩/٦٨-٦٩. وكتاب مجمل اللغة (خسف):٢١١.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر الأنباري ٢/٣٥.

(٣) ينظر : تاج العروس (خسف):١٦٦/١٢، والقاموس المحيط (خسف):١٠٣٩.

(٤) ينظر : اللسان (خسف) :٩/٦٩ ، والمحكم (خ س ف):٥/٨٥.

(٥) ينظر : المحكم (خ س ف):٥/٨٥.

(٦) ينظر : المعجم الوسيط (خسف):٢٣٤/١.

(٧) ينظر : القاموس المحيط (خسف):١٠٣٩.

٢٣- خ ط م (الخِطام) [الخُطام]

إن من دلالات (الخِطام): كل ما وضع في أنف البعير؛ ليقاد به[١]؛ وهو أن يُؤخذ حبل من لِيف، أوشعر، أو كتّان فيجعل في أحد طرفيه حَلْقَة، ثم يشد عليه الطرف الآخر حتى يصير كالحلْقة، ثم يقاد البعير به، ثم يُثنّى على مَخْطِميه[٢]. وقيل: (الخِطام): كل حبل يُعلق في حلق البعير، ثم يُعقد على أنفه، ويكون من جلد، أو ليف، أو صوف أو قِنّب[٣]. ويُجمع (الخِطام) على خُطُم[٤].

إنّ لفظة (الخِطام) تعد من المفردات الشائعة في الاستعمال الجازاني (خاصة عندما كان الترحال، ونقل الأثقال مقصوراً على الجمال، والنوق). وقد غلب ضم حرف الخاء (الخُطام)؛ إذ لا ينطق في الاستعمال الجازاني إلا بضم الخاء. ويُعد هذا التغيير الصوتي لحركة حرف الخاء من اللحن؛ إذ لم تشر المصادر، والمراجع اللغوية لمثل ذلك[٥]؛ إلا إذا كان ذلك مبررا من قبل حُب الميل إلى الضم؛ كما هو مألوف في بعض لغات العرب في ألفاظ مشابهة لذلك. أمّا التوظيف الدلالي؛ فقد غلب استخدام (الخِطام) في الاستعمال الجازاني على كل حبل يُقاد به البعير، ومن في حكمه من الجمال، والنوق؛ حيث يربط الحبل في الرقبة، ثم يُدار على الأنف أو الخرطوم[٦]، مع غلبة كون ذلك الحبل من لِيْف، أو شَعَر. وهذا يعني توافق دلالة (الخِطام) بين ما هو سائد في المصادر، والمراجع الموثّقة (السابقة الذكر)، وبين ما هو معروف في الاستعمال الجازاني. مع ملاحظة قبول الدلالة الأولى الناصة على كون ذلك الحبل المقاد به البعير كائناً في أنفه، وليس على رقبته (كما أشارت الدلالة الأخرى).

---

(١) ينظر: المحكم (خ ط م): د/ ١٢٨، واللسان (خطم): ١٨٧/١٢، وتاج العروس (خطم): ٢٢٢/١٦.

(٢) ينظر: تاج العروس (خطم): ٢٢٢/١٦، والنهاية (خطم): ٢٧٢، ومعجم تهذيب اللغة (خطم): ١٠٦١/١.

(٣) ينظر: تاج العروس (خطم): ٢٢٢/١٦، واللسان (خطم): ١٨٦/١٢، والمغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي: ١٤٩.

(٤) ينظر: اللسان (خطم): ١٨٦/١٢، ومعجم تهذيب اللغة (خطم): ١٠٦٠/١.

(٥) ينظر: الدلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر، د. جاسب فالح الرّبيعي: ٢٦/١.

(٦) ينظر: النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف: ٤٥٦/١.

٢٤- خ ف ع (خَفَعَ)

يقال: خَفَعَه بالسيف، أي: ضربه به[١]. والخَفْع: استرخاء المفاصل، والمصدر منه: خَفَعًا، وخُفُوعًا[٢].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (خَفَعَ) بصورتها النطقية، والكتابية من غير تحريف صوتي فيها، من ذلك المثل الجازاني (خفع عينه بيده)، أي: تسبّب في مضرّة نفسه[٣]. أما من حيث مدلولها اللغوي، فقد غلب إطلاقها في الاستعمال الجازاني على الضرب على العين خاصة، وإلحاق الأذى بها من عَوَر، أو قَلْع، يقال: خَفَعَ فلان عين فلان، أي: أصابه بأذى فيها، إما بتشويه صورتها، أو إذهابها من مكانها. وليس ذلك التخصيص من معاني تلك اللفظة، إلاّ إذا حُمل معنى إصابة العين، أو قلعها على التشبيه بقلع النخلة من أصلها،فقد روى أبو العباس عن ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) أنه قال: ((انجَعَفَت النخلة، وانخَفَعَت، وانقعرت، وتجوَّخت: إذا انقلعت من أصلها))[٤]. وإذا كان هذا التعليل (في إجراء المشابهة بين قلع الشجرة، وقلع العين) مقبولًا ،فإن ذلك يعد تقريبا لدلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني، بعد إضافة معنى الضرب إليها، لأن دلالة (خَفَعَ) في الاستعمال الجازاني تدل(أيضا) على الضرب، يقال: فلان خَفَعَ فلانا بالعصا، أي: أصابه بها، وضربه.

٢٥- خ و س خ ي س (خَوَسَ، خَيَسَ) [خ و ز خَوَزَ]

يقال: خَاسَ فلان بعهده يَخِيْس ويَخُوس، أي: غدر به، ونكث[٥]، وخَاسَ فلان بوعده يَخِيْس، أي: أخلف[٦]، ومن ذلك حديث معاوية ﷺ: ((أنه لما كتب إلى الحسين بن علي: أني لم أَكِسْكَ ولم أَخِسْكَ))[٧]، أي: لم أُخْلِفْك وأَخُنك وأُهِنك[٨]، ومنه قول الشاعر:

فيارب إن خاستْ بما كان بيننا *** من الودّ فابعث لي بما فَعَلَتْ نصرا[٩]

---

(١) ينظر: كتاب مجمل اللغة (خفع): ٢١٩،والقاموس المحيط (خفع):٩٢١.
(٢) ينظر: تاج العروس (خفع) :١١/ ٩٩، والقاموس :٩٢١.
(٣) ينظر: النتاف في الأمثال السائرة في المخلاف:٢/ ٦١٤.
(٤) معجم تهذيب اللغة (خفع) :١/ ١٠٦٧.
(٥) ينظر: تاج العروس (خوس) : ٨/ ٢٧١، والصحاح (خيس) :٢/ ٧٨٣، واللسان (خيس) :٦/ ٧٥.
(٦) ينظر: اللسان (خيس) :٦/ ٧٥.
(٧) النهاية (خيس) :٢٩١.
(٨) ينظر: المجموع المغيث (خيث):١/ ٦٢٩، والنهاية (خيس) :٢٩١.
(٩) ديوان ابن الدمينة ٢٠١، والزاهر في معاني كلمات الناس:٢/ ٤٠.

وخاس فلان بفلان، أي: أعطاه أنقص مما وعده به[1].

لقد جرى تغيير صوتي على حرف السين من لفظة (خَوَسَ، خَيَس) في الاستعمال الجازاني ؛ إذ حلّت الزاي محلها (خَوَز)، مع بقاء المدلول اللغوي. ويُعد مثل ذلك الصنيع في إجراء تبادل صوتي بين حرفي السين، والزاي من قبيل التبادل اللغوي؛ فقد سمع عن العرب: مكان شَأْس وشَأْز ؛ أي: غليظ، وخَزَقَه بالرمح وخَسَقَه، أي: طعنه طعنا خفيفا[2]. والذي سوّغ مثل ذلك التبادل الصوتي بين حرفي السين، والزاي: تلك العلاقة الصوتية المخرجية بينهما؛ إذ مما بين طرف اللسان، وفويق الثنايا: مخرج الزاي، والسين، والصاد [3]. كما أن السين: صوت أسناني ، لثوي، احتكاكي، مهموس، مرقق، والزاي: صوت أسناني ، لثوي، احتكاكي، مجهور، مرقق [4]. أما المدلول اللغوي لـ(خَيَسَ ، خَوَسَ ، خَوَزَ) فواحد؛ إذ تسمع الجازاني يقول لمن أخلف وعده، ونقض ونكث عهده، أو غيّر صورة ما اتّفق عليه: لقد خَاوَزَ فلان ، أو فلانة خاوَزَت. وذلك هو المدلول المعروف لتلك اللفظة (كما سبقت الإشارة إليه من قبل).

* * *

---

(1) ينظر : المعجم الوسيط (خاس) :١/٢٦٥.

(2) ينظر : كتاب الإبدال ، لأبي الطيب ٢/١٠٧، ١١٢.

(3) ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٣.

(4) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل :١٦٣.

حرف الدال:

٢٦- د ح س (دَحَسَ)

الدَّحْس: ((إدخالك يدك بين جلد الشاة وصِفَاقِها، لتسلخها))[1]، ومنه في حديث سلخ الشاة: ((فَدَحَسَ بيده حتى توارت إلى الإبط ، ثم مضى وصلى ولم يتوضأ)) ، أي: دسّها بين الجلد واللحم كما يفعل السلاّخ))[2]. ودَحَسَ الثوب في الوعاء يَدْحَسُهُ دَحْساً أي: أدخله[3]، يقال: دحس الشيء في الشيء ، إذا أدخله فيه[4]. ودَحَسَ بين القوم دَحْساً: أفسد . ودَحَسَ الصفوف: زاحمها بالمناكب[5]. ودَحَسَ في الأمر: طلب خَفِيّ عِلْمه[6].

تُعدّ لفظة (دَحَسَ) من المفردات الموافقة للاستعمال الجازاني ، من حيث أصواتها الثلاثية ، وحركاتها النطقية ، وهذا يعني التوافق الصوتي لتلك اللفظة بين وضعها الحقيقي ، والاستعمال الجازاني. وليس الأمر كذلك فحسب ، بل قد جاء التوافق الدلالي بينهما في كلا الاستعمالين، إذ تدل لفظة (دَحَسَ) في الاستعمال الجازاني على مطلق الإدخال،سواء أكان ذلك عن طريق إدخال اليد أثناء سلخ الشاة ونحوها، أم عن طريق إصابة الجسم بالعصا ونحوها، أم في حالة اقتحام الصفوف. وهذا يدل على توسيع مجال دلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني ، إذ هي ليست خاصة بإدخال اليد في جلد الشاة أثناء سلخها فحسب، بل هي شاملة جميع حالات الإدخال المفهومة من المدلول اللغوي: دَحَسَ الشيء في الشيء ، أي: أدخله فيه [7]، ودَحَسَ الثوبَ في الوعاء ، أي: أدخله[8].

---

(١) الجمهرة (دحس) : ٥٧٧/١ . وكتاب مجمل اللغة (دحس): ٢٥٩.

(٢) النهاية (دحس): ٢٩٩، واللسان (دحس): ٧٦-٧٧.

(٣) ينظر : اللسان (دحس): ٧٧/٦، والتكملة والذيل والصلة (د ح س): ٣٤٤/٣.

(٤) ينظر : المعجم الوسيط (دحس) : ٢٧٢/١.

(٥) ينظر : التكملة والذيل والصلة : ٣٤٤/٣.

(٦) ينظر : كتاب الأفعال . لابن القوطية: ٢٧٤، وكتاب العين (دحس) : ٢٨٢.

(٧) ينظر : المعجم الوسيط (دحس) : ٢٧٢/١.

(٨) ينظر : اللسان (دحس): ٧٧/٦.

٢٧- د ر س (دَرَسَ)

يقال: دَرَسَ الطعام يَدْرُسُه دَرْساً ؛ أي: داسه ؛ وهي لغة يمانية. ودُرِس الطعام يُدرس دِرَاسا ؛ وذلك إذا دِيس ، ودَرَسُوا الحنطة دِرَاسا ؛ أي: داسوها[1]، وأغلب ذلك عند أهل الشام ؛ إذ يقولون: دَرَسْتُ الطعام ؛ بمعنى: دُسْتُه[2]. والدَّرْس: الأكل الشديد[3].

لقد شاع في الاستعمال الجازاني اشتقاق اسم المكان (مَدْرَس) (على وزن مَفْعَل) من الفعل (دَرَسَ)؛ من ذلك المثل الجازاني (شَرِيَّة انكفتْ في مَدْرَس)؛ وهو مثل يُضرب لما لا مطمع فيه لحقارته[4]. وهو للدلالة على الموضع الذي يكثر فيه أكل البهائم لما يقدم لها من علف، وزرع، وقصب، ويحدث بسبب ذلك تراكم لتلك الثمار، والزروع المأكولة كلما تقدم الزمن ، وكثر العطاء. ولكن بحكم ما يحدث من دَوْس، وفرط حركة من تلك البهائم والمواشي لتلك الثمار، فإنها لا تعدو حوافرها، وأقدامها.ولعلّ مثل ذلك المعنى المراد للفظة (المَدْرَس) في الاستعمال الجازاني يكون مقبولاً في المفهوم المعجمي عن طريق دلالة لفظة (دَرْس) على الأكل الشديد، ودلالة لفظة (دَرَسَ) على الطعام، والأكل الذي دِيْسَ. وبذلك يكون هناك تقارب دلالي بين لفظتي: (دَرَسَ، مَدْرس) ؛ عن طريق دلالتهما على الطعام الذي دِيْسَ بعد أن تم أكله؛من باب المجاز المرسل الذي يُطلق فيه الحالّ،ويُراد المحِل.

٢٨- د ع م ص (دُعْمُوص) [ق ع م ص قَعْمُوص]

الدُّعْموص: ((دُوَيْبَّة ، أو دودة سوداء تكون في الغُدْران إذا نَشَّت))[5]، ودُوَيبَّة صغيرة تكون في مستنقع الماء ، أو تغوص فيه[6]، و((دودة لها رأسان، تراها في الماء إذا قلّ))[7]، ومن ذلك ما ورد في حديث الأطفال: ((هم دَعاميص الجنة؛ الدعاميص: جمع دُعموص؛

---

(١) ينظر : اللسان (درس):٦/ ٧٩-٨٠. والمحكم (درس):٨/ ٤٥٠. وتاج العروس (درس):٨/ ٢٨٢.

(٢) ينظر : الجمهرة (درس) : ٧٤١/١.

(٣) ينظر : السان (درس): ٦ /٧٩-٨٠.

(4) ينظر : النتاف :٢/ ٨٠٤-٨٠٥.

(٥) القاموس المحيط (دعمص):٧٩٩. وتاج العروس (دعمص):٩/ ٢٨٢.

(٦) ينظر : اللسان (دعمص):٧/ ٣٦.

(٧) تاج العروس (دعمص):٩/ ٢٨٢.

وهي دويّة تكون في مستنقع الماء))[1]. والدّعاميص قد تطير حينا بلا أجنحة، ثم تصير بعوضا وفراشا[2]. ويجمع (الدُّعموص) على دَعَاميص، ودَعَامِص[3]، ومنه قول الأعشى:

أتُوعدني أن جاشَ بحرُ ابنِ عمكم *** وبحرُك ساجٍ لا يُواري الدَّعَامِصَا[4]

لقد جرى تغيير صوتي على حرف الدال من لفظة (دُعموص) في الاستعمال الجازاني؛ حيث يُنطق حرف الدال المضمومة قافاً مفتوحة (قَعموص)، وذلك من قبيل الإبدال اللغوي بين حرفي الدال والقاف (دُعموص، قَعموص)، لأن لفظة (قُعْمُوص) في حالة عدم إبدال قافها دالا تدل على الكَمْأة، وذي البَطْن[5]، وذلك في لغة أهل اليمن[6]. ومن أمثلة ذلك الإجراء التبادلي بين القاف، والدال قولك: السَّهْوَد والسَّهْوَق؛ بمعنى: الطويل، وخطيب مِصْقَع ومِصْدَع، بمعنى: الفصيح البليغ[7]. وقد سوّغ حدوث الإبدال اللغوي في تلك الأمثلة كلها: التقارب المخرجي، والتوافق الوصفي؛ إذ من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى: مخرج القاف، ومما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا: مخرج الطاء، والدال، والتاء. أما التوافق الوصفي بينهما؛ فسببه كون القاف، والدال من الأصوات المجهورة[8].أما فتح القاف (قَعموص) في الاستعمال الجازاني فيعد لحناً؛ لأنه لم يرد في (دُعموص) إلا الضم فقط[9]؛ إلا إذا صحّ قياس اللفظة على تلك الألفاظ التي تميل إلى الفتح في لغات العرب.أما التوظيف الدلالي، فإن لفظة (قَعْمُوص) دالة على ما دلت عليه لفظة (دُعموص)؛ إذ هي في الاستعمال الجازاني دويبة سوداء تكون في مستنقع الماء، وفي خارجه. وأكثر وجودها في المواضع التي يَجِفّ الماء عنها، وتصبح في حكم اليابسة (خاصة الرّمل الناعم المبلول). أما الدعاميص التي لها أجنحة وتطير، فإنه يُطلق عليها في

---

(1) النهاية (دعمص): ٣٠٦.

(2) ينظر: كتاب الحيوان: ٢/٢٤٤.

(3) ينظر: اللسان (دعمص):٧/٣٦.

(4) شرح ديوان الأعشى: ١٢٠.

(5) ينظر: القاموس المحيط (قعمص): ٨١٠، ودلالة الألفاظ اليمانية: ٧٩.

(6) ينظر: في اللهجات العربية. إبراهيم أنيس:٢٨٢.

(7) ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطيب:١/٣٨٤.

(8) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٣-٤٣٤.

(9) ينظر: تاج العروس (دعمص):٩/٢٨٢.

الاستعمال الجازاني (القعاميص النفّارة). وعلى هذا ؛ فإنّ هناك توافقاً دلالياً بين لفظتي (دُعْمُوص) في الاستعمال اللغوي الخاص بها، ولفظة (قَعْمُوص) (المبدلة دالها قافًا في الاستعمال الجازاني).

٢٩- د ك ك (الدَّك) [الدُّكاك]

يقال: دُكَّ الرجل (على صيغة مالم يسم فاعله) فهو مدكوك ؛ وذلك إذا دكّته الحُمّى . وأصابه مرض. ويقال: دكّته الحُمّى دكا ؛ أي أضعفته[1].

لقد اشتق من لفظة (دَكَّ) في الاستعمال الجازاني لفظة (الدُّكاك) التي هي على وزن فُعال، مثل: السُّعَال. ونحوه (مع أن لفظة الدكاك غير معروفة في كتب المعاجم بهذه الصورة).أما التوظيف الدلالي لها، فإنها لم تُستخدم في الاستعمال الجازاني إلا على وصف المريض الذي أصابته الحمى وأخذت منه كل مأخذ. وهدّه الوجع والمرض، مع زيادة معنى استشعار التخيّلات، إذ تلازمه الكوابيس والأحلام المزعجة، وربما صاحب ذلك الحركات الانفعالية، والصرخات غير الإرادية، وذلك إذا نهشته الحمّى، وانتابه الألم. وتلك كلها دلالات مُؤْذِنة بالتقارب الدلالي الكبير بين المفهوم اللغوي للفظة (الدَّك)، وبين الاستعمال الجازاني للفظة (الدُّكاك) المشتقة منها على غير ذكر في المعاجم اللغوية، إذ هما متقاربان تقاربا دلاليا كبيرا في معنى تمكّن الحُمّى من الشخص، واستسلامه للمرض، وظهور علامات الضعف عليه. أما دلالة حدوث التخيلات والتوقعات المنامية، والأحلام المزعجة، والرعب والخوف، فإن ذلك خاص بالاستعمال الجازاني ، مع أنه من الممكن حصول مثل ذلك في حالات ارتفاع الحُمّى، وزيادة المرض، ونشوء الضَّعف .

٣٠- د هـ ف (دَهَفَ)

لقد عرض محمد بن إبراهيم الفضلي لفظة (دَهَفَ) في كتابه: (أصالة لهجة منطقة جازان)، وذكر لها معاني: العطاء الكثير، وزيادة الكيل أو الوزن، وأخذ الشيء أخذا كثيراً[2]. ويود الباحث إضافة معنى السير المتواصل، والفعل المتكرر، إذ تسمع الجازاني يقول: دَهَفَ فلان، وفلان دَهِيْفُه ، وادْهَفْ في عملك، وهم يقصدون بذلك: مواصلة المشي، والسير في سرعة ، وعجلة، والمُضيّ في إنجاز العمل من غير تباطؤ، أو كسل. وذلك

---

(١) ينظر : اللسان (دكك): ٤٢٦/١٠، والمحكم (د ك ك):٦٤٨/٦. وتاج العروس (دكك):٦٠/١٣د.

(٢) ينظر : كتابه: ١٦٤.

المعنى المراد في الاستعمال الجازاني له ما يعضده. ويسنده في الدلالة المتعلقة بلفظة (دَهَفَ)، ومشتقاتها ؛ إذ (الداهف): المُعْيِي من طول السير، مؤنثه الداهِفَة [1]، جاء في النوادر: جاءت هادفة من الناس وداهفة: بمعنى واحد[2]، ومنه يقال: إبل داهفة ؛ أي: مُعْيِيَة من طول السير ؛ قال صخر الهذلي:

فما قَدِمَتْ حتّى تواتر سيرُها *** وحتّى أُنيخت وَهي داهفةٌ دُبْرا [3]

وبذلك يحدث تقارب بين معنى لفظة (دَهَفَ، دَاهِف) في الاستعمال اللغوي الخاص بها، والاستعمال الجازاني، وذلك بالتوافق في معنى التعب الناتج عن طول السير، وما في حكمه. أما المعاني الدلالية الأخرى السابقة الذكر التي ذكرها الفضلي، فإنه يُفهم منها الزيادة في الفعل ؛ سواء أكان ذلك عن طريق: العطاء الكثير، أم زيادة الكيل والوزن، أم أخذ الشيء أخذًا كثيرًا.

٣١- د و غ (دَوْغَة)

قال ابن الفَرَج: (ت٣٥٦هـ) ((سمعتُ سليمان الكلابي يقول: (داغ القوم وداكوا ؛ إذا عمّهم المرض، والقوم في دَوْغة من المرض ودَوكَة ؛ إذا عمهم وآذاهم)))[4]. وقيل: ((أصابتنا دَوْغَة ؛ أي: بَرْد)). وقال أبو سعيد: ((في فلان دَوْغَة، ودَوْكَة ؛ أي: حُمق)) [5].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (دَوْغة) حسب رسمها الكتابي، ونطقها الصوتي ، دون زيادة أو حذف. أما مفهومها الدلالي ؛ فإن هناك أوجه شبه بين دلالتها اللغوية (المشار إليها من قبل)، وبين دلالتها في الاستعمال الجازاني؛ إذ تُطلق (الدَوغة) في الاستعمال الجازاني على اختلاط الأصوات، وعلوّ نَبْرَتها، وعلى تشابك الأحداث، وعدم وضوحها.ويظهر أنّ مثل ذلك المدلول في الاستعمال الجازاني هو نتيجة حتمية لتلك المظاهر، والحالات المرتبطة بدلالات (الدّوْغَة)، إذ لا عجب أن ينجم عن شدة وطأة المرض إصدار أصوات مختلفة من المريض، وأنّات وزفرات صاعدة منه، ناهيك عن اختلاط أصوات مَنْ عنده، كما أنه لا غرو في حالة تمكّن الحُمق من الأحمق أن يضيق

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (دهف): ١٠٤٨، والمعجم الوسيط (دهف): ١/ ٣٠٠.

(٢) ينظر: معجم تهذيب اللغة (دهف): ٢/ ١٢٤٢.

(٣) ينظر: اللسان (دهف) ٩/ ١٠٨.

(٤) اللسان (دوغ): ٨/ ٤٢٥، وتاج العروس (دوغ): ١٢/ ١٨، والقاموس المحيط (دوغ): ١٠٠٩.

(٥) اللسان (دوغ): ٨/ ٤٢٥.

بالناس ذرعاً؛ فتفلت منه ألفاظه . ويهيج لسانه بأصوات متشعّبة. وربما يكون الحال مع ذلك المقروء الذي نهشه البرد؛ فاصتكّت أسنانه، وارتجفت فرائسه وجنانه. وبذلك يحدث شبه تقارب دلالي للفظة (دَوْغة) بين استعمالها اللغوي الموضوع لها. وبين الاستعمال الجازاني؛ لأن مجموع دلالات اللفظة الخاصة بها تحتمل حدوث ضَجّة صوتية كلامية، وانفعالات وتصرّفات قد تكون عشوائية؛ سواء كانت الحالة مَرَضِيّة، أم بَرْدِيَّة، أم حُمْقِيَّة. وكأنّ في ذلك مجازاً مرسلا؛ إذ أشارت المراجع اللغوية إلى السَّبب؛ وهو المرض، وأشار الاستعمال الجازاني إلى المُسَبَّب؛ وهو حدوث الأصوات، ونشوء الانفعالات والحركات.

* * *

حرف الذال:

٣٢- ذ ر ب (ذِرْبَة)

الذِرْبَـة: الداهيـة[١]، والذِّرْبـة: السليطة اللسـان[٢]. والتـذريب: حمـل المـرأة ولـدها الصغير حتى يقضي حاجته[٣].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (ذِرْبَة) بهيئتها الشكلية، وأصواتها الكتابية، إلا أنه لم يُكتب لها النصيب الوافر من دلالتها اللغوية (السابقة الذكر)، حيث تُطلق دلالة لفظة (ذِرْبَة) في الاستعمال الجازاني على مجموع أولاد الشخص وبناته، حيث يقال: هذه ذِرْبَة فلان، وقطعها الله من ذِرْبَة، والمراد بذلك: خِلْفَة الإنسان الذي أنجب، وكثر نَسْلُه. وتلك الدلالة للفظة (ذِرْبة) في الاستعمال الجازاني ليست دالة على ذلك المفهوم اللغوي لها، إلا أن يُعبّر عن مقتضيات تلك الدلالة المشار إليها في المعاجم، والكتب اللغوية التي أشارت إلى أن (التذريب): حمل المرأة طفلها الصغير حتى يقضي حاجته. وواضح أن صيغة (التذريب) غير صيغة (الذِربَة). وبهذا يحدث التباعد الدلالي لتلك اللفظة (الذِرْبَة) بين الاستعمال اللغوي الموضوع لها، وبين الاستعمال الجازاني.

٣٣- ذ هـ ن (ذَهِنَ)

يقال: ذَهِنَ ذَهَنًا، أي: فَطِن الشيء، وفهمه، وعقله، وهو ذَهِن، وهي ذَهِنة[٤]. و(الذِّهن): الفهم، والعقل، وحفظ القلب، يقال: ذَهِنتُ كذا وكذا، أي: فهمتُه، وذَهَنْتُ عن كذا، أي فهمتُ عنه[٥]. وذاهنني فَذَهَنْتُه، أي: فاطنني فكنتُ أجود منه ذِهنًا، وهو مذهون[٦]. وذَهَنني عنه، وأذْهَنَني، واستذهنني، أي: أنساني، وألهاني[٧].

---

(١) ينظر: المحكم (ذرب): ٦٦/١٠.

(٢) ينظر: القاموس المحيط (ذرب): ١٠٩.

(٣) ينظر: معجم تهذيب اللغة (ذرب): ١٢٧٦/٢، وتاج العروس (ذرب): ٤٩٧/١، والقاموس المحيط (ذرب): ١٠٩.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (ذهن): ٣١٧/١.

(٥) ينظر: اللسان (ذهن): ١٧٤/١٣، ومعجم تهذيب اللغة (ذهن): ١٢٩٩/٢.

(٦) ينظر: تاج العروس (ذهن): ٢٢٤/١٨.

(٧) ينظر: القاموس المحيط (ذهن): ١٥٤٧.

لقد حصل التوافق الصوتي، والدلالي للفظة (ذَهِن) بين ما حوته المصادر اللغوية الموثّقة، وبين ما اكتسبه الاستعمال الجازاني منها؛ إذ هي في العرف الجازاني (ذَهِن) بتمام صورتها الكتابية، والنطقية. أما دلالتها اللغوية فإنها تتضمن الموافقة المعنوية؛ فكما يقال في الاستعمال الجازاني: رَجُل ذَهِن، وقد ذَهِن فلان بعد استيقاظه من نومه؛ فإنه يقال أيضاً في المعاجم اللغوية: رجل ذَهِن، وذِهْن (على النسب فيهما)[1]. والمراد من الاستعمالين السابقين: الدلالة على الفهم، والعقل، وحفظ القلب، والفطنة. ومثل هذا المعنى معروف في اللهجة اليمنية (أيضًا)؛ إذ يقال: ذَهِنَ فلان من نومه فهو ذَاهِن؛ أي: استيقظ فهو يقظان. والذَّاهِن هو الفَطِن المنتبه المتيقّظ للأمور[2].

* * *

---

(١) ينظر: اللسان (ذهن): ١٣/١٧٤.

(٢) ينظر: المعجم اليمني في اللغة والتراث (ذ هـ ن): ٣٣٢.

حرف الراء:

٣٤- ر ب ت (الرَّبت)

الرَّبت: ضرب اليد على جنب الصبي قليلاً لينام[١]، يقال: تُرَبِّتُ المرأة صبيّها، أي: تضرب بيدها على جنبه قليلا حتى ينام، ومنه قول الشاعر:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة *** بِحَرَّة ليلى حيث رَبَّتني أهلي [٢]

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (الرَّبت) من غير تحريف لحروفها، ونطقها. وقد جاء ذلك الاستعمال لتلك اللفظة متماشيًا مع الدلالة اللغوية لها، حيث تُطلق لفظة (الرَّبت) على كل من يضرب بيده ضربا خفيفاً على جنب الطفل، كي ينام، أو يهدأ (خاصة أمه)، كما أنها تدل في الاستعمال الجازاني على من أخذ إنسانًا، وما في حكمه ثم ضرب به على الأرض بصورة عشوائية، أو بطريقة فيها قوة، فيقال على سبيل المثال: إنّ فلانًا رَبَتَ بفلان على الأرض، أورَبَتَ بذلك المتاع وذلك الشيء على الأرض. ويُلحظ أنّ تلك الدلالات كلها لا تخلو من ملازمة حالة الضرب للفظة (الرَّبت)، إلا أنّ درجة الضرب متفاوتة بين من تريد نوم طفلها وتهدئته، وبين من يودّ إلحاق الأذى بالمربوت به. ومن هنا يحدث التقارب الدلالي الكبير لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي الخاص بها، وفي الاستعمال الجازاني المقْتَبس من دلالتها.

٣٥- ر د م (الرَّدم)

الرَّدْم: سدّك باباً كله، أو ثُلْمة، أو مَدْخلًا، ونحو ذلك.[٣] والرَّدْم (أيضًا): ما جُعل بعضه على بعض حتى يتّصل، سواء أكان من حجارة، أم تراب، أم نحوهما، حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، وبه فُسر (الرَّدْم) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٤]. وقيل: إنّ (الرَّدْم): سدّ الخلل مطلقاً[٥]، يقال: ردمتُ الباب، والثُلمة، وغيرها أرْدِمها (بالكسر) ردماً، أي: سددتُها[٦].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط ربت): ١٩٤، وتاج العروس (ربت): ٥٣/٣، والمعجم الوسيط (ربت): ٣٢١/١.

(٢) ينظر: أساس البلاغة (ر ب ت): ١٥٠.

(٣) ينظر: اللسان (ردم): ٢٣٦/١٢، ومعجم تهذيب اللغة (ردم): ١٣٩٥/٢.

(٤) ينظر: فتح القدير، للشوكاني: ٣٨٨/٢، سورة الكهف، الآية (٩٥).

(٥) ينظر: روح المعاني، للألوسي: ٥٧/١٥، سورة الكهف، الآية (٩٥).

(٦) ينظر: فتح القدير: ٣٨٨/٢، سورة الكهف، الآية: (٩٥)، وكتاب الأفعال، لابن القطاع: ١٨/٢.

لقد جاء وزن مِفْعَال (مِرْدَام) في الاستعمال الجازاني مخالفاً لأوزان اسم المكان ؛ لأن الوزن ليس من أوزان اسم المكان[1]. وكأنهم أرادوا بذلك اشتقاقه من لفظة (الرَّدْم). أما الجانب الدلالي لهما؛ فإن هناك تقارباً دلالياً في بعض مدلولات (الرَّدْم) (السابقة الذكر)؛ إذ يُعرف (المِرْدَام) في الاستعمال الجازاني: بأنه ذلك الموضع المرتفع ارتفاعاً يسيرًا عند مدخل البيت ، سادّا بذلك الفراغ بين جانبي الباب ، بما يُمثّل حماية لما في داخل ذلك البيت من أن يصله ماء ونحو ذلك، كما أنه يمثل حدًا فاصلا بين خارج البيت ، وداخله.ويكون من الطين، أو الرمل ، أو الاسمنت، أو الحجارة (حسب طبيعة البيئة)؛ حيث يُوضع بعضه على بعض في صورة متّصلة، حتى يصل إلى الموقع المخصص له، مع مراعاة عدم إعاقة حالات الدخول والخروج لذلك المكان.ومثل هذه الدلالات لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني قد حفلت بها المصادر اللغوية؛ حيث أشارت (كما اتضح من قبل) إلى أن من دلالات (الرَّدْم): سدّ مدخل الباب ، أو سدّ الخلل مطلقاً، وأنه يكون من حجارة ، أو تراب ، أو نحوهما، وينتج عن ذلك: حجاب منيع عن طريق جعل بعضه على بعض ، في صورة متصلة يتحقق من خلالها الهدف، وبذلك يحدث التقارب الدلالي الكبير بين الاستعمالين لتلك اللفظة.

٣٦- ر غ ث (رَغُوث)

تطلق لفظة (الرَّغُوث) على كل مُرْضِعة ؛ إذ تطلق على المرأة المرضع ، وعلى ولدها، وعلى الشاة المرضع ، وعلى الإبل[2]، وعلى أولادهم ، وعلى غير ذلك من أنواع البهائم [3] ؛ ومن ذلك قول طرفة:

فليت لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو *** رَغُوثاً حول قُبتنا تخورُ [4]

وقيل: إن (الرَّغُوث) من الضأن خاصة[5]، وتجمع الرَّغوث على رِغَاث[6].

---

(١) ينظر : النحو الوافي :٣/ ٣٣٢.

(٢) ينظر : اللسان (رغث):٢/ ١٥٣، والمحكم (ر غ ث):٥/ ٤٨٥، وكتاب مجمل اللغة (رغث):٢٩١.

(٣) ينظر : المحكم (ر غ ث) : ٥/ ٤٨٥.

(٤) ينظر: ديوانه :٤٨.

(٥) ينظر : اللسان (رغث):٢/ ١٥٣، وتاج العروس (رغث):٣/ ٢١٧.

(٦) ينظر : معجم تهذيب اللغة (رغث):٢/ ١٤٣٢، والمحكم (رغ ث):٥/ ٤٨٥.

من الألفاظ المتداولة في الاستعمال الجازاني: لفظة (الرَّغُوث) التي لم يطرأ عليها تغيير، أو تبديل صوتي، أو حركي. أما التوظيف الدلالي لها؛ فإنه قد غلب إطلاق لفظة (الرَّغُوث) على الناقة التي وضعت مولودها، ولم تزل تُرضعه. وذلك المدلول خاص بها دون غيرها من الحيوانات، والبهائم؛ إذا لا تسمع في الاستعمال الجازاني من يصف المرأة المرضع، أو الشاة، أو البقرة، وغيرها بـ الرَّغُوث. ولعل تخصيص تلك الدلالة بالناقة المرضع وحدها مستفاد من إشارة المعاجم اللغوية إلى أن لفظة (الرَّغُوث) قد استعملها بعض العرب في الإبل[1]. وبهذا يحدث تقارب دلالي كبير لتلك اللفظة بين الاستعمال اللغوي لها، وبين الاستعمال الجازاني.

٣٧- ر ق ل (تَرْقِل)

الإرقال: ضرب من العَدْو فوق الخَبَب، يقال: أَرْقَلَت الناقة تُرْقِل إرقالاً، فهي مُرْقِل ومِرْقَال، أي: أسرعت، وأَرْقَل القومُ إلى الحرب إرقالا، أي: أسرعوا[2]، ومنه قول طرفة:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره *** بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تروحُ وتغتدي[3]

والرَّقْلة: النخلة التي فاتت اليد[4].

إنّ الفعل (تُرْقِل) معروف في الاستعمال الجازاني هو ومشتقاته: مثل: الرَّقْلَة، والإرْقال، مع إجراء تغيير حركي طفيف يظهر في نطق تاء الفعل المضارع مفتوحا، ونطق القاف مضموماً (تَرْقُل). وليس لهذه الصيغة ذكر في الكتب المعجمية، واللغوية. أما التوظيف الدلالي لتلك اللفظة (تُرْقِل) في الاستعمال الجازاني؛ فإنه غير متطابق تطابقاً تاماً مع ما نصّت عليه الدلالة السابقة المستقاة من المصادر والمراجع المعتمدة؛ إذ غلب إطلاق تلك اللفظة في الاستعمال الجازاني على كل من في حركته اضطراب، أو خلل؛ سواء أكان إنسانًا سائرًا، أم جمادًا في حركته متعثّرا؛ فيقال في مثل ذلك: إنّ ذلك الماشي يَرْقُل في سَيْره، وتلك العَجَلَة تَرْقُل في سرعتها، أو فيها رَقْلَة. والمراد في الحالين: تصوير حالة الاضطراب، والخلل. وهذا التوظيف الدلالي للفظة مستعمل في

---

(١) ينظر: اللسان (رغث):٢/١٥٣، والمحكم (رغ ث):٥/٤٨٥.

(٢) ينظر: اللسان (رقل): ١١/٢٩٣، والنهاية (رقل):٣٧٢، والمجموع المغيث (رقل):١/٧٩٠.

(٣) ينظر: ديوانه ٢٢.

(٤) ينظر: اللسان (رقل): ١١/٢٩٣، والقاموس المحيط (رقل): ١٣٠٢.

اللهجة اليمنية (أيضًا)؛ إذ يقال: رَقَلَ الإنسان يَرْقُل ؛ إذا هو خاف واضطرب وارتعد. والباب يَرْقُل والنافذة تَرْقل ؛ وذلك إذا اهتزا . وسُمع لهما صوت. والرَّقْلَة: الاهتزاز. والاضطراب. وعدم الاستقرار في المكان[1]. ومن الممكن تقريب ذلك المفهوم في الاستعمال الجازاني ؛ ليقترب من الدلالة اللغوية لتلك اللفظة؛ إذ يُلحظ أن من دلالات (تُرْقِل. الرَّقْلَة): الإسراع في السير. فوات النخلة عن مستوى قبضة اليد، بما يدل على طولها وتجاوزها. ويُفهم من مثل تلك المعاني: حدوث الاضطراب. واختلاف الحركة. (خاصة لو كان الموصوف بتلك الحالة ذلك الإنسان الذي يرقل في سيره ؛ فيسرع فيه،ويجدّ في ذلك)[2]. وبهذا يحدث، تقارب دلالي بين الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني القريب منه في دلالته، والقريب من الدلالة اليمنية (أيضًا).

٣٨- ر ه ا (الرَّهِيَة)

الرَّهِيَة: بُر يطحن بين حجرين ، ويُصب عليه لبن ؛ ويكون بذلك قد ارتهى[3]. ويقال للجماعة: ارتَهَوْا ؛ أي: أخذوا السنبل فدلكوه بأيديهم . ثم دقّوه وألْقَوْا عليه لبنًا . فطُبخ ؛ فتلك الرَّهِيَّة[4].

إنّ لفظة (الرَّهِيَة) من الألفاظ المعروفة في الاستعمال الجازاني ، مع إحداث بعض التغيرات الحركية على حرفي الراء والهاء؛ إذ تنطق (رِهْيَة) (بكسر الراء . وسكون الهاء). ويُعد ذلك لحنًا ؛ لأنّ ذلك لم يرد في اللسان العربي؛ إلا إذا عُلل ذلك بالجنوح إلى الكسر،قياسا على ألفاظ مشابهة. أما الاستعمال الدلالي للفظة (الرَّهِيَة) في العرف الجازاني ؛ فهو ذلك المفهوم الدلالي المشار إليه من قبل ؛ إلا أنّ ذلك البُر المطحون بين حجرين عن طريق الرحى ليس شرطًا أن يُصبّ عليه لبن؛ بل في الغالب يخلط بالماء ، وتضاف له بعض البهارات ؛ كي يكون في طعمه مرارة يسيرة.

---

(١) ينظر : المعجم اليمني في اللغة والتراث (رق ل) : ٢٦٠-٢٦١.

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (رقل):٣٦٦/١.

(٣) ينظر : اللسان (رها) : ٣٤٥/١٤، وتاج العروس (رها) : ٤٨٧/١٩.

(٤) ينظر : القاموس المحيط (رها):١٦٦٦.

حرف الزاي:

٣٩- زق م (الزّقْم) [المُزْقُم]

الزّقْم، واللّقْم واحد، يقال: زَقَمَ اللحم زَقْما ؛ أي: بَلَعه، وأزْقَمْتُه الشيء، أي: أبْلَعْتُه إياه[١]. والتزقّم: كثرة شرب اللبن ، والإفراط فيه[٢]، يقال زَقَمَ فلان وتزقّم، إذا ابتلع شيئًا كريهًا[٣]. وقيل: إن التزقّم على لغة إفريقية يعني أكل الزُّبْد بالتمر[٤]. وقيل: إنّ أهل اليمن يسمون التمر، والزبد بالزَقُوم[٥].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (الزّقْم)، وصاغ منها اسم مكان على وزن مُفْعُل (مُزْقُم) ؛ والأصل فيه (مَزْقَم) (على وزن مَفْعَل) ؛ مثل مَسْعَى، ومَدْعَى من أمثلة أسماء المكان[٦]. وقد جاء (المُزْقُم) في الاستعمال الجازاني دالًا على ما برز من فم الإنسان، أو الطائر، إذ يقال لمنقار الطائر (مُزْقُم)، ولفم الإنسان الذي يصاحبه البروز للأمام (مُزْقُم) ؛ ومن ذلك المثل الجازاني (دَجَاجَة ومُزْقُمْها حديد)، أي: منقارها. والمثل كناية للجبان عند ما يجد الفرصة سانحة ليطيل لسانه، فلا تأمن ضربته، ولا يغرنّك ضعفه ولينه في حالة الخوف[٧]. وقولهم أيضًا: (طير بلا مُزْقُم كيف يعرف يَنقُم)[٨]. و (من طعم الحلا مدّ مزقمه)[٩]. ومن الملاحظ أنّ هذا الاستعمال الدلالي في المفهوم الجازاني ليس موافقًا لدلالة (الزّقْم) (السابقة الذكر). ولكن من الممكن توظيف المجاز المرسل لعلاقة المكانية بين المدلولين ؛ إذ من المألوف أن فم الإنسان، أو فم الطائر، ومنقاره موضع للأكل ،و الشرب ، والبلع ؛ سواء أكان ذلك المأكول ، أو المشروب سائغًا ، أم كان فيه مشقّة.ومثل هذا التوظيف المجازي وارد في اللسان العربي ؛ فقد جعل الله (تعالى) الجنة موضعًا للرحمة. وبهذا يكون هناك شبه تقارب بين المدلولين: اللغوي الصحيح ، والجازاني المصحوب بالتلميح.

---

(١) ينظر: اللسان (زقم) : ٢٦٨/١٢، والقاموس المحيط (زقم):١٤٤٣.

(٢) ينظر: اللسان (زقم) :٢٦٨/١٢. وكتاب مجمل اللغة (زقم) :٣٣٠.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ٨٥/١٥، وفتح القدير: ٤٩٢/٢٤، ومفردات ألفاظ القرآن (زقم): ٣٨٠.

(٤) ينظر: المجموع المغيث(زقم):٢١/٢، وتاج العروس (زقم):٣٢٠/١٦، وكتاب العين (زقم):٣٩٢.

(٥) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٣٣٦/٩، الصافات ، الآية : (٦٤).

(٦) ينظر : النحو الوافي :٣٣١/٣.

(٧) ينظر : النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف:٦٤٨/٢، ٦٥٣.

(٨) نفسه: ٩٢٣/٢

(٩) نفسه: ١٤٠٨/٣.

٤٠- زوم (الزَّوْم)

الزَّوْم: طعام لأهل اليمن من اللَّبَن؛ وهو لذيذ[1]. وهو يُتخذ من اللَّبَن الحقين المغلي المتبّل ببعض البهارات[2].

إن لفظة (الزَّوْم) معروفة في الاستعمال الجازاني بنفس صورتها الشكلية . والنطقية ؛ من ذلك المثل الجازاني (زُوم في حمية يُوم)[3]؛ مع إضافة التأنيث لها أحيانًا (الزَّوْمة)؛ وذلك للدلالة على شربة وحساء تُتخذ من اللَّبَن الرائب، ويُغلى على النار، ويُصب عليه شيء من عجين الذرة المخمّر حتى ينضج، ويصبح مثل الشربة الثقيلة إلى حدّ ما[4]. ودليل ذلك (أيضاً): المثل الجازاني (سعيد في حرى أمْزُوْمَه)[5]. أما الاستعمال الدلالي في العرف الجازاني؛ فهو ذلك المدلول الموضوع لها السابق الذكر؛ إذ عندما تسمع (الزَّوْم . الزَّوْمة) في الاستعمال الجازاني . فإنه يتبادر إلى ذهنك أول وهلة ذلك البُرّ المطحون الممزوج باللبن (غالباً) . أو الماء مع غلبة طعم الحموضة على ذلك الطعام المعدّ. وتُعد في الغالب للمريض؛ حيث يتحسّاها. وبذلك يحدث التوافق الدلالي في المعنى العام لتلك اللفظة ؛ بين الاستعمال اللغوي الدال على معناها . وبين الاستعمال الجازاني الموافق لذلك المدلول العام.

٤١- ز ي ط (زَاط)

يقال: زَاط يَزِيط زَيطًا ، وزِيَاطا: نازع ؛ وهي المنازعة واختلاف الأصوات. والزِياط: الصِّياح ؛ يقال: رجُل زيّاط ؛ أي: صَيّاح[6]. وزَاط زَيطًا ، وزِياطًا؛ أي: صاح وجَلّب. وزَاط الناس: اختلطت أصواتهم.

واسم الفاعل منه: زَائِط ، وزَيَّاط[7].

---

(١) ينظر : القاموس المحيط (زام) : ١٤٤٥. وتاج العروس (زوم):٣٣٢/١٦. ودلالة الألفاظ اليمانية في بعض المعجمات العربية. د. هادي عطية الهلالي:٥١.

(٢) ينظر : المعجم اليمني في اللغة والتراث (زوم) :٤٠٦.

(٣) ينظر : النتاف : ٧٥٨/٢.

(٤) ينظر : الأدب الشعبي في الجنوب. لمحمد بن أحمد العقيلي:٤٠/١.

(٥) ينظر : النتاف : ٧٥٧/٢.

(٦) ينظر : اللسان (زيط) : ٣٠٨/٧. والمحكم (ز ي ط) : ٨٥/٩ . وتاج العروس (زيط) : ٢٧١/١٠.

(٧) ينظر : المعجم الوسيط (زاط):٤٠٩/١.

إنّ لفظة (زاط) من الألفاظ المستعملة في العرف الجازاني . وأكثر ورودها بالفعل الماضي . والفعل المضارع (زَاط يَزِيط). وهي دالة في الاستعمال الجازاني على مَنْ يَحَارُ في ردّ السؤال ، أو دفع الشبهة عن نفسه، أو استعمل أعذارًا واهية، وردودا ضعيفة.ويظهر أنّ مثل هذا المفهوم الدلالي في الاستعمال الجازاني لايخلو من المنازعة ، واختلاف الأصوات ، وعلوّ نبرتها؛ بل ربما اللجوء إلى الأساليب الواهية، والتصرّفات الضعيفة؛ مثل: الصِّياح. وبذلك يحدث التقارب الدلالي الكبير بين مدلولي تلك اللفظة في الاستعمال اللغوي الدالّ عليها، والاستعمال الجازاني التابع لها؛ عن طريق السبب: المنازعة،وإرادة المسبَّب:الضعف،والعجز،والحيرة.

* * *

حرف السين:

٤٢- س ب هـ (السَّبَه)

السَّبَه: ذهاب العقل من الهَرَم ؛ يقال: رَجُل مَسْبُوه، ومُسَبَّه، وسَبَاه ؛ أي: مُدَلَّه ذاهب العقل[١]. والسُّبَاه: سكتة تأخذ الإنسان فيذهب منها عقله. وقيل: السُّباه: الذاهب العقل الذي كأنه مجنون من نشاطه[٢]. والسَّبَاهي: ضعيف العقل[٣].

لفظة (السَّبه) من الألفاظ المتداولة في الاستعمال الجازاني ؛ كتابة، ونطقا، ودلالة ؛ حسب ورودها في مصادرها اللغوية. وهي تحمل في الاستعمال الجازاني دلالة قريبة من دلالتها في الاستعمال اللغوي الصحيح ؛ فأنت تسمع الجازاني (على سبيل المثال) يصف من به فَرَط نسيان، أو زيادة إهمال بـ (السَّبَه)؛ وذلك إما لكبر سنه (وبالتالي ضعف حواسه الإدراكية)، وإما لضعف عقله، وذاكرته أصلاً.وهذا المدلول ماثل في اللهجة اليمنية ؛ إذ تدل السَّبَاهة على البلادة، والبطء في القيام بأي عمل[٤]. وبذلك يحدث تقارب دلالي كبير للفظة (السَّبة) في الاستعمال اللغوي الموضوع لها، والاستعمال الجازاني القريب دلالياً منها، والمدلول اليمني المتضمن ذلك. أما دلالة (السَّبة، والسُّباه، وسَبَاهية) على الرجل المتكبر[٥]؛ فليس ذلك متداولًا في الاستعمال الجازاني.

٤٣- س ل ت (سَلَتَ)

يقال: سَلَتَ المِعَى يَسْلِتُه سلْتا: أخرجه بيده. وسَلَت يده بالسيف: قطعها. وسَلَت شَعَره: حلقه[٦]. وسَلَت فلان أنف فلان بالسيف سَلْتا: إذا قطعه كله. وسَلَتت المرأة الخِضَاب عن يدها: إذا مسحته، وسَلَت القصعة من الثَّريد: إذا مسحه[٧]؛ ومنه الحديث: ((أُمرنا أنْ نَسلُتَ الصحفة)) ؛ أي: نتتبع مابقي منها من الطعام، ونمسحها بالإصبع

---

(١) ينظر: اللسان (سبه): ٤٩٥/١٣، والمحكم (س ب هـ): ٢٢٣/٤، وكتاب مجمل اللغة (سبه): ٣٦٧.

(٢) ينظر: اللسان (سبه): ٤٩٥/١٣، وتاج العروس (سبه): ٤١/١٩.

(٣) ينظر: تاج العروس (سبه): ٤١/١٩.

(٤) ينظر: المعجم اليمني (س ب هـ): ٤٢٣.

(٥) ينظر: اللسان (سبه): ٤٩٥/١٣.

(٦) ينظر: اللسان (سلت): ٤٥/٢.

(٧) ينظر: معجم تهذيب اللغة (سلت): ١٧٢٨/٢، وكتاب العين (سلت): ٤٣٨.

ونحوها))[1]. وانْسَلَتَ عنّا ؛ أي: انسلّ من غير أن يُعلم عنه[2]. وسلتَه مائة سوط: جَلَدَه[3]. وانسلت فلان عنا ؛ أي: انسلّ وهم لا يعلمون به[4].

لقد مَثُلت لفظة (سَلَت) في الاستعمال الجازاني بكامل مكوناتها اللفظية، والدلالية ؛ إذ لا تجد أي تغيير صوتي عليها ، كما أنك لا تجد تبديلًا لمجال دلالاتها (السابقة الذكر)، إذ أنك تسمع الجازاني يقول: سَلَتَ بيده في كذا ؛ أي: أدخلها ليخرج ما بحوزتها وقبضتها. وسلت فلان فلانًا ؛ أي: ضربه، أو قطع يده، أو أنفه، أو حلق رأسه ، أو أزال ما علق به. وسَلَتَ فلان بنفسه في الأمر ؛ أي: دخل فيه بوجه يحتمل السرعة، أو التهوّر (أحيانا). وسلت فلان أكله ؛ أي: أكله كاملا فلم يبق منه ولم يذر. ومثل ذلك التوظيف الدلالي الجازاني هو نفسه في الاستعمال الدلالي اللغوي الخاص باللفظة.

٤٤- س ل ج (سَلِج)

يقال: سَلِج الطعام يَسْلُجُه سَلْجًا وسَلَجانا ؛ أي: بلعه، وسَلَج اللقمة ؛ أي: بلعها . وتَسَلَّجَ النبيذ، أي: ألحّ في شُربه[5]. والسِّلْجَان (بكسر السين): الحلقوم[6].

تُعد لفظة (سَلِج) إحدى المفردات التي عرفها الاستعمال الجازاني في مجال تشهّي الأكل ، ورغبة تذوّقه. وقد عُرفت اللفظة في الاستعمال الجازاني بهيئتها الكتابية، والنطقية. أما المعنى الدلالي لها، فإنّ هناك شبه تقارب بين المدلولين في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني ؛ إذ يُطلق (السَّلِج) على كل من اشتهى طعامًا ،أو شرابًا فيه ملوحة (خاصة بعد تماثل المريض للشفاء) ؛ لأن السَّلِج من الطعام: ما جاء مذاقه أقلّ طعماً مما هو معتاد عليه[7]. ومثل هذا المدلول فيه شبه قريب من الدلالة اللغوية الخاصة باللفظة المتضمنة معنى الشرب، والبلع، وما يؤول إليه أمرهما من الدخول عبر الحلقوم.

---

(١) المجموع المغيث (سلت) : ٢/ ١١٠.

(٢) ينظر : المحكم (س ل ت) : ٨/ ٤٦٧.

(٣) ينظر : التكملة والذيل والصلة . الزبيدي (س ل ت) : ٣٨٦/١.

(٤) ينظر : الجمهرة (سلت) : ٤٣٦/١.

(٥) ينظر : اللسان (سلج):٢/ ٢٩٩، ومجمل اللغة سلج: ٣٥٦.

(٦) ينظر : اللسان (سلج) : ٢/ ٢٩٩، وتاج العروس (سلج) : ٣/ ٤٠٥.

(٧) ينظر : المعجم اليمني (س ل ج):٤٤٣.

٤٥- س ي ع (السَّيْع) [السَّيْع]

السَّيْع: الماء الجاري على وجه الأرض. والسَّيَاع، والسِّيَاع: الطين، وقيل: الطين بالتِّبن الذي يُطيّن به[1].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (السَّيْع) كما هي مرسومة في المعاجم اللغوية ، مع الاختلاف في طبيعة الدلالة؛ إذ يُعرف (السَّيْع) في الاستعمال الجازاني: بأنه ذلك الماء المعكّر الذي يخرج من الدواب؛ كالبقر، والغنم، والنوق قبل ولادتها. وهذا المدلول لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني ليس هو بحذافيره في الاستعمال اللغوي الخاص باللفظة؛ إذ لا تتفق الدلالتان إلا في شيء يسير؛ ألا وهو الماء (مع الاختلاف في طبيعته).ولكن ربما يضاف إلى توافق الدلالتين في الماء دلالة (السَّيَاع والسِّيَاع) على الطين الذي قد يُستفاد منه: وصفَ ذلك الماء الخارج من البقرة (مثلاً) بأنه ماء مصحوب بكُدْرَة ، أو شوائب لونية عالقة. والأقرب لطبيعة ذلك الماء المعكَّر الخارج من تلك الدابة عقب ولادتها دلالة (السُّوَاع والسُّوَعاء) على المَذْي ، أو الوَدْي[2]. ولكن تلك الصيغ الاشتقاقية مغايرة في كتابتها، وأوزانها للفظة (السَّيْع). وعلى هذا؛ فإن دلالة اللفظة في الاستعمال اللغوي (المشار إليه من قبل) ، يعد مغايراً لدلالتها في الاستعمال الجازاني.

* * *

(١) ينظر : اللسان (سيع) : ٨ / ١٧٠، والمحكم (س ي ع) : ٢ / ٢٢٣،وتاج العروس (سيع) : ١١ / ٢٣١.

(٢) ينظر : تاج العروس (سوع) : ١١ / ٢٣٠، والقاموس المحيط (سوع) : ٩٤٤.

حرف الشين:

٤٦- ش ب ب (الشَّب)

الشَّب: ((حجارة، منها الزّاج، وأشباهه، وأجودها ما جُلب من اليمن، وهو شَبٌّ أبيض له بصيص شديد))[١]، ومنه قول الشاعر:

ألا ليت عمّي يوم فرّق بيننا *** سقى السمَّ ممزوجًا بشبّ يمانِ [٢]

وقيل: الشب: ملح متبلّر، اسمه الكيمياوي: كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم، ويُطلق على أشباه هذا الملح الشَّبَّة[٣]. وقد ذُكر أنه يُدبغ بالشَّب الجلود[٤]. وقد ردّ ذلك المطرِّزي، محتجًا بأن الشب نوع من الزَّاج، وهو صِبَاغ لا دِبَاغ[٥].

لفظة (الشَّب) معروفة في الاستعمال الجازاني بكامل صورتها الكتابية، والنطقية.وهي معروفة (أيضا) بكافة جوانبها الدلالية، إذ هي دالة في الاستعمال الجازاني على تلك القوالب البيضاء شديدة البياض، على شكل حجارة، أو ملح متبلّر. ويُستخدم الشَّب عند النساء كأداة معينة مع الحناء عند نقش الأيادي والأرجل، بما يجعلها تبدو مع الإضافات المصاحبة شديدة السواد. وبهذا يحدث التوافق الدلالي لتلك اللفظة بين الاستعمال اللغوي الموضوع لها، والاستعمال الجازاني (خاصة في اللون الأبيض وشدة وميضه، وكونه من مادة حجرية، أو ملحيّة). أما الاختلاف في توظيف تلك المادة والإفادة منها، فراجع إلى اختلاف البيئة، وتفاوت الأعراف والتقاليد.

٤٧- ش ف ر (شُفْر) [شِفْر]

شُفْر كل شيء: ناحيته. وشُفْرا المرأة وشافراها: حرفا رَحِمِها. والشُفْر: حرف هَنِ المرأة، وحدّ المِشْفَر. ويقال لناحيتي فرج المرأة: الإسْكَتَان، ولطرفيهما: الشُفْرَان[٦].

والمِشْفَر: الفَرْج[٧].

---

(١) كتاب العين (شب): ٤٦٠، معجم تهذيب اللغة (شبب):١٨١٧/٢، ودلالة الألفاظ اليمانية : ٥٤-٥٥ .

(٢) ينظر: المحكم (ش ب ب):٦٢٨/٧، وتاج العروس (شبب):٩٤/٢.

(٣) ينظر : المعجم الوسيط (شبب) :٤٧٠/١.

(٤) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (شبب): ٤٦٥،والمجموع المغيث(شبب):١٧٠/٢،والمصباح المنير(شبب): ١١٥.

(٥) ينظر : كتاب المغرب في ترتيب المعرّب /٢٤٤.

(٦) ينظر : اللسان (شفر) : ٤١٩/٤، ومعجم تهذيب اللغة (شفر) :١٨٩٦/٢.

(٧) ينظر : التكملة والذيل والصلة (ش ف ر): ٥٨٨/٢.

إنّ السامع للفظة (الشُّفْر) في الاستعمال الجازاني يلحظ تغيير حركة حرف الشين من الضم إلى الكسر (الشِّفْر)، وهذا مخالف لما عليه المعاجم اللغوية، وما كان على منوالها، إذ لم يرد فيها (الشُّفْر) (في الدلالة على جانبي رحم المرأة) إلا مضموم الشين، أو مفتوحها[1]. أما الشِّفْر فلحن،إلا إذا سُوّغ كسر شينه بالميل إلى الكسر،بدلا عن الضم،على غرار الألفاظ المشابهة لذلك في لغة العرب[2]. أما مدلولها في الاستعمال الجازاني، فهو ذلك المدلول المشار إليه من قبل، المتضمن حرفي رحم المرأة، وما بينهما من رحم المرأة نفسه، وبهذا يحدث التوافق الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني.

٤٨- ش ك ل (الشِّكَال)

الشِّكَال: هو الذي تُشْكَل به الخيل، وغيرها من الدواب، يقال: شَكَلَ الدابة، أي: شد قوائمها بحبل، بحيث تكون ثلاث قوائم محجَّلَة، وواحدة مُطلَقَة، أو عكس ذلك[3]. قال أبو عبيدة (ت ٢٤٤): ((وليس يكون الشِّكَال إلا في الرِّجل، ولا يكون في اليد))[4]. وذكر آخرون أنّ الشِّكَال ما يُقيد به، سواء أكان بالرِّجل أم اليد[5]، ويجمع الشِّكَال على شُكُل[6].

لقد عرف الاستعمال الجازاني (الشِّكَال)، وغلّب فيه صيغة (مُفْعُل مُشْكُل)، اسم آلة شذت صيغتها عن القياس، مثل: المُنْخُل، المُدْهُن، المُسْعُط، المُكْحُلَة، ولكن جاز استعمالها كما وردت مسموعة عن العرب[7]. أما التوظيف الدلالي لتلك اللفظة، فقد جاء مطابقاً لما حوته تلك اللفظة من معاني جعل القَيْد، والحبل في بعض القوائم، والأرجل دون الأخرى، سواء أكان ذلك المُقَيَّد خيلا، أم ثوراً، أم حماراً، أم غيرَذلك،وقد

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (شفر):٤٨٧/١، واللسان (شفر): ٤١٩/٤.

(٢) ينظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: ٢٠٩.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (شكل): ١٣١٧، والصحاح (شكل): ١٤١٨/٤، وغريب الحديث، للهروي: ١٨/٣-١٩، ومفردات ألفاظ القرآن (شكل): ٤٦٢.

(٤) الصحاح (شكل): ١٤١٨/٤، وغريب الحديث، للهروي: ١٩/٣.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (شكل): ٤٦٢، وتاج العروس (شكل): ٣٨٢/١٤.

(٦) ينظر: الصحاح (شكل): ١٤١٨/٤.

(٧) ينظر: النحو الوافي: ٣٣٦/٣، وكتاب شرح شافية ابن الحاجب: ٣١٨/١.

يكون وضع القيد في الرجل (وهو الغالب)، أو في اليد. وبهذا يكون التوافق الدلالي للفظة (الشِّكَال ، المُشْكُل) في الاستعمال اللغوي الخاص بها، والاستعمال الجازاني المحاكي لمفهومها.

٤٩- ش ك ل (أشْكَل)

يقال: أشْكَل النخل ؛ أي طاب رطبه و أدرك [١]، وأشْكَلَ الرطب: طاب [٢]. وشَكَل العنب: أينع بعضه ، أو اسودّ وأخذ في النُضج [٣]. وأشْكَلَ المريض: تماثَلَ [٤].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (أشْكَل) كما هي مرسومة في مصادرها اللغوية. أما مفهومها ؛ فقد جاء دالاً في الاستعمال الجازاني على تحسّن حالة المريض من ناحية ؛ حيث يجيب من سُئل عن حالة مريض (ما) أنه اليوم أشْكَل من أمس، أي: أن حالته الصحية في تحسّن ، وتماثل للشفاء. وهذا المدلول للفظة مستعمل في اللهجة اليمنية؛ إذ يقال للمريض: أشكل ، أي: لا هو مثلما كان عليه من قبل ميؤوسًا منه، ولا بالذي ترجى عافيته تمامًا، وإنما هو أفضل قليلا [٥]. إنّ هذه الدلالة اللغوية في الاستعمال الجازاني هي تلك الدلالة المعجمية الدالة على تماثل المريض للشفاء ، كما أن في الدلالة على استواء رطب النخل، وعلى بداية يَنْع العنب، وبداية نضجه (كماسبق إيضاحه من قبل) مايُشْبه حالة ذلك المريض الذي حَسُن وضعه الصحي، وبدأ ممارسة حياته بعد العناء والتعب؛ حاله في ذلك حال ذلك النخل الذي استوى رطبه بعد تقلّب أحواله، وذلك العنب الذي بدأ في النضج بعد أن كان في وضع مغاير لذلك.وبهذا يحدث التوافق الدلالي بين الاستعمالين.

٥٠- ش ن ف (يَشْنِف) [يَشْنُف]

الشّنَف والشَّفَن: أن يرفع الإنسان طرفه ناظرًا إلى الشيء كالمتعجب منه ، أو الكاره له، يقال: شَنَفَ إليه يَشْنِفُ شَنْفًا ، و شُنُوفًا ، أي: نظر بمؤخر العين ، أو هو نظر

---

(١) ينظر : اللسان (شكل):١١/٣٥٩، والصحاح (شكل):٤/١٤١٨، والمحكم (ش ك ل):٦/٦٨٧.

(٢) ينظر : كتاب الأفعال ، لابن القطاع :٢/١٧٩.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (شكل) : ١٣١٧.

(٤) ينظر : التكملة والذيل والصلة (ش ك ل): ٦/١٥٥.

(٥) ينظر : المعجم اليمني (ش ك ل): ٥١١.

فيه اعتراض [١]. وشَنَفَ إليه شَنْفًا، وشُنُوفًا، أي: رماه بنظرة فيها استنكار وكُره. وشَنَفَ عنه، أي: أعرض مترفّعاً [٢]. والشَّانِف: المُعْرِض، يقال: إنه لمُشانِف عنا بأنفه، أي: رافع مختال [٣]. والشّفاه الشنفاء: هي المنقلبة الشفة العليا من أعلى [٤].

لقد كثر استعمال الفعل المضارع (يَشْنِف) في العرف الجازاني، مع جعل كسرة حرف النون ضمه (يَشْنُف)، خلافًا للأصل (يَشْنِف)، إلا إذا قُبل تفسير ذلك بأنه من قبيل الميل إلى الضم [٥]. أما دلالة اللفظة، فإنها تُطلق في الاستعمال الجازاني (في الغالب) على ذَكَر الحمار عند ما يهمّ بسفَاد الأتان وركوبها، إذ يرفع منخريه عاليًا، في وضع يجعل شفته العليا شبه منقلبة. وقد يُستخدم مثل هذا التوظيف الدلالي في الاستعمال الجازاني مع الإنسان المعرض عن الشيء، كرهاً له، أو تكبرا عنه، إذ يوصف بالشانف، وذلك هو المعنى المراد في المصادر اللغوية [٦]. وبهذا يحدث تقارب كبير بين دلالتي اللفظة في الاستعمال اللغوي المرتبط بها، والاستعمال الجازاني المنبثق عنها.

* * *

---

(١) ينظر: اللسان (شنف): ٩/١٨٣–١٨٤. والمحكم (ش ن ف): ٨/٧٦.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (شنف): ٤٩٦.

(٣) ينظر: الشوارد في اللغة: ٢٩٣. والقاموس المحيط (شنف): ١٠٦٧.

(٤) ينظر: معجم تهذيب اللغة (شنف): ٢/١٩٣٦، وتاج العروس (شنف): ١٢/٣١٣.

(٥) ينظر: اللسان (شنف): ٩/١٨٣.

(٦) ينظر: تاج العروس (شنف): ١٢/٣١٣. والشوارد في اللغة: ٢٩٣.

حرف الصاد:

٥١- * ص ب ر (الصِّبْر) [صابِر]

أشار العقيلي إلى دلالة لفظة (الصَّابِر)، وذكر بأنّ الصابر هو الصُدْغ، ومثّل لذلك بقول الشخص: سوف لا أنسى إساءتك حتى تكون يدي تحت صابري؛ أي: تحت صُدْغي[١]. ولكنه لم يشر (رحمه الله) إلى الإضافات الصوتية التي يحدثها الاستعمال الجازاني على أصل لفظة الصُّبْر، أو الصِّبْر، كما أنه اكتفى بذكر المدلول الخاص لتلك اللفظة (في الاستعمال الجازاني) على الصُّدْغ، دون الإشارة إلى التأصيل اللغوي في ذلك؛ لذا رأى الباحث ضرورة الإشارة إلى التغيير الصوتي لتلك اللفظة، بين أصل وضعها اللغوي، وبين الاستعمال الجازاني، وكذلك تناول مدلولها اللغوي؛ حيث تشير المصادر، والمراجع اللغوية، ومن نهج نهجها إلى أن الصِّبْر والصُّبْر: جانب الشيء، وبُصْره مثله؛ وهو حَرف الشيء، وغِلَظُه[٢]. وقيل: ((صُبر الشيء: أعلاه؛ ومنه قول ابن مسعود: ((سِدْرة المنتهى صُبْر الجنة؛ أي: أعلاها. وصُبْر كل شيء: أعلاه))[٣]. ويجمع الصُّبر على أصبار؛ ومنه قيل: أصبار الإناء: جوانبه، وأصبار القبر نواحيه[٤].

لقد أجرى الاستعمال الجازاني تغييرًا صوتيا على لفظة الصُّبر (بكسر الصاد، وضمها)؛ وذلك لأنها لا تُعرف في الاستعمال الجازاني إلا (صَابِر)؛ وذلك للدلالة على جانب الوجه؛ يقال: صفعه على صابره؛ أي: على صفحة وجهه؛ سواء أكانت اليمنى، أم اليسرى. وهذه الدلالة شائعة في اللهجة اليمنية؛ إذ ((شاعت كلمة (صابِر) اسمًا لصفحة وجه الإنسان، أو لكل جانب من جانبيه، حتى صار الصَّابِر اسم ذات له، والجمع صَوَابِر))[٥]. وليست هذه الدلالة الخاصة بصَفْع الوجه (في الاستعمال الجازاني) هي الدلالة المطابقة لتلك اللفظة في مصادرها الموثّقة؛ولكن يُحمل ذلك عن طريق المشابهة بين دلالة الصُّبْر على جانب الشيء وناحيته، وبين كون الصُّدغ المضروب من الوجه (صَابِر) يمثّل جانبًا من ذلك

---

(١) ينظر: معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان: ١٥٨.

(٢) ينظر: اللسان (صبر): ٤/٤٤٠، وغريب الحديث، للهروي (صبر): ٤/٧٣.

(٣) النهاية (صبر): ٥٠٧.

(٤) ينظر: تاج العروس (صبر): ٧/٧٢. والمحكم (ص ب ر): ٨/٣١٤.

(٥) المعجم اليمني (ص ب ر): ٥٢٧-٥٣٨.

الوجه، وناحية منه. كما أنه يمكن حمل دلالة الصُّبْر (المتضمنة أعلى كل شيء) على دلالة الصابر في الاستعمال الجازاني؛ لأن الوجه وجانبيه عاليا المكان والمنزلة. وبهذا يحدث التقارب الدلالي بين (الصِّبْر . الصابر) عن طريق التحديد بجانب الشيء وناحيته، وعن طريق معنى العُلوّ فيها.

٥٢- ص د م (الصُّدَام)

الصُّدام: ثِقَل يأخذ الإنسان في رأسه، وهو الخُشام[1]؛ ومنه قول العرب: ((رماه الله بالصُّدام . والأولَق، والجُذَام))[2]. وقيل: إن الصُّدام: داء يأخذ في رؤوس الدواب؛ فيأخذ الإبل (على سبيل المثال) فَتَخْمَص بطونُها ، وتدع الماء وهي عطاش أيامًا حتى تبرأ أو تموت؛ يقال: جمل مَصْدُوم ، وإبل مُصَدَّمة[3]. وقد ذكر الجوهري (ت ٣٩٨هـ) الصِّدام (بالكسر) ؛ فقال: ((والصِّدام (بالكسر): داء يأخذ رؤوس الدواب ، والعامّة تضمّه ؛ وهو القياس))[4]. إذن: الأصل ضم الصاد ؛ لأن الأدواء جاءت على هذه الصيغة ؛ مثل: الزُكام، السُعال . الصُداع . الخُراع ، وغيرها[5].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة الصُّدام (بالضم) حسب ورودها في كتب المعاجم . ولم ترد بكسر الصاد (الصِّدام) في الاستعمال الجازاني ؛ مع أنها واردة في تلك المعاجم، والكتب اللغوية . وقد جاءت اللفظة دالة في الاستعمال الجازاني على ذلك الثِّقَل الذي يأخذ الإنسان في رأسه (كما هو منصوص عليه في مدلولها اللغوي السابق الذكر). ومن هنا تسمع في الاستعمال الجازاني من يقول: فلان فيه صُدَام . وفلان مصدوم ؛ والمراد: ذلك الثقل الذي يلفّ برأسه . وما ينتج عنه من وَهْن في الجسم ، وضعف في الشهية ؛ بما يشبه الزُكام. وبهذا يحصل التوافق الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني. أما وصف الدواب، والحيوانات بلفظة (الصُدام) فغير مُستخدم في الاستعمال الجازاني.

---

(١) ينظر : اللسان (صدم) : ٣٣٤/١٢.

(٢) مجمع الأمثال . الميداني: ٣٠٩/١.

(٣) ينظر : اللسان (صدم) : ٣٣٤/١٢ . والصحاح (صدم) : ١٥٩٤/٤.

(٤) الصحاح (صدم) : ١٥٩٤/٤.

(٥) ينظر : مجمع الأمثال : ٣٠٩/١. ومعجم تهذيب اللغة (صدم) : ١٩٩٢/٢.

٥٣- ص ل د م (الصِّلْدِم)

الصِّلْدِم، والصُّلادِم: الشديد الحافر من الفرس، والصُّلب من الرؤوس[1]. وقيل: الصُّلْب المتين[2]، مؤنثه: صِلْدِمة[3]، وجمعه: صَلاَدِم[4].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (الصِّلْدِم)، مع إجراء تغيير حركي لحرفي الصاد والدال؛ حيث يُنطقان بالفتح (الصَّلْدَم). ويعد هذا التغيير الحركي لحنا؛ لأنه لم يرد إلا بكسر الصاد والدال؛ إلا إذا فُسر ذلك بالميل إلى الفتح. أما التوظيف الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني؛ فقد جاءت دالّة على كل جَرَّة كبيرة، خشنة الملمس، شديدة الصلابة، ليس فيها تَنْدِيَة للماء على جسمها الخارجي.ومثل هذه الدلالة لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني؛ إما أن تُحمل على التشبيه بذلك الحافر، والرأس الصلب الشديد (كما اتضح من قبل)، وإما أن تحمل على دلالة التعميم لكل صَلب[5]؛ حتى يحدث التقارب الدلالي بين الاستعمالين.

٥٤- ص ن ف (صَنِفَة)

صَنِفَة الإزار (بكسر النون): طُرَّته التي عليها الهُدْب. وقيل: هي حاشيته أيا كانت[6]. وصَنِفَة الثوب (كَفَرِحَة)، وصِنْفُه وصِنْفَتُه (بكسرهما): حاشيته، أي جانب كان، أو جانبه الذي فيه الهُدْب، أو الذي لا هُدْب له[7]. وقيل: الصِّنْف، والصِّنْفَة: الطَّرَف، والزاوية من الثوب، وغيره[8]. وتصنيف الشيء: جعله أصنافاً، وتمييز بعضها من بعض[9].

لقد أُطلق على (الصَّنِفَة) في الاستعمال الجازاني: (الصَّانِفَة)؛ وذلك بزيادة ألف بعد الصاد؛ لتصبح على وزن فَاعِلَة. وهي تدل في أكثر مضامينها على نفس دلالتها (السابقة الذكر)؛ إذ (الصَّانِفَة) في الاستعمال الجازاني: تلك الهُدْب التي تمثّل مع حاشية الإزار

---

(١) ينظر: اللسان (صلدم): ٣٤٢/١٢، والصحاح (صلدم): ١٥٩٦/٤، والمحكم (ص ل د م): ٣٩٧/٨.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (الصلدم): ٥٢٠/١.

(٣) ينظر: اللسان (صلدم): ٣٤٢/١٢، ومعجم تهذيب اللغة (صلدم): ٢٠٤٢/٢.

(٤) ينظر: معجم تهذيب اللغة (صلدم): ٢٠٤٢/٢، وكتاب العين (صلدم): ٥٢٧.

(٥) ينظر: المحكم (ص ل د م): ٣٩٧/٨.

(٦) ينظر: اللسان (صنف): ١٩٨/٩.

(٧) ينظر: القاموس المحيط (صنف): ١٠٧١.

(٨) ينظر: اللسان (صنف): ١٩٨/٩.

(٩) ينظر: الصحاح (صنف): ١١٥/٣.

وطرفه حدّ فاصلا بين أعلى الإزار وأسفله ؛ حيث يبدو أسفل الإزار في صورة متميزة عن أعلاه ، عن طريق تزيينه بخيوط ملوّنة جميلة ، وسماكة قُماشية تغاير أعلاه. وقد تكون (الصَّائِفَة) مع الزيادة التي تضاف إلى لباس الفُرُش ، بما يشبه (الكَشْكَشة) . والمدلول الأول قريب من دلالة اللفظة في اللهجة اليمنية ؛ إذ ((الصَّنِفَة: الحاشية ؛ أي: اللون المختلف في طرفي الثوب بطوله))[1]. أما (المِصْنَف) ؛ فهو ذلك الإزار الموشّى ذو الألوان المتقاربة ، أو المتفاوتة الذي قد تصاحبه الهُدُبُ في أسفل حاشيته. وأكثر ما يستخدم في المناسبات الخاصة ، أو العامة ؛ كالختان (مثلاً) ، أو الزواج. ومثل ذلك التوظيف الدلالي لـ (الصَّائِفَة ، المِصْنَف) يُعدّ قريبا من دلالة لفظة (الصَّنِفَة) ؛ إذ صَنِفَة الإزار: طُرّته التي عليها الهُدْب ، أو حاشيته. كما أنّ (الصِّنْف ، والصِّنْفَة) دالة على الطرف ، والزاوية من الثوب وغيره؛ يقال: مسح الشيء بِصِنْف ثوبه، وبِصِنْفَة ثوبه ؛ أي: بحاشيته[2]. وبذلك يحدث التقارب الدلالي لـ (الصَّنِفَة ، الصَّائِفَة ، المِصْنَف) في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني.

٥٥- ص هـ ب (الصَّهَب) [ص هـ ف الصَّهَف]

الصَّهَب: حُمرة ، أو شُقْرة في الشَّعر ، وشَعَر يُخالط بياضه حُمرة[3]؛ يقال: صَهُب الشَّعَر وصَهِبَ صُهْبَة وصَهْباً ؛ أي: احمرّ ظاهره وباطنه أسود[4]. والأصهب: بعير ليس بشديد البياض[5]. وذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض[6].

إنّ السامع للفظة (الصَّهَب) في الاستعمال الجازاني يلحظ أنه قد حدث فيها إبدال لغوي؛ وذلك بقلب حرف الباء فاء (صَهَف). ومثل ذلك الإبدال اللغوي بين حرفي الباء ، والفاء حاصل في لغة العرب؛ إذ يقال: رجل بجْباج وفجْفَاج ؛ إذا كان صّياحاً كثير الكلام . وهذا كُوز من خَزَف ومن خَزَب. والإسْكاف والإسكاب للصانع[7]. وما ذلك التبادل

---

(١) المعجم اليمني (ص ن ف) : ٥٦٦.

(٢) ينظر : الآلة والأداة ، لمعروف الرصافي : ١٨٨.

(٣) ينظر : القاموس ا لمحيط (صهب):١٣٦، وتاج العروس (صهب): ١٥٧/٢.

(٤) ينظر : كتاب شرح شافية ابن الحاجب : ٢٤٤/١، وكتاب العين (صهب):٥٣٣.

(٥) ينظر : القاموس المحيط (صهب): ١٣٦.

(٦) ينظر : المعجم الوسيط (صهب) : ٥٢٦/١.

(٧) ينظر : كتاب الإبدال ، لأبي الطيب : ٢١/١.

اللغوي بين حرفي الباء، والفاء إلا لعلاقة صوتية مخرجيّة تتمثل في قرب المخرج؛ إذ من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العُلى: مخرج الفاء، ومما بين الشفتين: مخرج الباء[1].

أما التوظيف الدلالي لتلك اللفظة؛ فإن هناك تقارباً دلاليا كبيرا، إذ تسمع الجازاني يصف الزرع الذي خالط بياضه حمرة، أو صفرة، أو سواد؛ أنه صَهَف (بإبدال الباء فاء)، كما أنك تسمعه (أيضاً) يُطلق تلك الدلالة على كل شَعَر مختلف الألوان (خاصة إذا مُزج بياضه بحُمرة، أو احمراره بسواد)، وعلى كل بعير اختلط بياضه بصُفرة، أو حمرة، أو نحو ذلك. وذلك المدلول الجازاني هو نفسه في المدلول اللغوي الخاص بلفظة (الصَّهب) (خاصة في وصف الشَّعَر، أو البعير). أما مجال الثمار، والمحاصيل؛ فيمكن قياسه في حال وصفه بـ (الصَّهَب) على الشَّعر، والجِمال عن طريق المشابهة.

* * *

(١) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤.

حرف الضاد:

٥٦- ض ب ح (ضَبَحَ)

تأتي لفظة (ضَبَح) بمعنى: ((صاح، وخاصم، ومنه حديث أبي هريرة ﷺ: ((إنْ أُعطي مَدَحَ وضَبَحَ، أي: صاح، وخاصم عنه))[1]. وتأتي (أيضاً) للدلالة على من ألقى نفسه على الأرض، من تعب، أو كِلال، أو ضرب، لأن الإنسان يوصف بالضَّبْح[2]. وتأتي للدلالة على رفع الصوت بالقراءة، ومنه في شعر أبي طالب: فإنيَ والضوابح كُلَّ يوم ، يريد القَسَم بمعنى يرفع صوته بالقراءة[3]. والضبح في الخيل أظهر عند أهل العلم[4]، وذلك إذا صوّتت أنفاسها في جوفها حين العَدْو[5]. وقيل: أصل الضُّبَاح: صوت الثعلب، ومنه حديث ابن الزبير: ((قاتل الله فلانًا، ضَبَحَ ضَبْحَةَ الثعلب...))[6]. وقيل: الضَّبْح صوت أنفاس الفرس، تشبيها بالضُّبَاح، وهو صوت الثعلب[7]. وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ): ((ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس، والكلب، والثعلب))[8]. وضَبَحَت النار الشيء ضَبْحا: غيرتْه، ولم تبالغ فيه. وانْضَبَحَ لونه، أي: تغيّر إلى السواد قليلا[9].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (ضَبَح) حسب رسمها، وضبطها في المعاجم اللغوية، وقد جاءت دلالتها موافقة إلى حد كبير لتلك الدلالات المشار إليها سابقاً، لأنك إذا سمعت في الاستعمال الجازاني: ضَبَحَ فلان، فليتبادر إلى ذهنك إما أنه صاح صياحاً مبالغاً فيه، أو رفع صوته بأذان أو قراءة، أو أنه سقط على الأرض مغشيًا عليه. وإذا سمعت الجازاني يقول: ضَبَحَ العُود، فإن مراده بذلك: أنه قد تغيّر عن وضعه الذي كان عليه، وذلك بانكساره بسبب تلك النار التي أتت عليه، فأحدث صوتًا.أما وصف صوت

---

(١) المجموع المغيث (ضبح): ٣١٠/٢، والنهاية (ضبح): ٥٣٨، والمحكم (ض ب ح): ١٣٧/٣.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (ضبح): ٥٣٣/١.

(٣) ينظر: النهاية (ضبح): ٥٣٨.

(٤) ينظر: اللسان (ضبح): ٥٢٣/٢، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠، سورة العاديات، الآية: (١).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود: ٤٦٠/٦، العاديات، الآية: (١)، وأساس البلاغة (ض ب ح): ٢٦٥.

(٦) النهاية (ضبح): ٥٣٨، والصحاح (ضبح): ٣٣٨/١.

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (ضبح): ٥٠١، وتفسير القرطبي: ١٥٤/٢٠، العاديات، الآية: (١).

(٨) تفسير القرطبي: ١٥٤/٢٠.

(٩) ينظر: الصحاح (ضبح): ٣٣٨/١، وكتاب الأفعال، لابن القوطية: ٢٤٥.

الخيل، أو الثعلب بـ (الضَّبْح)؛ فإن ذلك مسلَّم به في الاستعمال الجازاني. ويلحظ أن تلك الدلالات للفظة (ضَبَحَ) في الاستعمال الجازاني هي تلك الدلالات المشار إليها في المصادر، والمراجع السابقة؛ مما يدل على التوافق الدلالي.

* * *

حرف الطاء:

٥٧- ط ب ن (طَبَنَ) [طبيْنَة]

يقال: طبنتُ النار؛ أي: دفنتها كي لا تطفأ، لغة يمانية[١]. وطَبَنَ المرأة: خيّبها، و أفسدها، وخدعها[٢]. وطَبَن فلان لفلان؛ خدعه وخبّبه[٣]. وطَبِن لها غلام؛ أي: خبّبها وخدعها؛ ومنه قول الشاعر:

فقلتُ لها بل أنت حَنَّةُ حَوْقَلٍ *** جرى بالفِرَى بيني وبينك طابنُ

أي: رفيق داهٍ خَبٌّ عالم به[٤]. والطَّبَن والطَّبَانة: الفطنة؛ يقال: طَبِن لكذا طَبَانة فهو طَبِن، ومنه: ((فَطَبِن لها غلام رومي))؛ أي: هجم على باطنها. وخَبَرَ أمرها، وأنها ممن تُواتيه على المراودة[٥]. وطَبَن بالشيء وطَبِن طَبْناً وطَبَناً: لزق به[٦].

عرف الاستعمال الجازاني مادة (ط ب ن)، وصاغ منها لفظة (طبينة)؛ فَعِيْلَة بمعنى فَاعِلَة (طابِنَة)؛ مثل: سميع بمعنى سَامِع، وعليم بمعنى عَالِم؛ وذلك للدلالة على الضَرَّة لمن له زوجتان أو أكثر، يقال: هذه المرأة طَبِيْنَة تلك؛ أي: ضَرَّتها؛ سواء كان عدد الزوجات اثنتين أم أكثر. وقد ذكر ذلك في الأمثال الجازانية؛ حيث قيل: ((ماتتْ اَمْطَبِيْنَة وبَقِيتْ كراكمها))[٧]. وهذه الدلالة ماثلة في اللهجة اليمنية؛ إذ ((المُطَابَنَة: المضارَّة في الزواج، طَابَنَ الرجل على زوجه يُطَابِن مُطَابَنَة فهو مُطَابِن، والطبينة هي: الضُرَّة))[٨]. وواضح من خلال عرض الدلالات السابقة لاشتقاقات مادة (ط ب ن)؛ أن لفظة (الطَّبِيْنَة) في الاستعمال الجازاني لم تكن ضمن مشتقات تلك المادة. ولكن من الممكن جعلها صيغة مبالغة لاسم الفاعل (طَابِنَة)؛ قياساً على اسم الفاعل المذكر(طَابِن) في بيت الشعر السابق.كما أن الدلالة في الاستعمال الجازاني للفظة (الطَّبِيْنَة) (بمعنى الضَرَّة)

---

(١) ينظر: الجمهرة (طبن): ٣٨٦/١.

(٢) ينظر: النهاية (طبن):٥٥٩، ومعجم تهذيب اللغة (طبن): ٢١٦٦/٣.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط (طبن):٥٥١/٢.

(٤) ينظر: اللسان (طبن):٢٦٣/١٣، ومعجم تهذيب اللغة (طبن):٢١٦٦/٣.

(٥) ينظر: النهاية (طبن): ٥٥٩.

(٦) ينظر: كتاب الأفعال، لابن القطاع:٢٩٨/٢.

(٧) النتاف: ١٢٦٨/٣.

(٨) ينظر: المعجم اليمني (ط ب ن): ٥٨٢.

ليس صريحاً في ذلك. ولكن من الممكن تقريب تلك الدلالة عن طريق توظيف المعاني المرتبطة بمادة (ط ب ن)، ومشتقاتها؛ مثل: اسم الفاعل (طَابِن)؛ إذ من المحتمل ربط بعض الصفات المتعلقة بطبيعة الطبينة (الضَّرْة) بتلك المعاني المشار إليها من قبل؛ إذ لا يمنع أن نشبه تلك النار التي دُفنت كي لا تطفأ بتلك الطبينة (الضَّرة) التي ربما تحمل في داخلها حقدًا دفينا، وبغضا مقيتا؛ لأن الطَّبَان ((عداوة، وإحنة بين الزوجات، وليس لأي امرأة (مهما كانت عاقلة) أن تتغلب على الطَّبَان، وتحب ضَرَّتها؛ وذلك فطرة وجِبِلّة فيهنّ))[1]. كما أنه من الممكن وصف تلك الطبينة (الضرة) ببعض دلالات الطَّبْن والطَّبَن الدالة على معرفة خفايا الأمور وأسرارها، والدالة على الخداع والإفساد، واللزوق بالشيء؛ إذ ربما تكون تلك الضَّرَّة بمثابة الجاسوس المتطلّع لخفايا الأمور المتتبّع لها؛ في سبيل زرع الشر والفتنة. وعلى هذا؛ فإن لفظة (طَبِيْنة) في الاستعمال الجازاني غير واردة في المصادر اللغوية بهيئتها الوضعية، كما أنها غير صريحة الدلالة على (الضَّرَّة) في معاجم اللغة، وكتبها (حتى وإن بدا جانب التأويل في دلالتها ممكنا).

٥٨- ط ف ر (طَفَر)

أشار العقيلي (رحمه الله) إلى لفظة (طَفَرَ)، وعرض فيها معنى (الطَّفْرَان)؛ أي: الرجل الفقير المدقع الذي لا يملك شيئاً، كما عرض دلالة (الطَّفْرَة) على الوَثْبَة[2]. ونظراً لأن هناك تغييرًا حركيًا لحرف الفاء في (يَطْفِر)؛ حيث يُنطق مضمومًا في الاستعمال الجازاني (يَطْفُر)، ونظرًا لأنّ هناك توظيفا دلاليا آخر للفظة (طَفَر) المتضمنة معنى الوَثْب؛ فقد رأى الباحث توسيع الحديث عن تلك اللفظة. يقال: طَفَرَ يَطْفِر طَفْرا، وطُفورا، أي: وَثَبَ في ارتفاع، كأنْ يَثِبَ إلى ما وراء الحائط[3]. وطَفَرَ الشيء: قفز من فوق وتعدّاه إلى ما وراءه[4]. وأَطْفَرَ الراكب بعيره إطفارا؛ وذلك إذا أدخل قدميه في رُفْغَيْه إذا ركب؛ وهو عيب للراكب، وذلك إذا عدا البعير[5].

---

(١) ينظر: النتاف: ١٢٦٨/٣.

(٢) ينظر: معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان: ١٧٢.

(٣) ينظر: اللسان (طفر): ٥٠٢/٤، والنهاية (طفر): ٥٦٤، والمحكم (ط ف ر): ١٥٢/٩.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط طفر: ٥٥٩/٢.

(٥) ينظر: اللسان (طفر): ٥٠٢/٤.

والطَّفْرة: الوَثْبَة [١]، وهي أخص من الطَّفْر [٢].

لقد عرف الاستعمال الجازاني لفظة (طَفَر) بصيغها المتعددة السابقة الذكر، من حيث الماضي، والمضارع، والمصدر، واسم المرة، مع ملاحظة ضم حرف الفاء من الفعل المضارع (يَطفِر)، ليصبح (يَطْفُر) في الاستعمال الجازاني، بما يُعد لحناً؛ لأن بابه فَعَل يَفْعِل؛ ضَرَبَ يَضْرِب.[٣] أما المدلول للفظة (طَفَرَ) في الاستعمال الجازاني؛ فإنه لا يخرج عن دلالة الوثب، والقفز في ارتفاع (كما أومأ إلى ذلك العقيلي)؛ كأن يَثِب على ظهر الجمل (مثلا)، أو على حائط. وذلك هو المدلول الغالب للفظة (طَفَرَ، وطَفْرَة) في الاستعمال اللغوي الدالّ عليها. كما أن لفظة (طَفَرَ) تدل في الاستعمال الجازاني على السير قُدُماً على وَجْهٍ يحتمل السرعة، أو التهوّر والعشوائية؛ إذ يقال: طَفَرَ فلان، وفلان يَطْفُر (بضم الفاء)، وفلان طفيره. والمراد من ذلك: سيره على غير هُدى، أو ولوجه في الأمر من غير رويّة. ولعل ذلك أقرب إلى دلالة (أطْفَرَ)؛ إذ يقال: أطْفَرَ الراكب بعيره إطفاراً؛ وذلك إذا أدخل قدميه في رُفْغَيْه حين يعدو البعير؛ وهو عيب للراكب [٤]. وكأنّ في ذلك إقحاماً لذلك البعير في أمر لم يكن راغباً خوض غماره. كما أن فيه روح العجلة والتهور لما لا تحمد عقباه؛ لذا عُدّ ذلك الفعل عيباً في حق الراكب. وبهذا يحدث التوافق الدلالي بين الاستعمال اللغوي لتلك اللفظة، والاستعمال الجازاني.

* * *

---

(١) ينظر: معجم تهذيب اللغة (طفر): ٣/٢١٩٨. والمجموع المغيث (طفر): ٢/٣٥٨.

(٢) ينظر: المصباح المنير (طفر):١٤٢. وكتاب المغرّب في ترتيب المعرّب: ٢٩١.

(٣) ينظر: كتاب المغرّب في ترتيب المعرب:٢٩١. والمصباح المنير (طفر):١٤٢.

(٤) ينظر: اللسان (طفر): ٤/٥٠٢. ومعجم تهذيب اللغة (طفر): ٣/٢١٩٨.

حرف العين:

٥٩- ع ب س (العَبَس) [ع ب ص العَبَصَ]

العَبَس: ما يَبِس على هُلْب الذنب من البول والبعر، يقال: عَبِسَت الإبل في أبوالها، يعني أن تَجِف أبوالها، وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من الشَّحْم، وذلك هو العَبَس[١]. والعَبَس (أيضا): الوَذَح. وعَبِس الثوب عَبَسًا: يبس عليه الوسخ، وعَبِس الرجل: اتّسخ[٢]. ومن أمثلة دلالة (العَبَس): حديث شُريح: ((أنه كان يُردّ من العَبَس؛ يعني: العبد البَوّال في فراشه إذا تعوّده، وبان أثره على بدنه))[٣].

لفظة (العَبَس) معروفة في الاستعمال الجازاني بإبدال السين صادا (العَبَص)، وذلك من قبيل الإبدال اللغوي بين حرفي السين، والصاد، كما هو جارٍ على لسان العرب؛ حيث يقال: أجدُ في بطني مَغْسًا، ومَغْصًا[٤]. وقد سوّغ ذلك: وجود التوافق المخرجي لحرفي السين، والصاد؛ إذ مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا: مخرج الزاي، والسين، والصاد، كما أن بين حرفي السين، والصاد توافقًا في كونهما من الحروف المهموسة[٥]. أما دلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني؛ فإنك لا تكاد تسمع لفظة (العَبَص) في الاستعمال الجازاني إلا ويتبادر إلى الذهن تلك الرائحة الكريهة المنبعثة من الجسم وغيره في صورة غير مقبولة؛ إذ يقال: فلان فيه عَبَص؛ أي: رائحة متغيرة غير حميدة، وأكْل عَابِص؛ أي: كريه الرائحة.كما أنه من الوارد وصف روائح الدواب، والحيوانات التي طرأ على رائحتها طارئ غير محمود بأن ذلك من العَبَص؛ سواء كان مصدر تلك الرائحة الكريهة أبوالها، أم مرابضها. يُلحظ أنّ هناك تقاربا دلاليا بين الاستعمال الجازاني للفظة (العبص)، وبين ما هو مشار إليه من قبل في دلالة (العَبَس)؛ إذ ممّالاشَكّ فيه، أن العبد البوّال الذي ألف التبوّل في فراشه، وبان أثر ذلك التبوّل على جسمه وبدنه، لا بد أن تنبعث منه رائحة كريهة، ربما تُسدّ لها الأنُوف. أما تلك الترسّبات البولية، والروثية على أذناب وعجز تلك الدواب، والحيوانات، فإنها (أيضا) مثار كل امتعاض لمنْ شاهدها، أو لامَسَها، أو وجد ريحها. وتوقّع مثل ذلك مع تلك الثياب التي قد علاها الوسخ، والاتّساخ.

---

(١) ينظر: اللسان (عبس): ١٢٩/٦، واصلاح المنطق: ٨٣.

(٢) ينظر: المحكم (ع ب س):٥٠٣/١، ومفردات ألفاظ القرآن (عبس):٥٤٤.

(٣) ينظر: النهاية (عبس): ٥٨٨، والمجموع المغيث (عبس):٣٩٧/٢، واللسان (عبس):١٢٩.

(٤) ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطيب: ١٧٨/٢.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤-٤٣٤.

٦٠- ع ت ر (عَتَرَ)

تناول محمد الفضلي لفظة (عَتَرَ)، وعرض لها معاني: صلابة الخبز، واليد، والعود[١]. وقد ظهر للباحث إضافة دلالات أخرى لتلك اللفظة تمثّل التوافق الدلالي بين الاستعمال الجازاني. والاستعمال اللغوي الموضوع لها (مع أن تلك الدلالات لا تخرج في معظمها عن معنى الصلابة. والقوة المشار إليها عند الفضلي).

((والعَتْر: مصدر عَتَر الرمحُ يَعْتِر عَتْرا: إذا اضطرب))[٢]. والعَتَر: الشدّة، والقوة في جميع الحيوان. والعَتَّار: الرجل الشجاع، وكذلك الفرس القوي على السير[٣].

تستخدم لفظة (عَتَرَ) في الاستعمال الجازاني بنفس صورتها الكتابية، وهيئتها النطقية؛ للدلالة على معاني الصلابة. والقوة (المشار إليها آنفا)؛ تسمع أيضاً دلالة اللفظة نفسها على كل خبز صلب متجمّد، وعلى كل من يبس جلده من فَرْط برودة، أو تقادم عهد. يضاف إلى ذلك تلك المعاني التي أشار إليها الفضلي من قبل؛ مثل: الدلالة على صلابة الخبز، واليد، والعود. وهذا يدل على أن هناك تقاربًا كبيراً بين مدلول اللفظة في الاستعمال اللغوي الخاص بها. والاستعمال الجازاني المقتبس بعض دلالاتها.

٦١- ع ش ر (العُشَر)

((والعُشَر: شجر له صَمْغ، وفيه حُرَّاق مثل القُطن يُقتدح به. قال أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ): العُشَر من العِضَاه، وهو من كبار الشجر، وله صمغ حُلْو، وهو عريض الورق ينبتُ صُعُداً في السماء، وله سُكّر يخرج من شُعَبِه ومواضع زهره؛ يقال له: سُكّر العُشَر. وفي سُكّره شيء من مرارة، ويخرج له نُفّاخ كأنها شقاشق الجِمال التي تهدر فيها، وله نَوْر مثل نور الدِّفْلى مُشْرَبٌ مشرق حسن المنظر. وله ثمر))[٤]، ومنه حديث مَرْحَب: ((أن محمد بن سلمة بارزه، فدخلت بينهما شجرة من شجر العُشَر))[٥].

---

(١) ينظر: كتابه: أصالة لهجة منطقة جازان: ٢٩٩.

(٢) إصلاح المنطق: ٢٨.

(٣) ينظر: معجم تهذيب اللغة (عتر): ٣/٢٣١٩.

(٤) اللسان (عشر): ٤/٥٧٤. والمحكم (ع ش ر): ١/٣٦٠.

(٥) النهاية (عشر): ٦١٧. والمجموع المغيث (عشر): ٢/٤٥٤.

من الألفاظ التي توافقت في الاستعمال الجازاني توافقاً صوتياً، ودلالياً مع الاستعمال اللغوي، لفظة (العُشَر) المعروفة برسمها الكتابي . ونطقها الحركي في الاستعمال الجازاني . وقد جاءت دلالتها في الاستعمال الجازاني موافقة لما أشارت إليه المصادر اللغوية السابقة الذكر، مع زيادة توظيف دلالة تلك اللفظة في مجال علاج الجروح، إذ يستخدم العشَر لإيقاف نزيف الجروح الغائرة، وما شاكلها.

٦٢- ع ف ج (عَفَجَ)

يقال: عَفَجَه بالعصا عَجْفاً: إذا ضربه بها في رأسه، وظهره. وعَفَجَ الرجلُ جاريته: إذا نكحها[١].

لفظة (عَفَجَ) من الألفاظ التي نقلها الاستعمال الجازاني إلى قاموسه من غير زيادة، أو نقصان لحروفها، وحركاتها. وبقيت في الاستعمال الجازاني دالة على ما هي عليه دلالتها ؛ من ضرب مُبْرِح بالعصا ، وما في حكمها، أو من وطء ، وجماع. ولكن يضاف لها شيء آخر يقوي دلالتها في الاستعمال الجازاني ؛ ألا وهو مزاولة تلك الأفعال ممزوجة بروح العنف، والقوة ؛ سواء أكان ذلك في حالات الضرب والانتقام ، أم في حالات مشابهة لذلك. وليس ضروريًا في الاستعمال الجازاني أن يكون الضرب على الرأس، و الظهر فحسب، بل قد يشمل باقي أعضاء الجسد ؛ وذلك مشار إليه في اللسان العربي؛ حيث ذكر أن العَفْج (وهو الضرب بالعصا) قد يكون لسائر الجسد [٢]؛ بل قد يكون العَفْج الضرب باليد [٣]. وفي ذلك دلالة على توافق مدلول اللفظة في الاستعمالين.

٦٣- ع ل ط (عَلَطَ)

يقال: عَلَط البعير عَلْطاً: كواه في عِلاطه ؛ وذلك إذا أعلمه بعلامة فيه؛ فهو معلوط[٤]. وعَلَطَ فلان فلانا بشر ؛ أي: ذكره بسوء [٥]. وعلّط البعير تعليطاً: نزع عِلاطه من عنقه[٦]. وعَلَطَ بسهم ؛ أي: أصابه به[٧] .

---

(١) ينظر : اللسان (عفج):٢/٣٢٥، والمحكم (ع ف ج) :١/٣٣٧، والصحاح (عفج):١/٢٩٠.

(٢) ينظر : كتاب الألفاظ . لابن السكيت: ٧٣.

(٣) ينظر : اللسان (عفج):٢/٣٢٥، والمحكم (ع ف ج) : ١/٣٣٧.

(٤) ينظر : المعجم الوسيط (علط) : ٢/٦٢١، وكتاب الأفعال . لابن القوطية : ١٨٨.

(٥) ينظر : القاموس المحيط (علط):٨٧٦.

(٦) ينظر : اللسان (علط) : ٧/٣٥٤، ومعجم تهذيب اللغة (علط):٣/٢٥٤٦.

(٧) ينظر : التكملة والذيل والصلة (ع ل ط) : ٤/٢١٠.

عرف الاستعمال الجازاني (عَلَطَ) كما هي في صيغتها الماضية ؛ وذلك للدلالة على من يأتي الأمور بغير روية؛ يقال: فلان عَلَطَ البعير بمَيْسَم ؛ وذلك إذا كواه فأوجعه . وتدل اللفظة (أيضا) على انفلات البعير ، أو الحصان من قيده الموثوق به ، أو من صاحبه الحريص على بقائه ، ومن ثَمَّ يحاول الإسراع في الجري وراءه. وقد يستخدم للإنسان الذي يقتحم الأمور ، ويحاول الإسراع في الوصول إليها. وواضح أنّ هذا التوظيف الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني فيه تقارب دلالي مع دلالة اللفظة في مصادرها اللغوية (السابقة الذكر)؛ خاصة في دلالة كيّ البعير بالنار ، وما شاكل ذلك . ولعلّ الأقرب إلى توظيف دلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني على معنى من يُفلت من صاحبه ، ويحاول اللحاق به: لفظة (علّط)؛ لأن من مقتضيات ذلك البعير الذي نزع حبله من عنقه أنه يكون طليقا ، وبالتالي قد يسرع في جريه ، ومن ثَمَّ يمكن تشبيهه بذلك الشخص الذي اعلوّط رأسه ، فركبه، واقتحم الأمور على غير روية [1].

* * *

---

[1] ينظر : معجم تهذيب اللغة (علط) : ٢٥٤٦/٣، والقاموس المحيط (علط):٨٧٦.

حرف الغين:

٦٤- غ م س (غَمِيس) [غَمِيس]

الشيء الغميس: ((هو الذي لم يظهر للناس ولم يُعرف بعد ، ومنه حديث المولود: ((يكون غميساً أربعين ليلة، أي: مغموساً في الرَّحِم)) [١]. وكل مُلْتَفّ يُغْتَمَس فيه ، أي: يُستخفى ، فهو غميس؛ ومنه قيل لليل ، والظلمة: غميس [٢]. والغميس من النبات: هو ذلك الأخضر الذي غطّاه اليَبِيْس [٣].

لفظة (غَمِيس) من الألفاظ التي عرفها الاستعمال الجازاني بصورتها الكتابية ، والنطقية . أما دلالتها، فإنها غير صريحة الدلالة فيما دلّت عليه من قبل؛ وذلك لأنه يغلب إطلاق لفظة (غميس) في الاستعمال الجازاني على ذلك المريض الذي ألمَّ به المرض ، وتمكّن منه، وهيمن عليه؛ فهو في سُبات عميق ، وألم بالغ شديد. وواضح أن هذا التوظيف الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني ليس هو المشار إليه من قبل في تلك المعاجم اللغوية على وجه التطابق ، أو التوافق.ولكن ربما يكون هناك تقارب دلالي بين الاستعمالين: الاستعمال اللغوي الحقيقي لتلك اللفظة ، والاستعمال الجازاني ؛ وذلك في بعض جزئيات الدلالة الموضوعة لتلك اللفظة؛ إذ من الممكن تشبيه دلالة ذلك الرجل المريض الذي شد عليه الألم وطأته ، وأذهب سباتُه يقظته، وتوارى بذلك الشيء الذي لم يظهر للناس ، ولم يُعرف حاله بعد؛ سواء كان مولوداً مغموساً في الرحم ، أم شيئاً ملتفاً يمكن الاستخفاء فيه،كأنه من الممكن تشبيه حالة ذلك الرجل الذي تحوّل من صحة وعافية إلى مرض وألم ، ووصف بـ (غميس) تشبيهًابذلك النبات الغميس الأخضر الذي خالط خضرته يُبْس. أو يكون غميس بمعنى مغموس ؛ فَعِيل بمعنى مَفْعُول. أو غميس بمعنى غَمُوس؛ الدال على الأمر الشديد الغامس في الشدة والبلاء [٤]. وبهذا يحدث تقارب دلالي لتلك اللفظة في الاستعمالين ، عن طريق توظيف مقتضيات دلالات اللفظة.

---

(١) اللسان (غمس): ٦/ ١٥٧، والنهاية (غمس): ٦٧٩.

(٢) ينظر : تاج العروس (غمس):٨/ ٣٨٨، ومعجم تهذيب اللغة (غمس):٣/٢٦٩٦، واللسان (غمس):٦/١٥٦-١٥٧.

(٣) ينظر : المعجم الوسيط (غمس):٢/٦٦٢.

(٤) ينظر : تاج العروس (غمس):٨/ ٣٨٨.

٦٥- ف ر س (فِرْس) [فَرْس]

الفِرْس (بالكسر): نوع من النبات . وقد اختلف الأعراب فيه ؛ فقيل: هو التمر الأسود ، وقيل: هو القَصْقاص . وقيل: الحَبَن . وقيل: البَرْوَق. وقيل: الشِرْشَر[١].

لفظة (فِرْس) من الألفاظ المعروفة في الاستعمال الجازاني. مع إجراء تغيير حركي على حرف الفاء؛ إذ يُنطق في الاستعمال الجازاني فَرْس (بفتح الفاء) خلافاً للأصل في ذلك؛ إذ الأصل في فائه الكسر[٢]، ولم ترد بغير ذلك في معاجم اللغة ؛إلا إذا عُلل ذلك بالميل إلى الفتح؛مجاراة لبعض الألفاظ الواردة في ذلك. أما مدلوله اللغوي في الاستعمال الجازاني ؛ فإنه يُطلق على حبيبات دائرية سوداء اللون . تدخل ضمن بهارات الطعام . بما يضفي عليه نكهة ممزوجة بالمرارة والحرارة.ويظهر أن هذا المفهوم في الاستعمال الجازاني يتضمن دلالة جزئية ؛ تتمثل في كون (الفِرْس) تمرًا أسود (خاصة ما كان منه كبير حجم النواة السوداء). وهذا التشابه الدلالي الجزئي للفظة في الاستعمالين: الاستعمال اللغوي الخاص بها ، والاستعمال الجازاني المتضمن بعض دلالتها يكمن في كون (الفِرْس) نوعاً من النبات . وفي كونه أسود اللون . وفي كونه يشبه التمر (خاصة ما كبر واستدار) . أما التوظيف الدلالي للفظة في الاستعمال الجازاني المتضمن كون الفَرْس (بفتح الفاء ؛ لحناً في الاستعمال الجازاني) نوعًا من البهارات المضافة إلى الطعام ؛ فلم تشر إليه المصادر اللغوية. وعلى هذا ؛ فإنه يمكن القول بوجود تقارب دلالي لتلك اللفظة في الاستعمالين.

٦٦- ف ر س ك (الفِرْسِك) [ف ر ك س الفِرْكِس]

الفِرْسِك: الخَوْخ ؛ يمانية[٣].وقيل: ضرب من الخَوْخ . ليس يتفلّق عن نواه[٤]. وقيل: هو مثل الخَوْخ في القدر، إلا أنه أجرد . أملس، أحمر، وأصفر[٥]؛ ومنه ما ورد في حديث عمر ﷺ: ((كتب إليه سفيان بن عبد الله الثقفي ؛ وكان عاملاً له على الطائف: إنّ قِبَلَنا

---

(١) ينظر : اللسان (فرس):٦/١٦٢، ومعجم تهذيب اللغة (فرس):٣/د٢٧٦.

(٢) ينظر : اللسان (فرس) : ٦/١٦٢، والقاموس (فرس): د٧٢.

(٣) ينظر : اللسان فرسك : ١٠/د٤٧.والمعجم اليمني (ف ر س ك) : ٦٨٧.والشوارد في اللغة:٣٦٦.وفي اللهجات العربية،إبراهيم أنيس : ٢٩٩.

(٤) ينظر : الصحاح (فرسك) : ٤/د١٣١. واللسان (فرسك) : ١٠/د٤٧.

(د) ينظر : معجم تهذيب اللغة (فرسك) : ٣/٢٧٦٦. وكتاب العين (فرسك) :٧٣٦.

حيطاناً فيها من الفِرْسِك ما هو أكثر غَلَّةً من الكَرْم))[1]. وما قاله شَمِر (ت ٢٥٥هـ): ((سمعت حميريّة فصيحة، سألتُها عن بلادها فقالت: النخل قُلٌّ. ولكن عَيْشُنا امْقَمْحُ، امْفِرْسِكُ، امْعِنَبُ، امْحَمَاطُ طُوبٌ، أي: طيّب. فقلت لها: ما الفِرْسِك؟ فقالت: هو امْتِيْنُ عندكم))[2]. والفِرْسِك مأخوذ من الفارسية ((فِرْسِك))؛ والأصل يوناني[3]. وقد ذكر ابن دريد (ت٣٢١هـ): أن الفرسك عربي معروف، يسميه أهل الحجاز: الفِرْسَك[4].

لقد داخل لفظة (الفِرْسِك) في الاستعمال الجازاني القلب المكاني، وذلك بتقديم حرف الكاف على حرف السين (الفِرْكِس)، مع إبقاء حركات حروف اللفظة حسب ورودها في المعجم العربي. وقد جاء في الأمثال الجازانية (جنّي لَزِمَ فِرْكِسَة)، وهو مثل لمن لا يألف الشيء الجميل، لكنه إن أدرك منه شيئًا قبض عليه وتمسك به[5]. أما مدلولها في الاستعمال الجازاني، فهو ذلك المدلول المتضمن الخَوْخ الأجرد الأملس الذي يكون منه أحمر اللون، وأصفره. والغالب على الفِرْسِك المزروع في المملكة (خاصة منطقة عسير) اللون الأحمر. أما اللون الأصفر فإنه أكثر ما يأتي من بلاد الشام. وبهذا يحدث التوافق الدلالي لتلك اللفظة في إطلاقها على الخَوْخ في الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني.

٦٧- ف ص ى فَصَى [فَأْصَىْ]

يقال: فَصَيْتَ الشيء عن الشيء فَصْيا، أي: أزلته. وانفصى الشيء من الشيء، خرج منه، والاسم الفَصْيَة، على وزن رَمْيَة[6]. وفَصَى الشيء من الشيء يَفْصِيْه، أي: فَصَلَه. وأَفْصَى: تخلّص من خير أو شر، مثل تَفَصّى، والاسم: الفَصْيَة. وفَصَّيْتُه تَفْصِيَة: خلّصتُه[7]. والأصل في الفَصْيَة: الشيء تكون فيه، ثم تخرج منه إلى غيره، ومنه قولهم: تفصّيت من

---

(١) النهاية (فرسك): ٦٩٩.

(٢) اللسان (فرسك): ١٠/٤٧٥، وتاج العروس (فرسك): ١٣/٦٢٥، واللهجات العربية في التراث د.أحمد عالم الدين الجندي: ١/٣٩٩.

(٣) ينظر: المعجم المفصل في المعرب والدخيل، د.سعدي ضناوي: ٣٥٣، ومعجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيّد ادّى شير: ١١٨.

(٤) ينظر: الجمهرة (فرسك): ٢/٥٩٠، والمعجم الكامل في لهجات الفصحى: ٣٣٦.

(٥) ينظر: النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف: ١/٤٥٩-٤٦٠.

(٦) ينظر: المصباح المنير (فصى): ١٨١.

(٧) ينظر: القاموس المحيط (فصى): ١٧٠٣، وكتاب العين (فصي): ٧٤٥.

كذا وكذا ؛ إذا خرجت منه[1]؛قال الليث (ت ١٧٥هـ): ((كل شيء لازق فخلّصته قلت: قد انْفَصَى))[2]. وفَصَّاه منه، وعنه: خلّصه، وتفصَّى من الشيء، وعنه: تخلّص منه[3].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (فَصَىْ) ، وزاد عليها ألفا بعد الفاء (فَاْصَىْ) على وزن فَاْعَل ؛ على غرار ما هو مألوف في اللهجة اليمنية ؛ إذ يقال: ((فَاْصَىْ الشريكُ شريكه يُفَاصِيه مُفَاصَاة ؛ أي: حاسبه بمالَهُ ، وفضَّا شراكتهما ؛ فهما متفاصِيان))[4]. وقد جاءت لفظة (فَاْصَىْ) دالة في الاستعمال الجازاني على من أنقذ إنسانًا ، أو حيوانًا من مأزق ، وأخرجه منه ؛ يقال: لقد فاصى فلانٌ ذلك الطائر ، أو الحيوان من الشّباك العالقة به ، أو من ذلك الحيوان المفترس المتمكّن منه ؛ والمراد: أنه أخرجه ، وخلّصه من ذلك الموقف ، وأزال عنه الخطر المحدق به، كما يقال (أيضا): تَفَاْصَىْ فلان من فلان ؛ أي: انسلّ منه ، ولاذ بالفرار بعد أن بذل جهده ، واستخدم أساليب الحيل والمراوغة ، أو المحاولة والقوة.يظهر التقارب الدلالي بين لفظة (فَصَىْ) في الاستعمال اللغوي الموضوع لها ، ولفظة (فَاْصَىْ) في الاستعمال الجازاني ؛ وذلك عن طريق تضمّن اللفظتين معنى الخروج والتخلّص ، والفصل والإزالة (كما هو مشار إليه من قبل في المعاجم اللغوية).

* * *

(١) ينظر : غريب الحديث (فصى): ٣ /٥٣، والاشتقاق ، لابن دريد : ٣٢٤.

(٢) معجم تهذيب اللغة (فصى) : ٣/ ٢٧٩٦.

(٣) ينظر : المعجم الوسيط (فصى) : ٢/ ٦٩٢.

(٤) المعجم اليمني (ف ص ي) : ٦٩٣– ٦٩٤.

حرف القاف:

٦٨- ق ت ب (القَتَب)

القَتَب: رَحْل صغير يكون على قدر السَّنام، تقول: أقتبتُ البعير إقتابًا، أي: شددت عليه القتَب [١]. ويجوز فيه التذكير، والتأنيث، والتذكير أعم [٢]. وقال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): ((وأما القتب (من أداة البعير) فمذكّر)) [٣]. ويجمع القتب على أقتاب [٤].

لفظة القَتَب (بفتح القاف والتاء) من الألفاظ المعروفة في الاستعمال الجازاني بكامل حروفها، وحركاتها. وقد خالفت في ذلك لغة تميم (القِتْب) [٥]، مع ملاحظة أن القاف فيها تُنطق مهموسة،خلافا لما هي عليه في بعض لغات العرب،كقريش التي كان شائعا بينها جهر القاف،لكنها هُمست بعد ذلك. ومثل ذلك الصنيع في الاستعمال الجازاني ينطبق على لفظتي: (القِحف،القارح) .وهي دالة على ما أشارت إليه الدلالة السابقة (الرحل الصغير الذي يوضع على سنام الجمل، أو البعير)، وأكثر ما يكون من الخشب . ولا يعرف في الاستعمال الجازاني إلا بالتذكير، دون التأنيث. وبهذا يحدث التوافق الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني.

٦٩- ق ح ف (قَحَفَ)

لقد تناول العقيلي (رحمه الله) لفظة (قحف)، وعرض لها معاني: صوت ضربة العصا، وكِسْرة إناء الفخار، والعظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة [٦]، كما تناولها محمد فضلي، وعرض لها معاني: القطعة المكسورة من الرأس، أو الإناء [٧]، ونظراً لأن لها مدلولًا آخر غير ما ذكر يشيع استخدامه في الاستعمال الجازاني، فقد رأى الباحث الإشارة إليه، إذ من دلالات لفظة قحف: شرب ما في الإناء جميعه، يقال: قَحَفَ ما في

---

(١) ينظر: الصحاح (قتب) : ١٧٧/١، والقاموس المحيط (قتب) : ١٥٧، والآلة والأداة، لمعروف الرصافي: ٢٥٩.

(٢) ينظر: تاج العروس (قتب): ٢/٣٠٤، ومعجم المذكر والمؤنث في اللغة العربية : ١٥٦.

(٣) المذكر والمؤنث، للسجستاني : ١٢٨.

(٤) ينظر: القاموس المحيط (قتب) : ١٥٧، وتاج العروس (قتب) : ٣٠٣/٢.

(٥) ينظر: أساس البلاغة (ق ت ب) : ٣٥٤.

(٦) ينظر: كتابه : معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان : ٢٠٦.

(٧) ينظر: كتابه : أصالة لهجة منطقة جازان : ٣٥٧.

الإناء يَقْحَفُه قَحْفا ، واقتحفه، إذا شربه جميعه. والقَحْف: جَرْفُك ، وأخْذُك ما في الإناء من ثَرِيْد . وغيره [1].ومن أمثلة ذلك: ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ: ((وسُئل عن قُبلة الصائم فقال: (أُقَبِّلُها وأقْحَفُها)، أي: أترشّف ريقها ، وهو من الإقحاف: الشرب الشديد، يقال: قحفتُ قَحْفا: إذا شربتَ جميع ما في الإناء)) [2]. والقُحَافة: ((كل شيء قَحَفْتَه من إناء أو غيره فأخذته بأجمعه. وكذلك اقْحَفْتُ الشراب ، إذا شربتَ كل ما في الإناء)) [3]. واقتحفَ السيل النبات ، أي: اقتلعه ، وذهب به [4]. ويقال: سيل قُحَاف وقُعَاف ، أي: يذهب بكل شيء [5]. والقاحِف: المطر يأتي فجأة، فيقتحف كل شيء، أي: يذهب به [6].

لفظة (قَحَفَ) من الألفاظ المألوفة في الاستعمال الجازاني ، حسب رسمها ، ونطقها المعهود في مصادر اللغة. وقد حملت بين طياتها دلالات متعددة حفلت بها كتب اللغة ، أشار إلى كثير منها الباحثان المذكوران آنفًا: العقيلي ، وفضلي، وكذلك الدلالة الملحقة بذلك في هذا المبحث. ويُلحظ أن الدلالة المذكورة للفظة (قَحَفَ) تمثل ما عليه الاستعمال الجازاني من حيث توظيفها توظيفًا دلاليًا، إذ يقال في الاستعمال الجازاني: لقد قَحَفَ فلانٌ ما في الإناء من شراب ، أو طعام ، وذلك إذا استساغ الشراب، وأتى عليه كله، وقحف فلان فلانًا بكفٍّ على وجهه ، وذلك إذا استجمع قُوى راحة اليد، وتمّكن من صَفْع الوجه بصورة فيها قوة، وفيها بيان أثر ذلك. ويظهر من خلال ذلك التوافق الدلالي للفظة (قَحَفَ) في الاستعمال اللغوي الموضوع لها، والاستعمال الجازاني المتضمن دلالتها ، إذ الغالب في الدلالتين: الإتيان على الشيء ، واستفراغ مافيه ، إذ يقال: قَحَفَ قَحْفًا ، أي: كثر أكله ، وقَحَفَ الإناء قَحْفًا ، أي: استوعب ما فيه ، وقَحَفَ الفَمَّ قَحْفا ، أي: مَصّ ريقه ، وقَحَفَ المطرُ قَحْفا ، أي: فَجَأَ ، فذهب بما مرّ به ، وقَحَفَ الإنسانَ قَحْفاً، أي: ضربتَ

---

(1) ينظر : اللسان (قحف) : ٢٧٥/٩، وغريب الحديث ، الهروي (قحف) : ١٨٦/٤، والقاموس المحيط (قحف): ١٠٩٠.

(2) النهاية (قحف) : ٧٣٣.

(3) الاشتقاق ، لابن دريد : ٥٠.

(4) ينظر :المعجم الوسيط قحف : ٧١٦/٢.

(5) ينظر : الصحاح (قحف) : ١١٦٨/٣.

(6) ينظر : القاموس المحيط (قحف) : ١٠٩٠.

قِحْفَه[1]، وفي ذلك دلالة على التوسع الدلالي في مدلول اللفظة في الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني.

٧٠- ق ذ ي (قَذّى) [مُقَذِّيَة]

يقال: قَذّى عينه (بالتشديد)، أي: أخرج منها القذى، ومنه: عين مُقَذّاة [2]. وقال اللحياني (ت ٥٩٤هـ): ((قَذَّيْتُ عينه أُقذِّيها تَقْذِيَة، أخرجتُ ما فيها من قذى، أو كحل، فلم يقصره على القذى))[3]. وأقْذيتُ العين: ألقيتُ فيها القذى، وقذيّتها أخرجتُ منها القذى[4]، وأقذتْ عينه قذتْ فهي مُقْذِيَة، وأقذى عينه: ألقى فيها القذى، وأخرجه منها[5].

عرف الاستعمال الجازاني (قَذّى)، وصاغ منها مقذّي، ومُقَذّيَة، اسمي فاعل من فعل رباعي (قَذّى). وقد جاءت (مُقَذّي، مُقَذّيه) دالة على بعض من يقوم بعلاج بعض الحالات المرضية الموصوفة بالصعبة، أو المستعصية، حيث درج العرف الجازاني قديماً على قصد المقذّي، أو المقذّية، لاستخراج مادة دخلت في الأذن وصعب إخراجها، أو في العين واستعصت إزالتها، أو جرح غائر خفيت معالمه. وقد يصاحب ذلك المقذّي، وتلك المقذّية بعض علامات السحر، والشعوذة، بحيث تُحضر قطنة يُمر بها على ذلك الموضع المراد علاجه، ومن ثم إخراج تلك القطنة مصحوبة بالأذى المشتكى منه. وإذا كان الأمر كذلك، فإن ديننا الحنيف قد حرّم السحر، والشعوذة، وقصد من يزاولها ويعالج بها. ومثل هذا المفهوم معروف في اللهجة اليمنية، إذ ((المقَذّي: طبيب شعبي يدّعي أنه يخرج من الجسم ما يسبب الألم والوجع، ويدّعي أن هذا الألم أو ذاك سببه وجود جسم صلب طفيلي اقتحم الجسم، فهو يقذّي للناس، ويخرج هذه الأجسام، من إبرة، أو مسمار، أو نحو ذلك))[6]. يلحظ من خلال التوظيف الدلالي للفظة (المقذّي، المقذّية) في الاستعمال الجازاني أن هناك توسعًا دلاليًا لتلك اللفظة، وذلك لأن (قَذّى، تَقْذِيَة، قذّيتُ، مُقْذِيَة) تدل في أصل وضعها اللغوي على استخراج القذى، و الأذى،

(١) ينظر: كتاب الأفعال، لابن القوطية: ٢٢٠.

(٢) ينظر: اللسان (قذي): ١٧٣/١٥، ومعجم تهذيب اللغة (قذي): ٢٩٠٩/٣.

(٣) اللسان (قذي): ١٧٣/١٥، وتاج العروس (قذي): ٦٩/٢٠.

(٤) ينظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة: ٣٤٩، ٤٦١، وأساس البلاغة (ق ذ ى): ٣٥٩.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط (قذي): ٧٢٢/٢.

(٦) المعجم اليمني (ق ذ ي): ٧١٢.

والكحل من العين (كما اتضح سابقاً). أما في الاستعمال الجازاني فليست دلالتها مقصورة على استخراج القذى، أو الكحل من العين فحسب ، بل دلالتها شاملة لكل قذى، وأذى يمكن إخراجه، أو إيقافه ، سواء أكان شيئًا مستترًا في العين، أم الأذن يتطلب الإخراج، أم جرحا غائرا جاريا يتطلب الإيقاف. ولعلّ الأولى القول بوجود تقارب دلالي بين

(قَذَّى)، ومشتقاتها في الاستعمال اللغوي الخاص بها، و (مُقَذِّي، مُقَذِّيَة) في استعمال الجازاني ، وذلك عن طريق دلالة اسمي الفاعل في الاستعمال الجازاني على ما دلت عليه قَذَّى، ومشتقاتها في الاستعمال اللغوي. وكون ذلك مخصوصا بإزالة الأذى من العين، دون غيرها؛ ناهيك عن الإفادة من المدلول اليمني المتضمن نفس المدلول الجازاني.

٧١- ق ر ح (قَارِح)

يقال: فَرَس قارح ، أي: أقامت أربعين يوماً من حملها وأكثر حتى شَعُر ولدها[١]. وقَرَح الفرس يَقْرَح قُرُوحاً، وقَرِحَ قَرَحاً ، وذلك إذا انتهت أسنانه، وليس بعد ذلك نبات سن، أو سقوط سن[٢]، ومنه الحديث: ((وعليهم الصالغ والقارح ، أي: الفرس القارح، وهو الذي دخل في السنة الخامسة))[٣]، وقيل: السادسة[٤]، وقيل: الذي ظهر به أثر من طلوع نابه[٥]. وقال الأصمعي (ت ٢١٦هـ): ((قَرَحتِ الناقة تَقْرَحُ قُرُوحاً: استبان حملها ، فهي قَارِح))[٦].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (قَارِح) بحروفها، وحركاتها ، وذلك للدلالة على تلك الدابة التي كملت بِنْيَتُها، وتمت دُرْبتها، وتهيئتها لخدمة الإنسان؛ سواء أكانت بعيراً، أم حماراً، أم ثوراً، أم غيرذلك ، فإذا سمعت من يقول: هذا البعير قَارِح ، فمعنى ذلك: أنه أصبح مهيئاً لحمل الأثقال، وزيادة الأحمال، وكذلك إذا قيل: الحمار قَارِح ، فإنه

---

(١) ينظر : اللسان (قرح): ٢/٩٩دد.

(٢) ينظر : اللسان (قرح) : ٢/٩٩دد. وأساس البلاغة (ق ر ح) : ٣٦٠.

(٣) النهاية (قرح) : ٧٤١.

(٤) ينظر : المجموع المغيث (قرح) : ٢/٦٨٤.

(د) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (قرح) : ٦٦٦.

(٦) الصحاح (قرح): ١/٣٤٧.

يُفهم منه: حسن سيره ، واستعداده لحمل صاحبه، وتنقّله به.والشأن مع الثور القارح المعدّ لبذر الأرض ، وحرثها. يظهر من خلال الاستعمال الجازاني للفظة (قَارح) ، وتوظيفها دلالياً على كل دابة صالحة للاستعمال ، مهيأة لزيادة حمل العبء والأثقال أنه من الممكن تقريب دلالة لفظة (قارح) في الاستعمال الجازاني إلى دلالتها الموضوعة لها ؛ وذلك لأن الفَرَسَ الذي ظهر نابه، أو اكتملت أسنانه (سواء في السنة الخامسة ، أم السادسة)يوصف بـ (القَارح). وهذا يدل على اكتمال بنيتة بعد هذا السنّ ، ومن ثَمَّ قدرته على خدمة صاحبه، وكذلك الناقة القَارح التي توصف بذلك بعد اتضاح حملها. وكأن في ذلك دلالة على أن الوصف بلفظة (قارح) لا يتأتّى إلا بعد اكتمال المرحلة والمدة الزمنية المحددة لذلك الموصوف، وظهور أثر تلك المدة على الموصوف بأنه قَارح. وعلى هذا ؛ فإن هناك تقارباً دلالياً للفظة (قَارح) في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني ؛ وذلك عن طريق استشعار المدّة التي يستغرقها الحيوان بعد وضع حمله، حتى تكتمل بنية مولوده ، أو يستغرقها الفَرَس (مثلا) الذي بدت معالم نابه في الظهور ، أو تستغرقها الناقة حتى يبين حملها. ومثل تلك المعاني يمكن تقريبها في الاستعمال الجازاني على أن من وُصف بتلك الأوصاف ، فإنه قد أصبح قَارحاً لمزاولة مهامه في خدمة صاحبه.

٧٢- ق ر م (المِقْرَمَة) [ق ل م المِقْلَمَة]

القِرَام: ((ثوب ملوّن . فيه ألوان من العِهن، وهو صَفِيْق يُتخذ سِتْرًا، وقيل: هو الستر الرقيق. والجمع: قُرُم، وهو المِقْرَمَة. وقيل: المِقْرَمة: مَحْبِس الفراش . وقَرَّمه بالمِقْرَمة: حبسه بها. والقِرَام:سِتْر فيه رَقْم ونقوش، وكذلك المِقْرَم، والمِقْرَمَة))[1]. لقد حدث إبدال لغوي للفظة (مِقْرَمة) في الاستعمال الجازاني ؛ وذلك بإبدال حرف الراءِ لاماً (مِقْلَمَة).ومثل ذلك الإبدال اللغوي بين صوتي اللام ، والراء من سنن العرب، إذ يُقال: فَرَق الصبح وفَلَقه ، ورَتَبَ بالمكان ولَتَبَ ، أي: لزمه ، وواظب عليه[2]. وما ذاك ، إلا لتقارب مخرج صوتي اللام ، والراء، إذ من مخرج النون (غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام): مخرج الراء ، ولما بين الصوتين من اتفاق في صفة الجهر[3]. واستخدام اللفظة في

(١) اللسان (قرم):١٢/ ٤٧٤، والصحاح (قرم):٤/ ١٦٢٨،والمحكم (ق ر م):٦/ ٤٠٣.

(٢) ينظر : كتاب الإبدال ، لأبي الطيب:٢/ ٦٦-٦٧.

(٣) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٣،٤٣٤

اللهجـة اليمنيـة موافـق لأصواتها، ودلالتهافي المعـاجم اللغويـة ؛ إذ ((المَقْـرَمَة: الخِمـار ؛ وهو أكبر أغطيـة رأس المـرأة . تلفّـه المرأة على رأسـها عدة لفّـات . والجمع: مَقَارِم)).[1]

إنّ هنـاك تقاربـا دلاليًـابين لفظتـي (مَقْرَمـة . مَقْلَمَـة) فـي الاسـتعمال اللغـوي الأمثـل، والاستعمال الجازاني المبدل راءها لاماً؛ إذ تُطلق (المَقْلَمَة) في الاستعمال الجازاني على ذلك الخمار من القماش الملوّن المنقّش الصفيق الرقيق المتخَذ سترا . وحجاباً لرأس المرأة . ووجهها. وهذا المفهوم لتلك اللفظة المرادة موافق لدلالة (المقرمة) في اللهجة اليمنية؛ وهو الغالب على ذلك المدلول الذي أشـارت إليه المصادر السابقة ؛ إلا أن مادة (المِقْرَمَة) في المعاجم اللغوية من صُوف ؛ وفي الاستعمال الجازاني من قماش . كما أنه لم يُحدد برأس المرأة . أو وجهها، وكذلك لم يخصص بذكر . أو أنثى في استعمالاته اللغوية الخاصة به. كما أنه أُطلق فيه الستر الذي يصلح أن يكون دالاً على كل ما عُلّق، أو لُبِس، وعلى كل ساتر عن أعين الناس. وحامٍ عن الشمس وحرارتها. وبهذا يحدث تقارب دلالي بين لفظتي (مَقْرَمَة . مَقْلَمَة) ؛ في كونها ستراً رقيقًاصفيقًا ؛ فيه ألوان . ونقوش، وزخرفة. ويختلفان في كون (المِقْرَمَة) من الصوف الملوّن ، و(المِقْلَمَة) من القماش الملون.

٧٣- ق ل ص (القَلْص) [القِلْص]

القَلْص: كثرة الماء وقِلّته ؛ وهو من الأضداد؛ يقال: قَلَصَت البئر؛ وذلك إذا ارتفعت إلى أعلاها[2].

وقَلَص الماء؛ وذلك إذا ارتفع ؛ فهو قالص . وقَلِيْص . وقُلاّص [3]؛ قال امرؤ القيس:

فأوردَها من آخر الليل مَشْرَبا *** بلائقَ خُضْرًا ماؤهن قليصُ[4]

---

(١) المعجم اليمني (ق ر م): ٧١٧.

(٢) ينظر : اللسان (قلص): ٧/ ٨٠ . وكتاب الأضداد . للأنباري: ١٧١.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (قلص): ٨١٠. وإصلاح المنطق: ٢٦٤.

(٤) ينظر : ديوانه : ١١٩.

وأقلص البعير ، وذلك إذا ارتفع سنامه[1]. والقَلُوص من الإبل بمنزلة الجارية من النساء ، وهي الشابة، جمعها: قُلُص ، وقِلاص ، وقلائص [2]. وقِلاص الثلج: ((السحاب الذي يأتي به)) [3]. وأكثر ما يكون القَلْص إلى فوق [4].

لقد وردت لفظة (القَلْص) في الاستعمال الجازاني بكسر القاف (القِلْص) خلافاً للرسم الحركي لها، بما يُعد لحناً في اللسان العربي ؛ لأنه لم يرد القِلص (بكسر القاف) ،إلا إذا عومل بذلك من باب الميل إلى الكسر. أما نطقها (قُلُص) في الاستعمال الجازاني في حالة الجمع ، فهو أحد أوزان جموعها الصحيحة. أما مدلولها في الاستعمال الجازاني فإنه غير صريح في أصل وضع دلالة (القَلْص)؛ وذلك لأن مفهوم (القِلْص) في الاستعمال الجازاني: تلك السحابة المرتفعة المليئة بالماء ذات اللون الأبيض،ولكن من الممكن تقريب دلالة تلك اللفظة في الاستعمال الجازاني بما يتلاءم مع دلالتها في الاستعمال اللغوي المشار إليه من قبل ؛ وذلك عن طريق الاشتقاق ؛ إذ من المقبول حمل دلالة القَلْص (الدالة على كثرة الماء)، وحمل دلالة قِلاص الثلج(الدالة على ذلك السحاب الذي يأتي به) على تلك السحابة البيضاء المليئة بالماء في المفهوم الجازاني، كما أنه من المقبول حمل دلالة لفظة القَلْص ، ومشتقاتها (المتضمنة معاني العلو، والارتفاع) على تلك السحابة العالية المليئة بالماء المتوّجة بالبياض الناصع، وذلك عن طريق التشبيه، أو الاستعارة ؛ سواء أكان ذلك سحابة موصوفة بـ(القِلاص)، أم فَرَساً موصوفاً بأنه مُقَلِّص؛ أي: طويل القوائم ، منضم البطن، مشرف مُشمِّر [5]، أم بعيراً موصوفاً بأنه قد أقلص؛ أي: ارتفع سنامه ، أم بئرا قد قلصت ؛ أي: امتلأت إلى أعلاها [6]. وبهذا يحدث التقارب الدلالي بين الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني.

* * *

---

(١) ينظر : معجم تهذيب اللغة (قلص) : ٣ / ٣٠٣٢.

(٢) ينظر : المصباح المنير (قلص): ١٩٦، وكتاب المغرب في ترتيب المعرب:٣٩١، وكتاب شرح شافية ابن الحاجب:١/٤٥٦-٤٥٧.

(٣) أساس البلاغة (ق ل ص) : ٣٧٥.

(٤) ينظر : اللسان (قلص) : ٧ / ٨٠.

(٥) ينظر : اللسان (قلص):٧/ ٨٠.

(٦) ينظر : معجم تهذيب اللغة (قلص):٣/ ٣٠٣٢.

حرف الكاف:

٧٤- ك ب ع (كَبَع)

يقـال: كَبَعَـه عن الشـيء يَكْبَعُـه كَبْعًـا ؛ أي: منعـه[١].

والكَبْع: المَنْع ، والقَطْع [٢]، ومنه قول ذي الرمة:

تركْتَ لصوصَ المِصْر من بَيْنِ بائسٍ *** صليبٍ ومَكْبُوعِ الكراسِيعِ باركِ [٣]

وكبع اليد كَبْعاً ؛ أي: قطعها[٤].

عـرف الاسـتعمال الجـازاني لفظـة (كَبَعَ) بهيئتهـا الكتابيـة ، والنطقيـة. وقـد جـاءت دلالتها مطابقة لما هي عليه في الاستعمال اللغوي الدال على معنى القَطْع خاصة ؛ فأنت إذا سمعت الجازاني يقول لآخر في مقام الدعاء عليه: لكْ والله كَبْع ، أو يقـول مخبرًا لـه: فلان كَبَعَ إصبع فلان؛ فإنـك تفهـم مـن ذلـك الاسـتعمال الجـازاني لتلـك اللفظـة معنـى القطع. وذلك هو المدلول الموضوع بإزاء تلك اللفظة (حسب ما هو متداول في المعاجم اللغويـة). أمـا توظيـف دلالـة لفظـة (كَبَعَ) فـي معنـى المنـع ،فـذلك غيـر وارد فـي الاسـتعمال الجـازاني. وبهـذا يحـدث توافـق دلالـي لتلـك اللفظـة فـي الاسـتعمال اللغـوي ، والاسـتعمال الجازاني (خاصة معنى القَطْع).

٧٥- ك ت ن (كُتَّان) [كُتَان]

الكُتَّـان: دُوَيْبَّـة حمـراء لسّاعة ، وهـي البَقَّـة بلغـة اليمـن[٥]، والبَـقّ (أيـضا). وهـي تـشبه القَمْلَة ، منتنة الريح ، تكون في السُّرُر ، والجُدُر، إذا قتلتها شـممت لهـا رائحـة اللـوز المُر.[٦] وهـي تتلـذذ بـدم الإنـسان عنـد نومـه لـيلا ، ولا تظهـر نهـارًا إلا لجـوع شـديد وسـط أجـواء مظلمة[٧].

---

(١) ينظر : اللسان (كبع) : ٨ / ٣٠٥، والمحكم (ك ب ع) : ٢٨٧/١.

(٢) ينظر : تاج العروس (كبع) : ١١ / ٤١٥، والقاموس المحيط (كبع) : ٩٧٩.

(٣) ديوانه : ١٨٨. ومعجم تهذيب اللغة (كبع) : ٤ / ٣٠٩٥.

(٤) ينظر : كتاب الأفعال. لابن القطاع: ٣ / ٨٢.

(٥) ينظر : تاج العروس (كتن) : ٤٧٣/١٨ . والمعجم اليمني(ك ت ن) : ٧٥٩.

(٦) ينظر : اللسان (بقق): ٢٣/١٠. والمخصص : ٢ / ٢١٧.

(٧) ينظر : المعجم اليمني (ك ت ن) : ٧٥٩.

لفظة كُتَّان (بتشديد التاء) معروفة في الاستعمال الجازاني، مع إجراء تحويل التاء المشددة تاء مخففة (كُتَان) ؛ بما يمثل لحناً في الاستعمال اللغوي الصحيح لها، إلا إذا علل ذلك بالميل إلى التخفيف. أما دلالتها في الاستعمال الجازاني فهي تلك الدلالة اللغوية المشار إليها من قبل المتضمنة إطلاقها على تلك الدويبة الصغيرة اللسّاعة، ذات اللون الأحمر، والرائحة الكريهة، المختبئة بين جنبات السرير، أو الظاهرة على الجُدُر. ولا تعرف في الاستعمال الجازاني إلا بـ (الكُتَان). أما الأسماء البديلة لها كـ(البَق، البَقَّة)، فغير معروف، ولا مستعمل في العرف الجازاني. وبهذا يحدث التوافق الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي الخاص بها، والاستعمال الجازاني الموافق لدلالتها.

٧٦- ك ز م (الكَزَم)

الكَزَم: ((قِصَر في الأنف قبيح، وقِصَر في الأصابع شديد))[1]. ويكون في القَدَم، يقال: أكْزَمُ القَدَم: بَيِّن الكَزَم[2]. ويكون (الكَزَم) في الأنف، والأذن، والشّفة، اللّحْي، والفم، واليد، والقدم دالًا على القِصَر، والتقلّص، والاجتماع[3].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (كَزَم) بحروفها الكتابية، وحركاتها النطقية. وجاءت دلالتها في الاستعمال الجازاني قريبة من دلالتها المشار إليها سابقًا، وذلك لأن لفظة (كَزَم) تُطلق في الاستعمال الجازاني على الرجل قصير القامة، قصير الأعضاء، والأطراف. وقد يصاحب مثل تلك الأوصاف ضآلة الجسم، وقصر الحجم. ومثل تلك الدلالة مفهومة من كون الكَزَم (في الأذن، والأنف، والشفة، واللَّحي، والفم، واليد، والقدم) دالًا على القِصَر، والتقلّص، والاجتماع[4]. وإذا كانت دلالة لفظة (الكَزَم) في الاستعمال الجازاني قريبة من دلالتها في المعاجم اللغوية السابقة الذكر، فإنه من الممكن القول بتطابق الدلالتين في الاستعمالين ؛ وذلك عن طريق الإبدال اللغوي ؛ بحيث تبدل الكاف في الكَزَم) قافاً في الاستعمال الجازاني (قَزَم) ؛ وذلك للدلالة على الضئيل

---

(١) ينظر : كتاب العين (كزم):٨٤١.

(٢) ينظر : إصلاح المنطق : ٦٣.

(٣) ينظر : المحكم (ك ز م) : ٧٤٣/٦، واللسان (كزم) : ٥١٨/١٢.

(٤) ينظر : اللسان (كزم) : ٥١٨/١٢، والمحكم (ك ز م) : ٧٤٣/٦.

الجسم . القصير القامة [1]. وقد جوّز ذلك الإبدال اللغوي بين حرفي الكاف ، والقاف: القرب المخرجي ؛ إذ ((من أقصى اللسان . ومافوقه من الحنك الأعلى: مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ، ومما يليه من الحنك الأعلى: مخرج الكاف)) [2]. ومثل ذلك الإبدال اللغوي بين ذلك الحرفين من سنن العرب؛ إذ يقال: أعرابي قُح ، وكُح [3].

* * *

---

(1) ينظر : المعجم الوسيط (قزم): ٧٣٣/٢. واللسان (قزم):٤٧٧/١٢.

(2) الكتاب : ٤٣٣/٤.

(3) ينظر : كتاب الإبدال . لأبي الطيب : ٣٥٧/٢.

حرف اللام:

٧٧- ل أ ي (اللَّأى) [اللّا]

اللَّأى (بوزن اللَّعَا): الثور الوحشي . وقيل: إنها البقرة من الوحش خاصة. وقيل: اللّأى: البقرة ، ومنها قولهم: بكم لآك، أي: بكم بقرتك. وتثنية اللَّأى: لَآيَان. وجمعها: ألآء ، مثل: ألعاع، وأجبال. والأنثى: لآة ، مثل: لَعَاة ، ولأىً بغير هاء [١].

لقد جرى تغيير صوتي على لفظة (اللَّأى) في الاستعمال الجازاني ، حيث تنطق (اللّا) ، وذلك بحذف الهمزة من الألف الواقعة بعد اللام (فاء الكلمة)، من باب تأثر لهجة محافظة صامطة بلغات العرب القديمة التي سكنت جنوب الجزيرة العربية،مثل قبيلة طيء التي عَرفت الوقف بالحذف على أواخر اللفظة(كما سبق إيضاحه في لفظة الحداء) ، مع التوافق في الدلالة على البقرة (خاصة) في الاستعمال الجازاني، دون الثور. ولا تُطلق في الاستعمال الجازاني إلا على البقرة الأهلية ، دون الوحشية. ولعلّ ذلك موافق لما ذهب إليه أبو عمرو(ت ٢٥٥هـ) ، عندما أطلق دلالة (اللَّأى) على البقرة دون تخصيص [٢]. وبذلك يكون مدلولها في الاستعمال الجازاني موافقًا لذلك المدلول المشار إليه من قبل في المعاجم اللغوية (مع الاختلاف في تخصيص (اللّأى) في الاستعمال اللغوي بالثور الوحشي ، أو البقر من الوَحْش خاصة).

٧٨- ل ع ط (لَعَطَ)

يقال: لَعَطَه بسهم ، ولعطه بعين ، وذلك إذا أصابه [٣]. ولَعَطَه ، أي: كواه في عُرْض العُنق ، ومنه الحديث: ((أنه عاد البراء بن معرور وأخذتْه الذُّبحة ، فَأَمَرَ مَنْ لعطه بالنار))، أي: كواه في عنقه [٤]. ولَعَطَه بأبيات ، أي: هجاه بها . ولَعَطَه بعينه ، أي: أصابه ، وهو من قبيل المجاز [٥].

---

(١) ينظر : اللسان (لأي): ٢٣٨/١٥. والصحاح (لأي) : ١٩٧١/٥.

(٢) ينظر : اللسان (لأي) : ٢٣٨/١٥، ومعجم تهذيب اللغة (لأي) : ٣٢٢٣/٤.

(٣) ينظر : كتاب الألفاظ ، لابن السكيت : ٩١ ، والمحكم (ل ع ط) : ٥٤٥/١ ، وكتاب الأفعال ، لابن القطاع: ١٣٨/٣.

(٤) تاج العروس (لعط) : ٣٩٩/١٠.

(٥) ينظر : أساس البلاغة (ل ع ط) : ٤١٠.

لفظة (لَعَطَ) معروفة في الاستعمال الجازاني بكامل دلالتها الحقيقية، والمجازية (السابقة الذكر)؛ إذ تسمع الجازاني يخبر عن حالة مضاربة (مثلا) قائلا: لقد لَعَطَ فلان فلانًا بسوط، أو عصا؛ أي: ضربه فآلمه، وذلك من قبيل توظيف دلالة اللفظة على الحقيقة. ومثله يقال: لَعَطَ صاحب البعير بعيره بِمَيْسَم، أي: كواه به. أما في مجال توظيفها من باب المجاز، فإنه يقال: لقد لَعَطَ الشاعرُ فلانًا بأبيات من الشعر؛ أي: ذَمَّه وهجاه. وقد لعط ذلك النزّار(العَيَّان) فلانًا بعينه، أي: أصابه. وبهذا يتضح التوافق الدلالي لتلك اللفظة في الاستعمال اللغوي الدالّ عليها ،و الاستعمال الجازاني الموافق لدلالتها.

٧٩- ل ع ط (لَعَطَ) [لَعَطَ]

يقال: لَعَطَت الإبل، أي: رعت . ويقال: إبل فلان تَلْعَطُ المَلَاعِط، أي: ترعى قريبًامن البيوت [١]. ولَعَطَت الإبل لَعْطًا، والتعطت، أي: لم تبعد في مرعاها، ورعت حول البيوت [٢]. والمَلْعَط: كل مكان يُلعط نباته، أي: يُلْحَس من المراعي. أو المرعى القريب حول البيوت [٣].

لفظة (لَعَطَ) معروفة في الاستعمال الجازاني بهيئتها الكتابية، والحركية (حسب رسمها في المعاجم اللغوية) . أما دلالتها اللغوية في الاستعمال الجازاني، فإنها غير متطابقة مع الدلالة السابقة؛ وذلك لأن لفظة (لَعَطَ) تدل في الاستعمال الجازاني: على مَنْ يلحس أصابعه بلسانه بعد الفراغ من الأكل . وهذا المعنى موافق لمعنى اللفظة في اللهجة اليمنية، إذ ((اللَّعْط: اللَّحْس، لَعَطَ فلان الشيء يَلْعَطُه لَعْطًا: لحَسَه. ولَعَّط (بتضعيف العين) تفيد الإكثار من ذلك)) [٤]. تلك الدلالة الجازانية قريبة من الدلالة اللغوية الموضوعة لتلك اللفظة، وذلك لأن من دلالة لفظة لَعَطَ (السابقة الذكر، ومشتقاتها): رعي الإبل ، ولحس المراعي. أما وجه الاختلاف بين الدلالتين: فإن دلالة الرَّعْي، ولَحْس المراعي خاص بالإبل (كما هو مشار إليه). لكن من الممكن جعل لفظة (لَعَطَ) لأكل الإنسان، بدلاً عن أكل، ورعي الإبل. كما أنه من الممكن جعل (المَلْعَط) لذلك اللسان

---

(١) ينظر : معجم تهذيب اللغة (لعط): ٤/ ٣٢٧٢ . والقاموس المحيط (لعط) : ٥٨٨.

(٢) ينظر : المحكم (ل ع ط) : ١/ ٥٤٥.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (لعط) : ٥٨٨. وتاج العروس (لعط) : ١٠/ ٩٣٣.

(٤) المعجم اليمني (ل ع ط) : ٨٠٧.

البشري الذي يلحس به بقايا الطعام في الأصابع أو اليد. وبهذا يحدث التقارب الدلالي بين الاستعمال اللغوي الموضوع لتلك اللفظة، والاستعمال الجازاني الموظّف لتلك اللفظة، ومشتقاتها. أما مدلول اللفظة في اللهجة اليمنية، والاستعمال الجازاني فواحد؛ وهو الاتفاق في معنى اللّحس.

٨٠- ل ي م (لَيْمُون) [لِيْم]

اللَّيْمُون: ثمر معروف، وهو على نوعين: حُلْو ومالح. وهو مما تقاوم به السُّموم كلها شرباً مع قليل من الملح، ويسكّن الصفراء حالاً، وهو كثير المنافع. وهو بخلاف الحُلو في الخواص؛ ولذا قيل: كل حُلو دواء إلا الليمون، وكل حامض أذى إلا الليمون[1]. وهو من الفارسية ((لَيْمو))[2].

على الرغم من المعرفة التامة بـ (اللّيمون) كتابة، ونطقاً، ودلالة؛ إلا أن الباحث أراد ذكره هنا؛ إشارة إلى ما يطرأ على حروفه في الاستعمال الجازاني؛ حيث يحذف منه حرفا الواو والنون (لِيم)، وذلك مجاراة لما ذهبت إليه بعض المعاجم اللغوية من الإشارة إلى حذف واوه، ونونه، وذلك بعَدِّهما زائدتين[3]، أو من قبيل الوقف بالحذف في لغات بعض العرب، كقبيلة طيئ السابق الحديث عنها عند لفظتي (الحداء، اللأى). وهناك ملمح آخر تجدر الإشارة إليه، وهو أن كسر اللام (لِيم) في الاستعمال الجازاني يُعد من قبيل فعل العامة،[4] وكذلك فعل الخاصة الذين يقولون: ليمونة، وليمون (بكسر اللام)[5]؛ لأن الأصل فيه الفتح[6]. أما دلالة الليمون في الاستعمال الجازاني، فإنها تلك الدلالة المعروفة المألوفة له في كتب المعاجم المشار إليها آنفاً، سواء أكان ذلك

في نطقه (ليمون)، أم (لِيم)، حيث ذكر أنّ ((اللِّيْم (بكسر اللام): شجر عظيم له ثمر شبه النَّبِق، إلا أنه أطول منه، مُرّ، وفيه حلاوة يسيرة))[7].

---

(١) ينظر: تاج العروس (ليم): ١٧/٦٧٣.

(٢) ينظر: معجم الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٢، والمعجم المفصل في المعرب والدخيل: ٤١٢.

(٣) ينظر: معجم المعربات الفارسية: ١٦٣، وشفاء الغليل، للخفاجي: ٢٦٦، والمصباح المنير (ليم): ٢١٤.

(٤) ينظر: تاج العروس (ليم): ١٧/٦٧٣.

(٥) ينظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي: ١٩٦.

(٦) ينظر: القاموس المحيط (لوم): ١٤٩٨، وتاج العروس (ليم): ١٧/٦٧٣.

(٧) ينظر: التكملة والذيل والصلة (ل ى م): ٧/٧٧.

حرف الميم:

٨١- م ر خ (المَرْخ)

المَرْخ من شجر النار معروف . يُتخذ منه الزّناد[١]. قال أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ): ((المَرْخ من العِضَاة ، وهو يتفرّش . ويطول في السماء حتى يُستظل فيه، وليس له ورق ، ولا شوك ، وعيدانه سَلِبَة . وقضبانه دِقاق . وينبت في شعب وفي خشب، ومنه يكون الزناد الذي يُقتدح به ، واحدته: مَرْخة))[٢]. وهو سريع الوَرْي . كثير الشجر[٣].

المَرْخ معروف في الاستعمال الجازاني بكامل هيئته الكتابية ، والحركية . وبكامل دلالته اللغوية ، إذ هو ذلك الشجر الأخضر المفترش في الأرض الخالي من الشوك، والأوراق ، ذو العيدان الرقيقة، المستفاد منه في إيقاد النار للتدفئة ، أو الطبخ (خاصة استخدام أصحاب المطابخ له في طبخ اللحوم)، كما يُستخدم في العرف الجازاني في فَتْل بعض الحبال ، وتغطية بعض البيوت. ومؤنثه مَرْخَة.

٨٢- *م ر ك ل (مَكَل) [ح ك ل حكل]

أشار العقيلي (رحمه الله) إلى لفظة (حَكَل) ، وذكر من معانيها: نَضْبَ ماء البئر . وقد علّق على ذلك ، فذكر أن لفظة حكل (كماهيَ في الاستعمال الجازاني) ليست متفقة معنىً مع كتب اللغة[٤]. وقد فاته في ذلك معرفة أصل الكلمة؛ إذ هي في أصل وضعها اللغوي (مَكَل) ، وليس (حَكَل) (كما هي في الاستعمال الجازاني) . ومن دلالة لفظة (مَكَل) ، ما قيل: مَكَلت الرَّكِيَّة مكولًا ، فهي مَكُول: نُزِحَ ماؤها[٥]. والمُكْلَة: الشيء القليل من الماء يبقى في البئر ، أو الإناء ، يقال: قليب مُكُل ، ومُمْكَلَة ، وممكولة ، أي: التي قد نُزح ماؤها[٦]. وقال أبو عبيدة (ت ٢٤٤هـ): ((وبئر مَكُول: وهي التي يقل ماؤها ، فَتُستَجَمُّ حتى يجتمع الماء في أسفلها ، واسم ذلك المكان: المُكْلَة))[٧].

---

(١) ينظر : معجم تهذيب اللغة مرخ : ٤/٣٣٧٢.

(٢) ينظر : المحكم (م ر خ):٥/١٩٢.

(٣) ينظر : الصحاح (مرخ) :٣٧٨/١. والقاموس المحيط (مرخ): ٣٣٢.

(٤) ينظر : كتابه : معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان :٧٣.

(٥) ينظر : القاموس المحيط (مكل):١٣٦٧.

(٦) ينظر : اللسان (مكل) : ٦٢٨/١١. والمحكم (م ك ل):٧/٥٤.

(٧) الغريب المصنف . أبو عبيدة القاسم بن سلام الهروي : ٢٠١/١. والمخصص : ٣/٢٧.

يُلحظ من خلال عرض لفظة (مَكَل) أنه قد طرأ عليها إبدال لغوي عن طريق الاستعمال الجازاني؛ وذلك بإبدال حرف الميم حاء (حَكَل). ومعلوم أنّ مثل هذا الإجراء الصوتي بين تبادل حرفي الميم، والحاء يُعدّ غير مقبول في نظر أولئك اللغويين، ومن حذا حذوهم ممن يشترط وجود علاقة صوتية بين الحرفين المتبادلين؛ إما عن طريق اتحاد المخارج، أو تقاربها، وإما عن طريق التوافق في الصفات الصوتية؛ مثل: الجهر أو الهمس والشِدَّة والرخاوة، الإطباق والانفتاح.وليس بين حرفي الميم، والحاء في (مكل، حكل) إلا التوافق في كونهما من الأصوات المنفتحة. وهذا التوافق الصوتي في صفة الانفتاح يمنح الإبدال اللغوي في اللفظتين السابقتين قبولاً؛ ناهيك عن كون العرب قد أبدلت الحاء من الميم؛ فقالوا: حَتَدَ بالمكان ومَتَدَ؛ أي: أقام به[1]. أما المدلول اللغوي لـ (مَكَل، حَكَل)؛ فإنك تلحظ توافق دلالة الاستعمال الجازاني لتلك الدلالة الخاصة بلفظ (مَكَل)، ومشتقاتها؛ إذ لا يُعرف (الحَكَل) في الاستعمال الجازاني إلا في الدلالة على قلة الماء في البئر، أو نضوبه، وعلى ذهاب ماء البئر سُفْلا؛ الأمر الذي يتطلّب إزاحة طبقة ترسبات من الأتربة، وغيرها من باطن البئر، بما يمثل عُمقاً سفلياً يُستخرج عن طريقه الماء الجم الكثير. وهذا المدلول اللغوي لتلك اللفظة في الاستعمال الجازاني هو ذلك المدلول الموضوع لتلك اللفظة في كتب المعاجم اللغوية.

* * *

(١) ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطيب: ٣١٢/١.

حرف النون:

٨٣- ن ج ف　(نَجَفَ)　[نَجّفَ]

عرض محمد الفضلي لفظة (النَّجْف). وذكر لها معنى الضّرب بالعصا؛ لاستخراج السنابل[١]. ويبقى لها مدلول آخر في الاستعمال الجازاني يتمثّل في أخذ الشيء بالقوة؛ إما عن طريق خطفة، أو عن طريق اغتصابه وأخذه قهراً. ومثل هذا المعنى المراد قريب من دلالة اللفظة في كتب المعاجم اللغوية؛ إذ يقال: نَجَفَ الشجرة من أصلها؛ أي: قطعها. وانْتَجَفَ الشيء؛ أي: استخرجه. وانْتَجَفَ غنمه؛ أي: استخرج أقصى ما في ضرعها من اللَّبَن. وانْتَجَفَتِ الريحُ السحاب؛ أي: استفرغته[٢]؛ ومن ذلك قول الشاعر يصف سحابا:

مَرَتْه الصَّبَاوَرَفَته الجَنُو *** بُ وانتجفتْهُ الشَّمَالُ انتجافا[٣]

ونَجَّفَ: مبالغة في نَجَفَ؛ يقال: نَجَّفَ الشيء؛ أي: رَفَعَه وأعلاه. ونَجَّفَ لـه من الشيء؛ أي: عَزَلَ له بعضه[٤].

غلب على لفظة (نَجَفَ) في الاستعمال الجازاني تشديد الجيم (نَجَّفَ)؛ لإرادة المبالغة في الحدث؛ وذلك للدلالة على كل من سلب شيئاً ليس له؛ إما تسلّطًا وجبروتًا، وإما تربّصًا واستغلالًا، وإما ضعفا واستسلاما؛ إذ يقال في الاستعمال الجازاني: ذلك المسؤول نَجَّفَ أرض فلان؛ أي: أخذها منه قهراً وقوة. وذلك الوَصِيّ على اليتيم نَجَّفَ منه ماله؛ أي: أخذه استغلالا. وقد أمر القاضي على فلان بأن ينجّف منه ولدهُ لصالح أمه؛ أي: يأخذه من ذلك الأب، طوعًا منه أو استسلاما. يلحظ أنّ دلالة اللفظة في الاستعمال الجازاني قريبة من أصل دلالتها اللغوية السابقة الذكر؛ وذلك لأن المعاني الجازانية محتملة معنى استخراج الشيء بأقصى صور استخراجه، واستخراج جميع أجزائه ومحتوياته؛ فقد ذكر أبو عبيد(ت٢٤٤هـ) عن الأموي: ((انتجفتُ الشيء انتجافًا. وانتجثته

---

(١) ينظر: أصالة لهجة منطقة جازان: ٤٤٠.

(٢) ينظر: تاج العروس (نجف): ٤٩٢/١٢. واللسان (نجف): ٣٢٤/٩. والصحاح (نجف): ١١٨٢/٣.

(٣) ينظر: اللسان (نجف): ٣٢٤/٩. والمحكم (ن ج ف): ٤٥٨/٧.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (نجف): ٩٠٤/٢.

انتجاثًا ؛ إذا استخرجته))[1]. ونَجَّفَ له الشيء ، ونَجَفَ: أي: عزل له بعضه، أو أخذ الشيء برمته،[2] قياسًا على ما قاله ابن عباد: ((نَجَفَ الشجرة من أصلها ؛ أي: قطعها)) .[3] وبهذا يحدث التقارب الدلالي للفظة نَجَفَ ، نَجَّفَ (الجائز بينهما التشديد والتخفيف) في المفهوم اللغوي الخاص بها ، والمفهوم الجازاني المقتبس من دلالتها معاني: استخراج الشيء مع الاستقصاء فيه ؛ إما بالقطع والإزالة ، وإما بالحَلْب والانتفاع ، وإما بأخذ الأكثر وترك البعض.

٨٤- ن خ ش (نَخَشَ)

يقال: نَخَشَ فلان فلانًا ؛ إذا حرّكه وآذاه. ونَخَشَ البعيرَ بطرف عصاه ؛ إذا خَرَشَه وساقه[4]. وقيل: النَّخْش: الخَدْش (بالدال) ؛ والصواب بالراء (خَرْش)[5].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (نَخَشَ) من غير تحريف كتابي ، أو نطقي لها . وجاءت دالة على كل من ألحق ضرراً ، أو أذى بأنف إنسان ؛ يقال: فلان نخش فلانًا ؛ أي: أصابه في أنفه بعصا ، أو حديدة ، أو آلة مدبّبة. وظاهر من تلك الدلالة في الاستعمال الجازاني لتلك اللفظة شبه التقارب الدلالي مع ما هو مدوّن في المعاجم اللغوية (المشار إلى بعضها آنفا) ؛ حيث دلالة إلحاق الأذى بالمنخوش ؛ سواء أكان إنسانًا ، أم بعيراً ، أم غيره، وكذلك تحريك ذلك المنخوش ؛ إما عن طريق العصا ، وإما عن طريق سوقه وتوجيهه إلى الجهة المحددة ، أو المكان المطلوب. أما التحديد الذي هو دارج في الاستعمال الجازاني بالأنف دون سواها من سائر الأعضاء ؛ فذلك أمر لم تشر المعاجم اللغوية إلى تخصيصه. وبهذا يحدث شبه تقارب دلالي للفظة (نَخَشَ) في الاستعمال اللغوي لها ، والاستعمال الجازاني المتوافق معها في بعض الدلالات الجزئية ؛ مثل: استخدام طرف العصا في حالة النَّخْش، وحصول التحريك بوسيلة (ما) ، وإلحاق الأذى بالمنخوش.

---

(١) معجم تهذيب اللغة (نجف): ٤/ ٣٥٢٢.

(٢) ينظر : الوسيط الوسيط (نجف):٢/ ٩٠٤.

(٣) تاج العروس (نجف) : ١٢/ ٤٩٢.

(٤) ينظر : اللسان (نخش) : ٦/ ٣٥٢، ومعجم تهذيب اللغة (نخش) : ٤/ ٣٥٣٦.

(٥) ينظر : تاج العروس (نخش) : ٩/ ٢٠٦.

٨٥- ن د ش (نَدَشَ)

يقال: نَدَشَ عن الشي يَنْدِشَ نَدْشاً ، أي: بحث [١]. وقد روى أبو تراب (ت ٢٤٥هـ) عن أبي الوازع: ((نَدَفَ القطن وندشه بمعنى واحد، قال رؤبة: في هَبَراتِ الكُرْسُفِ المندوش))[٢]. والنَّدْش (كالضَّرْب): البحث عن الشيء [٣].

لفظة (نَدَشَ) معروفة في الاستعمال الجازاني حسب رسمها في المعاجم اللغوية . وهي دالة في الاستعمال الجازاني على الضَّرب ؛ إما الضَّرْب الحقيقي بالعصا، ونحوها . وإما الضَّرْب المجازي بمعنى البحث عن الشيء؛ فمن مثال الأول في الاستعمال الجازاني: أنْدُشَك بالمِنْدَشة ؛ أي: أضربك بالعصا. ونَدَشْتُ فلانا ؛ أي: أصبتُه بأذى في بطنه ، ونحوه؛ وذلك إذا غارت الأصابع في طيات البطن بما يترك لها أثرًا بارزًا . ونَدَشَ فلان القبر ؛ أي: شدّ وطأة المسحاة عليه ، حتى تمكّن من حفره في وقت قياسي قصير. ونَدَشَت الدابة الكيس؛ أي: قطعته بحثاً عن أكلها. ومن مثال الثاني: أنت يا فلان تُنَدّشُ عن أخبارٍ ماضية؛ أي: تبحث عنها باذلاً فيها أقصى جهدك ، وأعلى طاقتك . وقريب من تلك المعاني ما هو معروف في اللهجة اليمنية من دلالات اللفظة على معاني: فكّ الشيء وحلّ رباطه ، وبعثرة الشيء ، ونثر الأحشاء [٤].وبهذا يحدث التوافق الدلالي للفظة (نَدَشَ) في الاستعمال اللغوي الموضوع إزاءها . والاستعمال الجازاني الموافق لدلالتها (خاصة دلالة البحث عن الشيء والضَّرْب). واللهجة اليمنية.

٨٦- ن ش ف (نَشِفَ)

يقال: نَشِفَ الماء ؛ أي: يَبِس [٥]. ونَشِفَ الماء بنفسه ؛ أي نَضِبَ [٦]. ونَشَفَ الماء يَنْشِفُه نَشْفًا . ونَشِفَه: أخذه من غدير ، أو غيره بخرقة . أو نحوها [٧]. ونَشَفَ الشيء نَشْفا: جَفّ ؛ يقال: نَشَفَت الأرض ، ونَشَفَ الثوب . ونَشَفَ الماء ، ونَشَفَ الثوب العرق [٨].

---

(١) ينظر : الجمهرة (ندش) : ٧٧٣/١. وكتاب الأفعال . لابن القطاع ٣/٥٢٦.

(٢) معجم تهذيب اللغة ندش ٤/٥٤١٣ .

(٣) ينظر : القاموس (ندش) : ٧٨٣ . وتاج العروس (ندش) : ٢٠٦/٩.

(٤) ينظر : المعجم اليمني (ن د ش): ٨٥٨.

(٥) ينظر : اللسان (نشف) : ٣٢٩/٩ . والمحكم (ن ش ف) : ٧٦/٨.

(٦) ينظر : أساس البلاغة (ن ش ف) : ٥٤٧.

(٧) ينظر : اللسان (نشف) : ٣٢٩/٩.

(٨) ينظر : المعجم الوسيط (نشف) : ٩٢٣/٢.

وأصل النَّشْف: دخول الماء في الأرض والثوب ؛ يقال: نَشِفَت الأرضُ الماء تَنْشَفُه نَشْفًا ؛ أي: شربته[1]. ونَشِفَه الثوب ينشفه ؛ أي: شربه . وتَنَشَّفَ الرجل ؛ أي: مسح الماء عن جسده بخرقة ونحوها[2]. والنَّشْفة: الصُّوفة التي يُنْشَف بها الماء عن الأرض[3]، ومنه حديث أبي أيوب ﷺ: ((فقمتُ أنا وأمُ أيوب بقطيفة مالنا غيرُها نُنَشِّف بها الماء))[4]. والمنْشَفَ: ما يُنْشَّف به الماء ، وفوطة يُنَشَّف بها الوجه واليدان وغيرهما؛ جمعها مناشِف[5]. والنُّشْفَة: الشيء القليل يبقى في الإناء؛ وهو مثل الجرعة[6]، وما أُخذ من القدر بمغرَفَة وهو حارٌّ فَحُسِيَ[7].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (نَشِفَ) بصيغها المتعددة حسب رسمها المعجمي، وحسب مدلولها اللغوي؛ حيث جاءت دالة في الاستعمال الجازاني على جفاف الشيء بعد نضوب الماء عنه ، ومن ثم يُبْسُه ؛ حيث تسمع في الاستعمال الجازاني: نَشِفَ السيلُ عن أرض فلان ؛ أي: نضب وغار في الأرض ؛ فجفت تلك الأرض وييست. ونَشَفَت المزرعة ؛ أي: جفّت بعد أن كانت غضة طرية. ونَشّفي الثيابَ بالنشّافة، ونَشِّف يدك من الماء ؛ أي: أزل الماء بواسطة تلك الأداة ، حتى يبدو الثوب ، واليد جافّين غير ميلولين.كما جاءت (النُّشْفة) في الاستعمال الجازاني دالة على من شربَ لبنًا، أو حساء بصورة قليلة، أو اغترف بمغرفة من قدر وغيره مرقة ونحوها بطريقة يتذوّق بها طعم ذلك المشروب دون الإسراف أو المبالغة في شربه. وجميع تلك الدلالات المشار إليها للفظة (نَشِفَ) في الاستعمال الجازاني مع صيغها الأخرى مطابقة لما ذهبت إليه الدلالة الموثقة من مصادر ، ومراجع اللغة ، وما كان على منوالها.

---

(1) ينظر : اللسان (نشف) : ٩/ ٣٢٩.

(2) ينظر : المصباح المنير (نشف) : ٢٣١.

(3) ينظر : معجم تهذيب اللغة (نشف) : ٤/ ٣٥٧٧.

(4) المجموع المغيث (نشف) : ٣/ ٣٠٢.

(5) ينظر : المعجم الوسيط (نشف) : ٢/ ٩٢٣.

(6) ينظر : اللسان (نشف) : ٩/ ٣٢٩.

(7) ينظر : القاموس المحيط (نشف) : ١١٠٦، والمعجم الوسيط (نشف) : ٢/ ٩٢٣.

٨٧- ن غ ش (نَغَشَ) [ب غ ش بَغَشَ]

يقال: نَغَشَ فلان ؛ أي تحرّك بعد أن غشي عليه [١]، ومنه طلب الرسول (ﷺ) عند ما قال: ((من يأتيني بخبر سعد بن الربيع ؟ قال محمد بن مسلمة: فرأيته وسط القتلى صريعاً . فناديته فلم يجب . فقلت: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك . فتنغَّش كما يتنغَّش الطير ؛ أي: تحرّك حركة ضعيفة)) [٢]. ونَغَش فلان إلى فلان: مال إليه [٣]. ((والنَّغْش ، والانتغَاش، والنَّغَشَان: تحرّك الشيء في مكانه ؛ تقول: دار تَنْتَغِشُ صِبْيَانا، ورأس تَنْتَغِش صِئْبَانا)) [٤]. والدار تنتغش بهم ؛ أي: تموج بهم [٥]. والنُغَاش: الرجل القصير الضعيف الحركة [٦].

لقد حدث إبدال لغوي للفظة (نَغَشَ) في الاستعمال الجازاني ؛ حيث حلّ حرف الباء مكان حرف النون (بَغَشَ) ؛ وذلك بحكم التوافق الوصفي لحرفي النون والباء ؛ لأنهما من الحروف المجهورة [٧]. التي تبادلت في الاستعمال العربي؛ حيث يقال: الرجلان بِدَّان ونِدَّان ؛ بمعنى نظيران ، ومحل شَاطِب وشاطن ؛ أي: بعيد [٨].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (نَغَشَ) . وأحلّ مكانها (بَغَشَ) ؛ وذلك للدلالة على الحركة الضعيفة؛ يُقال: قام المريض يَبْغَش من مرضه ؛ أي: يتحرك حركة ليست بالسريعة . ولابالقويّة. كما تدل اللفظة في الاستعمال الجازاني (أيضا): على كثرة الحركة؛ يقال: بيت فلان يَبْغَش بالأولاد . وبَغَشَ القملُ في رأس فلان. وأكثر ما ترد اللفظة في الاستعمال الجازاني بصيغة الماضي ، والمضارع . ولعل الظاهر من الدلالة السابقة للفظة (بَغَشَ) في الاستعمال الجازاني أنها قريبة الدلالة من دلالة لفظة (نغش) (المبدل نونها باء في الاستعمال الجازاني)؛وذلك من حيث الدلالة على الحركة الضعيفة

---

(١) ينظر : اللسان (نغش) : ٦/ ٣٥٦.

(٢) النهاية (نغش) : ٩٢٩.

(٣) ينظر : القاموس المحيط (نغش) : ٧٨٤ . والمعجم الوسيط (نغش) : ٩٣٦/٢.

(٤) اللسان (نغش) : ٦/ ٣٥٦-٣٥٧. ومعجم تهذيب اللغة (نغش) : ٣٦٢١/٤.

(٥) ينظر : المعجم الوسيط (نغش): ٩٣٦/٢ . والمحكم ن غ ش : ٥/ ٣٩٤.

(٦) ينظر : المصباح المنير (نغش) : ٢٣٥.

(٧) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٤.

(٨) ينظر : كتاب الإبدال . لأبي الطيب: ٨٢/١.

من ناحية ، والدلالة على كثرة الحركة المدركة من انتغاش الدار بأهلها ، والرأس بالقمل، وتداخل الدَّبى ونحوه فيما بينه[1] (من ناحية أخرى).

* * *

(١) ينظر : المحكم (ن غ ش) : ٥ / ٣٩٤ . واللسان (نغش) : ٦ / ٣٥٦-٣٥٧.

حرف الهاء:

٨٨- هـ ج ج (هَجَاجَة) [هَجَاهِج]

الهَجَاجـة: الهَبْـوَة التي تـدفن كـل شـيء بـالتراب ، ومثلهـا العَجَاجَـة [١]. والهَجْهَـج: الأرض الجدبة التي لا نبات بها ، جمعها هَجَاهِج [٢]. ويوم هَجْهَاج، أي: كثير الريح شـديد الصوت بسبب ذلك الريح [٣].

لم تكن لفظة (هَجَاجَة) معروفة في الاستعمال الجازاني حسب صورتها الكتابية، وذلك لأنها تكتب وتنطق هَجَاهِج (على وزن فَعَالِل)، وذلك للدلالة في الاستعمال الجازاني على بداية انتشار الغُبار في الآفاق قبل بدء المطر. أو على قلة ذلك التراب والغبار الذي تسوقه الرياح إلى ذلك الموقع (حتى وإن مكث طويلا). ومثل هذه الدلالة لا تتوافق مع دلالة لفظة (هَجَاهِج)، بل تتفق مع دلالة لفظة (هَجَاجَة) ، لأن (هَجَاهِج) في الاستعمال الجازاني جمع الهَجْهَج ، وهي الأرض الجدبة التي لا نبات بها (كما ذكر سابقا). وبهذا ، فإنّ هناك تباعدا دلاليًا للمراد بلفظة (هَجَاهِج) في الاستعمال اللغوي الخاص بها . والاستعمال الجازاني.

٨٩- هـ د س (الهَدَس) [الهَدَس]

الهَدَس: شجر ، وهو عند أهل اليمن الآس [٤].

عُرفت لفظة (الهَدَس) في الاستعمال الجازاني بكامل صورتها الكتابية . والنطقية . وجاءت دالة على ذلك الورق الأخضر الذي يشبه ورق الحنّاء ، ويُستخدم كبهارات تضفي على العجين الحامض نكهة مميزة . وقد استخدم قديماً للأطفال الذين ترتفع درجة حرارتهم ، حيث يُجعل ورق الهَدَس على هامة الصبي (مثلا) ، من أجل تخفيف درجة حرارة الجسم. ولم يزل الهَدَس يباع إلى وقتنا الراهن لدى أصحاب العطارة في منطقة جازان. وأكثر وروده من اليمن.وقد أصبح بيعه مثلاً لدى أهالي جازان ، للدلالة على وضع

---

(١) ينظر : المحكم (هـ ج ج) : ٤/٨٥. ومعجم تهذيب اللغة (هجج) : ٤/٣٧١٤.

(٢) ينظر : تاج العروس (هجج) : ٣/٥١٤.

(٣) ينظر : اللسان (هجج) : ٢/٣٨٧.

(٤) ينظر : اللسان (هدس): ٦/٢٤٦ . وتاج العروس (هدس) : ٩/٣٨ . والمعجم اليمني (هـ د س): ٩٤٠. وفي اللهجات العربية . لإبراهيم أنيس : ٢٧٩.

الشيء في غير منزلته المناسبة له ؛ فقد يقال مثلاً: إن فلانا باع منزله بيع الهَدَس؛ دلالة على عدم تكافؤ تسعيرة ذلك المنزل مع طبيعته الرائعة الممتازة (مثلا). يلحظ أن هذا التوظيف لـ (الهَدَس) في الاستعمال الجازاني لم تفصح عنه المعاجم اللغوية ؛ لأن الذي ذكر في تلك المعاجم الإشارة إلى كون (الهَدَس) شجرًا، وأنه يسمّى عند أهل اليمن: الآس. وبهذا فإن الباحث يرى التوافق بينهما صوتيا، والاختلاف دلاليا.

٩٠- هـ ط ل (هَطَلَ) [هـ ط ب ل هَطْبَلَ]

يقال: هَطَلَ يَهْطِل هَطَلانا ؛ أي: مضى لوجهه مشيًا [١]. ((والهِطْل: المُعْيي، وخص بعضهم به البعير المُعْيي،والهَطْل: الإعياء))[٢]. وناقة هَطْلَى ؛ أي: تمشي رويدًا [٣]، وهَطَلَت الناقة تَهْطِل هَطْلا ؛ أي: سارت سيراً ضعيفا[٤]. وقال أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ): ((جاءت الخيل هطلى ؛ أي: خَنَاطِيْل جماعات في تفرقة، ليس لها واحد))[٥].

لقد زاد الاستعمال الجازاني على لفظة (هَطَلَ) حرف الباء بعد الطاء (هطبل) ؛ بما يُعد لحنًا ؛ لأن اللفظة بتلك الصورة الكتابية غير موجودة في المعاجم، والكتب اللغوية؛ مع أن لفظة (هَطْبَلَ) في الاستعمال الجازاني تقترب كثيراً من دلالة (هَطَلَ)، وصيغها الأخرى الدالة على السَّيْر قُدُمًا إلى الأمام مع تمهّل، وترو مصحوب بالضعف؛ حيث تسمع في الاستعمال الجازاني من يقول: مشى فلان وهو مُهَطْبِل ؛ أي: سار سيرًا ضعيفا، يصحبه في الغالب طأطأة الرأس إلى الأرض. وهَطْبَلَ فلان في مشيته ؛ أي: سار ماشياً في حالة تعب وإعياء، بما يجعل مشيه ضعيفاً، وخطاه متقاربة. وبهذا ؛ يحدث تقارب دلالي بين لفظة (هَطَلَ) في استعمالها اللغوي، ولفظة (هَطْبَلَ) في استعمالها الجازاني ؛ وذلك للدلالة على السير المتأنّي المصحوب بالتعب والإعياء، وكذلك السير قُدُمًا أثناء المشي.

* * *

---

(١) ينظر: المحكم (هـ ط ل): ٢٤٩/٤، والمعجم الوسيط (هطل): ٩٨٨/٢.

(٢) اللسان (هطل): ٦٩٩/١١، والمحكم (هـ ط ل): ٢٤٩/٤.

(٣) ينظر: الصحاح (هطل): ١٥٠٥/٤، وكتاب مجمل اللغة (هطل): ٧٣٣.

(٤) ينظر: معجم تهذيب اللغة (هطل): ٣٧٦٩/٤.

(٥) تاج العروس (هطل): ٨٠٦/١٥.

حرف الواو:

٩١- و ث ن (الوَثْن) [الوَثَن]

الوَثْن، والواثن: المقيم الراكد في مكانه الثابت الدوام [١]. وقد حكى ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ): وَثَن بالمكان [٢]. ووثَن الشيء بالمكان يَثِنُ وَثْنًا ؛ أي: أقام وثبت فهو واثن، والجمع وُثَّن [٣]. وَوَثَن ووتَن بمعنى واحد ؛ بمعنى الدوم على العهد [٤]،أو الإقامة بالمكان ؛ يقال: وَتَنَ بالمكان يَتِن وَتْنًا ووُتُونا ؛ أي: أقام به . ووَثَنَ يَثِنُ وَثْنًا ووُثُونا (أيضا) [٥]. ((والوَثَن في لغة النقوش المسندية هو: الحدّ . والأوثان: الحدود ؛ أي: ما يكون بين بلدين أو منطقتين من حدود متعارَف عليها ؛ وكانوا يضعون أنصاباً من الأحجار كعلامات حدود)) [٦].

لقد طرأ تغيير حركي على حرف الثاء من لفظة (الوَثْن) في الاستعمال الجازاني ؛ حيث إن الدارج فيها فتح الثاء (الوَثَن) ؛ وذلك تصرّف غير محمود ؛ لأنه يصرف دلالة اللفظة إلى كل تمثال من خشب، أو حجارة . أو ذهب، أو فضة . أو نحاس . أو غيره [٧]. وليس ذلك المفهوم هو المراد ؛ وإنما المراد في الاستعمال الجازاني: دلالة تلك اللفظة على كل مَعْلَم بارز تُفْصَل به حدود الأراضي الزراعية وغيرها ؛ يقال: بين أرضي وأرضك (وَثَن) . وأرض فلان تنتهي بذلك الوَثَن.والمراد بذلك: تلك العلامة . والحد الفاصل . والمعلم البارز بين أرضين . أو مجموعة أراضٍ، مع ملاحظة أن ذلك المعلم . وذلك الحد الفاصل هو في الغالب دائم . وثابت ؛ لأن بقاءه مرتبط ببقاء تلك الأرض. وبذلك يحدث التقارب الدلالي للفظة (الوَثْن) في الاستعمال اللغوي . و(الوَثَن) في الاستعمال الجازاني ؛ وذلك بحمل دلالتها على بقاء الشيء . وإقامته في مكانه على وجه الثبات . والدوام ؛ كما هو الحال في دلالتها الموضوعة لها في كتب المعاجم اللغوية . ونحوها (كما هو مشار إليه من قبل).

---

(١) ينظر : اللسان (وثن) : ٤٤٢/١٣.

(٢) ينظر : تاج العروس (وثن) : ٥٦٦/١٨.

(٣) ينظر : المعجم الوسيط (وثن) : ١٠١٢/٢، وكتاب الأفعال . لابن القطاع : ٣١٤/٣.

(٤) ينظر : اللسان (وثن) : ٤٤٢/١٣.

(٥) ينظر : اللهجات العربية في التراث : ٣٥٥/١.

(٦) المعجم اليمني(و ث ن) : ٨٩٥.

(٧) ينظر : اللسان (وثن) : ٤٤٣/١٣ . والمعجم الوسيط (وثن) : ١٠١٢/٢.

٩٢- وح ي: (الوَحْي) [الوحْي]

الوَحْي: سماع الكلام من غير معاينة ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ ؛ أي: يكلّمه بحيث يَسمع كلامه، ولا يراه ؛ كما كُلّم موسى [١]. والوَحْي في اللغة كلها: إعلام في خفاء [٢]. ويقال: وَحَيْتُ لك بخبر كذا ؛ أي: أشرتُ، وصوتٌ به رويدًا. والوَحْي، والوَحَى ؛ (مثل الوغى): الصوت يكون في الناس، وفي غيرهم [٣]. والوَحْي: الكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك؛ تقول: وحَيْتُ إليه الكلام، وأوحيتُ ؛ أي: أنك تكلمه بكلام تُخفيه [٤].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (الوَحْي)، مع إحداث تغيير في حركة حرف الواو؛ حيث تُنطق بالكسر (الوِحْي) ؛ بما يُعد لحناً في ضبط حركة الواو ؛ لأن (الوِحْي) بكسر الواو غير وارد في اللسان العربي (حسب اطلاع الباحث)؛ إلا إذا قُبل تعليل ذلك بالميل إلى الكسر . أما التوظيف الدلالي للفظة (الوَحْي) في الاستعمال الجازاني ؛ فإنه يحمل معاني اللفظة المشار إليها ؛ حيث تدل اللفظة على الصوت المسموع الخفي الذي يُسمع دون أن يُرى صاحبه؛ فأنت تسمع الجازاني إذا أراد الإخبار عن صوت إنسان، أو حيوان يبدو للسامع بدرجات سمع متفاوتة يغلب عليها الخفاء، مع عدم مشاهدة ذلك الموصوف ؛ يقول: أنا أسمعُ وِحْيه (بكسر الواو خطأ)؛ أي: بدايات صوته، أو صوته الواضح المعروف من غير مشاهدة، وكذلك الشأن مع حكاية كل صَوْت يُسمع ولا يُرى صاحبه ؛ مثل: وِحْي الطائرة وصلت، وِحْي الخطيب يخطب. ويصاحب لفظة (وِحْي) الدلالة في الاستعمال الجازاني على من يُعْمِل أذنه مصغيًا إلى كلام خفي يريد استبانة صاحبه، ومعرفة موقعه. وهذا التوظيف الدلالي معروف في اللهجة اليمنية ؛ إذ يقال: وَحْي فتحة باب، وَحْي إنسان قادم ؛ وذلك للدلالة على الصوت يُسمع دون رؤية مصدره غالباً . [٥]

---

(١) ينظر : تفسير الطبري : ١٦٢/١١ (سورة الشورى، الآية:٥١)، ومفردات ألفاظ القرآن (وحى) : ٨٥٩.

(٢) ينظر : معجم تهذيب اللغة (وحى) : ٣٨٥٢/٤، والصحاح (وحى) : ١٩٩٩/٥.

(٣) ينظر : اللسان (وحي) : ٣٧٩/١٥-٣٨٠، والمحكم (وح ى) : ٣٨/٤.

(٤) ينظر : الصحاح (وحى) : ١٩٩٩/٥، والقاموس المحيط (وحي) : ١٧٢٩.

(٥) ينظر : المعجم اليمني(وح ي) : ٩٠٠.

يظهر من خلال المدلول اللغوي، والمدلول الجازاني، والمدلول اليمني التوافق الدلالي على معنى سماع الكلام والصوت من غير معانيه، وكذلك الكلام الخفي الذي يتطلب تركيزاً في تحديد صاحبه وجهته.

٩٣- و ر د (الوِرْد)

الوِرْد: يوم الحُمَّى إذا وردت، وأخذت صاحبها لوقت؛ تقول: وردَتْه الحُمَّى فهو موورود.[١] وقيل: الوِرْد من أسماء الحُمَّى [٢]. و الأصح: إطلاق الوِرْد على يوم الحُمَّى [٣]. ويُعبر عن المحموم بالموورود عند أهل اليمن، وعن إتيان الحمى بالوِرْد [٤].

لفظة (الوِرْد) من الألفاظ المألوفة المعروفة في الاستعمال الجازاني؛ حسب رسمها الكتابي، ونطقها الحركي. وقد جاءت دالة في الاستعمال الجازاني على تلك الحُمَّى التي تنزل بصاحبها، وتلازمه أياما محدودة. وطبيعتها أقرب ما تكون إلى (الملاريا) المسماة لغويًا بـ (البُرَداء)[٥]؛ فإذا سمعت من يقول: فلان فيه وِرْد؛ فاعلم أن في ذلك إشعارًا بأن المراد: الحُمَّى؛ وليس يومها، أو يقول: فلان مُوَارَد (وذلك خلاف قاعدة اسم المفعول موورود؛ من الفعل الثلاثي وَرَدَ)؛ أي: أن الحُمّى قد نزلت به، ومن هنا؛ يتضح التوافق الدلالي للفظة (الوِرْد) في الاستعمال اللغوي (المتضمن الإشارة إلى يوم الحُمَّى، والحُمّى ذاتها). وفي الاستعمال الجازاني الموافق لدلالة الوِرْد على المرض نفسه؛ وليس على يومه (مع أن كلا المدلولين قد أشارت إليه المصادر السابقة).

٩٤- و ر ش (الوَرَش)

يقال: وَرِش يَوْرِش وَرَشًا؛ أي: نشط وخَفّ. و وَرَش يَرِش وَرْشًا، و وروشًا؛ أي: أسفّ للدنيء من الأمور[٦]. ووَرَشَ من الطعام وَرْشًا؛ أي: تناول منه شيئًا. ووَرَشَ على الآكلين: دخل بلا إذن [٧]. ورجل وَرِش؛ أي: نشيط؛ يقال: لا ترِش عليّ يا فلان؛ أي: لا تَعرض لي في

---

(١) ينظر: الصحاح (ورد):٢/٤٧٩، والمصباح المنير (ورد):٦٥٢.

(٢) ينظر: معجم تهذيب اللغة (ورد):٤/٣٨٧٠.

(٣) ينظر: تاج العروس (ورد):٩/٣٠٥. والغريب المصنف: ١/١٠١.

(٤) ينظر: الجمهرة (ورد): ١/٧٥٨،ومفردات ألفاظ القرآن (ورد):٨٦٥.

(٥) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة، للعدناني: ٢٣٨.

(٦) ينظر: المعجم الوسيط (ورش):٢/١٠٢٥.

(٧) ينظر: كتاب الأفعال، لابن القطاع: ٣/٣١٢-٣١٣.

حديثي، وكلامي فتقطعه عليّ[1]. والوَرِشَة من الدواب: التي تَفَلّتُ إلى الجري، وصاحبها يكفّها ويمنعها، والوَرِشَات: الخِفاف من النُّوق.[2] والوارش: الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يُدْعَ لذلك، مثل الواغل في الشراب[3]. وهو (أيضا): الطُّفَيْلي المشتهي للطعام ، والدافع في أي شيء وقع[4].

عرف الاستعمال الجازاني لفظة (الوَرَش) ؛ حسب رسمها الكتابي ، والحركي ، وغلّب بعض صيغها على بعض ؛ إذ يكثر في الاستعمال الجازاني (الوَرَش ، الوَرِش، الوَرِشَة) . وقد جاءت دالة على ماهي عليه (غالباً) في المعاجم اللغوية من معاني: الخِفّة ، والنشاط الزائد ، ركوب الأمور الدنيئة ، واقتحامها . وأكثر مايُقال (الوَرِش) للأطفال المزعجين ذوي النشاط الزائد إلى حد الإيذاء[5].ومن أمثلة اللفظة في الاستعمال الجازاني: أنت فيك وَرَش ، وتلك المرأة وَرِشَة ، وذلك الفتى وَرِش. والمراد بذلك: الحركة غير المحمودة من دَلَع وغَنَج ، وضوضاء وإزعاج ، وحدوث فعل غير مألوف في الغالب. وجميع تلك الأمثلة ، ودلالاتها في الاستعمال الجازاني محتملة معاني: الخِفّة والطيش ، والنشاط غيرالمحمود ، والتصرف غير المقبول؛ وتلك الدلالات واردة في المعاجم اللغوية السابقة الذكر.وعلى هذا، فإن (الوَرَش ، الوَرِش ، الوَرِشَة) متفقة في الاستعمال اللغوي ، والاستعمال الجازاني في الدلالة على الخِفّة الحركيّة والعقلية ، وزيادة النشاط في المواقف غير الإيجابية ، وفعل التصرّفات السلبيّة.

٩٥- و ع ث (الوَعْث) [الوَعَث]

الوَعْث: المكان السهل الكثير الدَّهْس الذي تغيب فيه الأقدام ، ويشق على الذي يمشي فيه ؛ يقال: أوْعَثَ القوم ؛ أي: وقعوا في الوَعْث[6]. والوَعْث: فساد الأمر واختلاطه[7]؛ يقال: أوعث الرجل إيعاثاً: إذا خلّط[8].

---

(١) ينظر : معجم تهذيب اللغة (ورش) : ٣٨٧١/٤، والتكملة والذيل والصلة . للزبيدي(ورش):٣/ ٥٨١.

(٢) ينظر : اللسان (ورش) : ٦/ ٣٧٢، والصحاح (ورش) : ٣/ ٨٦١.

(٣) ينظر : الصحاح (ورش) : ٣/ ٨٦١، وأدب الكاتب :١٦٣.

(٤) ينظر : تاج العروس (ورش) : ٩/ ٢٢٤، وإصلاح المنطق: ٣٢٢.

(٥) ينظر : المعجم اليمني(ورش) : ٩٠٦.

(٦) ينظر : الصحاح (وعث) : ١/ ٢٦٠، اللسان (وعث) : ٢/ ٢٠٢، والقاموس المحيط (وعث) : ٢٢٧.

(٧) ينظر : اللسان (وعث) : ٢/ ٢٠٢، والمصباح المنير (وعث) : ٢٥٥.

(٨) ينظر : معجم تهذيب اللغة (وعث) : ٤/ ٣٩١٤.

هناك اختلاف حركي لحرف العين في لفظة (الوَعْث) في الاستعمال الجازاني؛ حيث تُنطق عيناً مفتوحة (الوَعَث)؛ جريا على جواز فتح ثاني الثلاثي إذا كان حرف حلق. أما التوظيف الدلالي؛ فإن هناك شبه تقارب بين دلالة لفظة (الوَعْث) في الاستعمال اللغوي، والجازاني؛ لأنها تدل في الاستعمال الجازاني على ما يحمله الإنسان من (وَعَث) في بطنه؛ من صديد، أو قَيْح، أو تقيّؤ؛ فإذا رأى شخص شخصًا آخر منتفخ البطن (مثلا)، أو يستفرغ، أو رائحة فمه كريهة؛ فإنه يقول له: إن في بطنك وَعَثًا؛ أي: أذى، ووساخة، وعفن بحاجة إلى استخراج، أو استقصاء. وواضح أن هذا المدلول الجازاني لتلك اللفظة ربما يكون له قبول في المدلول الموضوع لتلك اللفظة؛ إذ من الممكن الإفادة من بعض جزئيات تلك الدلالة؛ وذلك بالنظر إلى احتمال حدوث الاتّساخ، والأذى من باطن ذلك السهل الكثير الدَّهس الذي تغيب فيه الأقدام، وتغوص فيه القوائم. كما أنه من الممكن (في نظر الباحث) الإفادة من دلالة فساد الأمر واختلاطه (السابق الذكر)؛ بما يشبه تلك الحالة الطارئة لبطن ذلك الإنسان؛ من حيث تغيّر وضعه من صحة إلى سقم، ومن حيث وجود مسببات القَيْح، أو القَيْء. وعلى هذا؛ فإنه من الممكن حدوث تقارب دلالي للفظة (الوَعْث) في الاستعمال اللغوي، و (الوَعَث) في الاستعمال الجازاني؛ وذلك عن طريق دلالة فساد الأمر، واختلاطه (المشار إليها سابقاً في المعاجم اللغوية)؛ إذ يمكن تشبيه ذلك في المفهوم الجازاني للفظة بالبطن الذي اختلطت فيه طبيعته الصحية بتلك الشوائب الطارئة؛ من مَغْص، وصديد، وقَيْء، وإسهال، ونحو ذلك.

٩٦- و ع ي (الوَعْي) [الوِعْي]

الوَعْي: القَيْح، والمِدَّة؛ قال أبو زيد (ت ٢١٥هـ): ((إذا سال القَيْح من الجرح قيل: وَعَى الجرح يعي وعياً. قال: والوَعْي: القيح؛ ومثله المِدَّة))[1]. ووَعَى الجرح وَعْياً: سال قيحه، وبَرِئَ جرحه على وَعْي؛ أي: نَغْل[2].

عرف الاستعمال الجازاني (الوَعْي)، وأجرى تغيرًا حركيًا على حرف الواو؛ حيث ينطق بالكسر (الوِعْي)؛ من باب اللحن في نطق اللفظة؛ لأن اللفظة لم ترد بكسر الواو في المعاجم، والكتب اللغوية (حسب اجتهاد الباحث)؛ إلا إذا فُسر ذلك بالميل إلى

---

(١) اللسان (وعي): ٣٩٦/١٥. ومعجم تهذيب اللغة (وعي): ٣٩٢١/٤. ومفردات ألفاظ القرآن (وعى): ٨٧٧.

(٢) ينظر: المحكم (و ع ى): ٣٨٥/٢. وتاج العروس (وعى): ٢٩٩/٢٠.

الكسر. أما مدلولها في الاستعمال الجازاني،فإنه يتضمن المطابقة لمدلولها اللغوي السابق الذكر، إذ يقال في الاستعمال الجازاني: وَعَى جرح فلان، وفي يده وعي (بكسر الواو) ؛ والمراد بذلك: حكاية ظهور القَيْح، والصديد على ذلك العضو من الإنسان.

٩٧- و ك ف (وَكَّف)

قال أبو عمرو (ت ٢٥٥هـ): ((هو يتوكَّف لفلان ؛ إذا كان يتعرّض له حتى يلقاه، قال:

سرى متوكِّفًا من آل سُعدى *** ولو أسرى بليلٍ قاطنينا

وتقول: مازلت أَتَوَكَّفُه حتى لقيتُه. وتوكّف الأمر: تتبّعه)) [١]. والتوكّف: التوقّع والانتظار ؛ ومنه حديث ابن عُمير: ((أهل القبور يتوكّفون الأخبار ؛ أي: يتوقّعونها ؛ فإذا مات الميت سألوه: ما فعل فلان، وما فعل فلان؟)) [٢].وتوكّف فلان لفلان ؛ أي: تعرّض له حتى يلقاه. ويتوكّف فلاناً ؛ أي: تعهّده ونظر في أمره. وتوكف الخبر، أي: تتبّعه وسأل عنه [٣].

لفظة (وكّف) من الألفاظ المعروفة في الاستعمال الجازاني؛ بحروفها، وحركاتها، وبكثير من صيغها ؛ مثل: وكَّف، يتوكَّف، وكِّفْ، متوكِّف. وقد حملت تلك اللفظة في الاستعمال الجازاني الدلالة الموضوعة لها في المعاجم اللغوية (المشار إليها من قبل) ؛ فأنت تسمع الجازاني يقول: فلان يَتَوكَّف الخبر، وفلانة مُتَوَكِّفَة لخبر أبنائها، وَوَكَّف فلان لفلان، وَوَكّف لذلك البعير الشارد. وجميع تلك الأقوال المحكية دالة على معاني الترقب، والانتظار، والتتبع ؛ حتى تتم اللُقيا والمشاهدة ؛ وبالتالي تحقيق الأهداف المرجوّة من وراء ذلك التوكّف.وهذه المعاني موجودة في اللهجة اليمنية ؛ إذ يقال: وكّف فلان لفلان ؛ أي: انتظره. ووّكف فلان للأمر؛ أي: أعدّ. وتوكف فلان لفلان في الطريق ؛ أي: باغته [٤]. وبهذا تحصل الموافقة الدلالية بين الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني، واللهجة اليمنية.

* * *

---

(١) تاج العروس (وكف) : ٥٢٣/١٢، واللسان (وكف) : ٣٦٤/٩.

(٢) النهاية (وكف) : ٩٨٧. ومعجم تهذيب اللغة (وكف): ٣٩٤٦/٤.

(٣) ينظر : المعجم الوسيط (وكف) : ١٠٥٤/٢.

(٤) ينظر : المعجم اليمني (و ك ف) : ٩٤٣.

الخاتمة:

لقد كانت تلك الرحلة اللغوية الدلالية مع تلك الألفاظ الدائرة على ألسنة أهل محافظة صامطة التابعة لمنطقة جازان.وما صاحب تلك الألفاظ من بقاء أصولِ مادتها اللغوية، وطريقتها الكتابية ، وهيئتها النطقية، أو ما طرأ عليها من تغييرات صوتية، أو حركية ؛ عن طريق الزيادة، أو النقص لحروف اللفظة اللغوية ، أو عن طريق الضبط بالحركة المخالف لبعض الألفاظ اللغوية ذات الرسم المألوف في المعاجم ، والكتب اللغوية وغيرها.وما صاحب ذلك من توافق دلالي بين تلك الألفاظ المستعملة في منطقة البحث والمعاجم والكتب اللغوية ، أو تقارب دلالي ، أو شبهه، أو تباعد دلالي.

وقد كان من نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث:

١- توافق اللفظة في الاستعمال الجازاني (محافظة صامطة) مع المعاجم، والكتب اللغوية ، وغيرها؛ من حيث: أصل مادة اللفظة ، وحركاتها ، ودلالاتها. ويتمثّل ذلك في الألفاظ الآتية: (بَقّ، جِلْب، الجَلْب ، الحَرْت ، دَحَسَ ، ذَهِنَ ، الرَّبْت، الزَّوْم ، سَلَتَ ، الشّب ، الصّدّام ، ضَبَحَ، العُشَر، عَفَجَ ، القَتَب ، قَحَفَ ، كَبَعَ ، لَعَطَ (بمعنى ضَرَبَ) ، المَرْخ ، نَدَشَ ، نَشِفَ ، الوِرْد ، الوَرَش، وكَّف).

٢- توافق اللفظة في الاستعمال الجازاني (محافظة صامطة) مع المعاجم ، والكتب اللغوية ؛ من حيث أصل مادة اللفظة ، وحركاتها ، مع التقارب الدلالي. ويظهر ذلك في الألفاظ الآتية: (بَرَعَ ، بَهَزَ ، جُفْرَة ، جَفَشَ ، حَمِيلَة، حَوْك ، خَفَعَ، دَوْغَة، رَغْوت ، زَأط ، السَّبَه ، أشْكَل ، طَفَرَ ، عَتَرَ، عَلَطَ، غَمِيس، قَارِح، الكَزَم، لَعَطَ، (بمعنى لَحَسَ) ، نَجّف، نَخَشَ).

٣- الإفادة من ظاهرة الإبدال اللغوي بين حروف اللفظة في منطقة البحث ، وبين أصلها اللغوي الموضوع لها (مع اختلاف الضبط بالحركة أحيانا)، وحدوث توافق الدلالة في تلك الالفاظ؛ ومن أمثلة ذلك: (الثّدي الفِدي) ، (ثَرَمَة فَرَمة) ، (دُعْمُوص قَعْمُوص)، (مَكَل حَكَل).

٤- حدوث إبدال لغوي بين حروف اللفظة في منطقة البحث ، وبين أصلها اللغوي الموضوع لها، مع التقارب الدلالي. ويتضح ذلك في الألفاظ الآتية: (البَجَجَ البَحَجَ) ، (بَخَس ، بَخَص ، بَخَشَ) ، (الصَّهَب الصَّهَف) ، (العَبَس العَبَص) ، (المِقْرَمَة المِقْلَمَة) ، (نَغَشَ بَغَشَ).

٥- الإفادة من ظاهرة القلب اللغوي بين حروف اللفظة في منطقة البحث، وبين أصلها اللغوي الموضوع لها، مع التوافق الدلالي. ومثال ذلك: (الفِرْسِك الِفرْكِس)، (حَشْرَجَة شَرْحَجَة).

٦- حدوث توافق في المعنى للفظة في منطقة البحث، وفي معاجم اللغة مع نقص حرف، أو حرفين للفظة في منطقة البحث. ويمثل الجانب الأيمن اللفظة حسب وضعها المألوف، ويمثل الجانب الأيسر النقص في الحروف حسب استعمال منطقة البحث لها:(الحِدَاء)[الحِدَأْ]،(اللَّأَى[اللَّأْ]،(لَيْمُون) [لِيْم].

٧- حدوث تقارب دلالي للفظة، مع وجود زيادة حرف في استعمال منطقة البحث. ومثال ذلك: (هَطَلَ) [هَطْبَلَ].

٨- حدوث اختلاف في الصيغة بين الاستعمال اللغوي الموضوع لها، وبين استعمال منطقة البحث، مع التوافق الدلالي. ومن أمثلة ذلك: (الشِّكَال) [المُشْكُل]، (الجَرِيْن) [المِجْرَاْن].

٩- حدوث اختلاف في الصيغة، مع التقارب الدلالي. ومن أمثلة ذلك: (دَرَسَ) [مَدْرَس]، (الدَّك)، [الدُّكَاك]،(دَهَفَ) [دَاهِف] (الرَّدْم) [المِرْدام]،(صُبْر) [صَابِر] (صَنِفَة) [صانفة]، (فَصَىْ) [فَاْص]، (قَذَّى)[مُقَذِّيَة].

١٠- حدوث اختلاف حركي مغاير لضبط حرف من حروف اللفظة في أصل وضعها اللغوي؛ بما يُعدّ لحناً (في حالة عدم قبول تفسيرها بالميل إلى الفتح، أو الكسر، أو الضم، وما شاكل ذلك)،مع موافقة معنى اللفظة في منطقة البحث لمعاجم اللغة، وكتبها. ومن أمثلة ذلك في استعمال منطقة البحث: [الخُطام]،[رِهْيَة]، [الشِفْر]،[يَشْنُف]،[الصَّلْدَم]،[يَطْفُر]،[فَرْس]، [قَعْمُوص]،[كُتَان]، [لِيْم]،[الوَثَن]،[الوحْي].

١١- هناك ألفاظ حدث فيها توافق في مادة اللفظة بين الاستعمال اللغوي، والاستعمال الجازاني؛ لكن المعنى مختلف؛ ومن أمثلة ذلك: (ذِرِبَة، سَيْع، طَبِيْنَة، الهَدَس).

١٢- هناك تباعد في مادة اللفظة، وفي معناها؛ ومن أمثلة ذلك: (هَجَاجَة) [هَجَاهج].

١٣- هناك ألفاظ حدث فيها شبه تقارب دلالي ؛ عن طريق المجاز المرسل ، والتشبيه ، والاستعارة. ومن أمثلتها حسب وضعها اللغوي: (الجُبْجُبَة ، المِجْوَل ، جَفَشَ ، المَزْقَم ، سَلِج ، فِرْس ، نَخَش).

١٤- هناك ألفاظ مُعَرَّبة وظفها الاستعمال الجازاني في منطقة البحث. ودليل ذلك: (فِرْسِك) المعروفة في الاستعمال الجازاني بـ (الفِرْكِس) ؛ لأن (فِرْسِك) مأخوذة من الفارسية ؛ وأصلها يوناني. ومثلها لفظة (لَيْمُون) التي غلب استخدامها في الاستعمال الجازاني بحذف الواو والنون (لِيْم) ، مع كسر اللام ؛ إذ (لَيْمُون) مأخوذة من الفارسية (لَيْمُو) .

١٥- في دلالة بعض الألفاظ الجازانية من محافظة صامطة ما يدل على الحقيقة أو المجاز،وما يدل على التوسع الدلالي؛ فمن أمثلة المعاني الحقيقية:ألفاظ(البجج). ومن أمثلة المعاني المجازية:ألفاظ(جِلْب،مدرَس،زاط).ومن أمثلة الدلالة التوسعية:ماحصل في شرح معاني:(التبرعص،قَحَف).

١٦- تأثرت بعض الألفاظ الجازانية في محافظة صامطة بحذف أواخر حروفها؛مجاراة لما كانت عليه بعض القبائل العربية القديمة التي سكنت جنوب الجزيرة العربية؛كطيئ التي عَرفت الوقف بالحذف بقطع اللفظ قبل تمامه؛بما يشبه الترخيم عند أهل النحو؛ ومن أمثلة ذلك في الاستعمال الجازاني: (اللاّ،الحِدا،ليم).

١٧- مالت بعض الألفاظ الجازانية في محافظة صامطة إلى الفتح،والكسر،والضم في نطق بعض ألفاظها؛فمن أمثلة الميل إلى الفتح:ألفاظ(خَث،صَلْدَم،فَرْس).ومن أمثلة الميل إلى الكسر:ألفاظ(رِهية،شِفْر،فِدِي،قِلْص،وِحْي،وِعْي).كما حدث ميل إلى تخفيف اللفظ المشدد؛مثل:كُتَان المخففة من كُتّان.

١٨- نُطق (القاف)في الألفاظ الجازانية الصامطية مهموسا؛خلافا لوصفه بالمجهور في الكتب العربية القديمة،وفي الاستعمال الشائع في لغة قريش؛ومن أمثلة ذلك في الاستعمال الجازاني الصامطي:ألفاظ(القَتَب،القَحْف،القارح).

١٩- للتأثير الجغرافي دوره في استخدام بعض الألفاظ اللغوية مع دلالاتها ؛ حيث وجد في البحث ألفاظ ، ودلالات مشتركة بين الاستعمال الجازاني، واللهجة اليمنية ، ومن أمثلة ذلك : (جَفَشَ، ذَهِنَ ، تَرْقُل، زَب ، سَبَاهَة، آشْكَل، صَابِر ، طَيِبَنَة ، فَاْصَىْ ، مُقَدِّي ، لَعَطَ (بمعنى لَحَسَ)، نَدَشَ ، وِحْي، وكّف).

وأخيراً ؛ فإن الباحث يرى أن في صنيعه هذا جهدًا متواضعًا لا يرقى إلى درجة التمام والإحاطة ؛ لذا فإن الباحث يتطلّع بشغف ، وشوق لكل توجيه صائب ، ونقد هادف، وملحوظة بناءة، كما أنه يأمل أن تكون هناك دراسات أخرى لألفاظ المنطقة ؛ سواء أكانت صوتية ، أم لهجية ، أم دلالية، حيث تكمل المشوار الذي بدأه بعض الباحثين ، والدارسين من أبناء المنطقة.

* * *

المصادر والمراجع:

- **الأدب الشعبي في الجنوب** ، محمد بن أحمد العقيلي ، (ب.ط.ت).
- **أدب الكاتب** ، ابن قتيبة ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة (٢) ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **أساس البلاغة** ، الزمخشري ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، (ب.ت).
- **الاشتقاق** ، ابن دريد ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة (١) ، ١٤١١هـ /١٩٩١م.
- **أصالة لهجة منطقة جازان** ، محمد بن إبراهيم عبده شامي فضلي ، الطبعة (١) ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **إصلاح المنطق** ، ابن السكيت ، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة (٤).
- **الأصوات اللغوية** ، د. عبد القادر عبد الجليل ، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان ، الطبعة (١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- **الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات** ، معروف الرصافي ، تحقيق وتعليق: عبد الحميد الرشودي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة (١) ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان** ، ابن مكي الصقلي النحوي اللغوي، تقديم: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة (١)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف** ، صلاح الدين أبي الصفاء الصفدي ، تحقيق: شريف الحسيني وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة (١)، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- **تفسير ابن سعدي (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة (١) ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (١)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- **التفسير الكبير**، الفخر الرازي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (٢)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- **التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة**، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق وتقديم: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة (١)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **دراسات في علم اللغة**، د. كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٩٧١م.
- **دلالة الألفاظ اليمانية في بعض المعجمات العربية**، د. هادي عطية مطر الهلالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة (١)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **الدلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر**، د. حاسب فالح الربيعي، مطابع الثورة العربية، طرابلس.
- **ديوان ابن الدمنية**،:تحقيق أحمد بن رابح النفاح ،دار المعرفة،القاهرة ١٩٥٩.
- **ديوان أبي الطيب المتنبي** بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وآخرون، دارالمعرفة، بيروت، (ب. ت).
- **ديوان امرؤ القيس**، اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة (٤)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **ديوان ذو الرمة**، اعتنى به وشرح غريبه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة (١)، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **ديوان طرفة بن العبد**، المكتبة الثقافية، بيروت، (ب.ت).
- **ديوان العجاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، قرأه وصححه: محمد حسن العرب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **الزاهر في معاني كلمات الناس**. أبي بكر بن محمد القاسم الأنباري. تحقيق: حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة (١). ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **شرح ديوان الأعشى**. تحقيق: كامل سليمان. دار الكتاب اللبناني. بيروت. الطبعة (١). (ب.ت).
- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**. شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. تقديم وشرح: محمد كشاش. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة (١). ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- **الشوارد في اللغة**. رضي الدين الحسن بن محمد الصنعاني. تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري. مطبعة المجمع العلمي.العراق. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. أحمد بن فارس. تحقيق: د. عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف. بيروت. الطبعة (١). ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **صامطة بين الماضي والحاضر**. محمد بن أحمد آل خيرات.(كتاب قيد الطباعة والنشر).
- **الصحاح**. الجوهري. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة (١). ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- **ظاهرة الإبدال اللغوي دراسة وصفية تطبيقية**. د. علي حسين البواب. دار العلوم للطباعة والنشر. الرياض. الطبعة (١)١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- **غريب الحديث**. أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. دار الكتاب العربي. بيروت. (ب. ت).
- **الغريب المصنف**. أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. الرياض. الطبعة (١). ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. محمد بن علي الشوكاني. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- **فقه اللهجات العربية**. د. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. الطبعة (٩). د ١٩٩م.
- **القاموس المحيط**. الفيروزآبادي. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة (٣). ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- **كتاب الإبدال**. أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي. تحقيق: عز الدين التنوخي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. ١٣٧٩/١٩٦٠م.

- **كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر**، الزجاجي. تحقيق: عز الدين التنوخي، دار صادر، بيروت، الطبعة (٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م.
- **كتاب الأضداد**، أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **كتاب الأفعال**، أبي القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٧م.
- **كتاب الأفعال**، ابن القوطية، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٩٩٣م.
- **كتاب الألفاظ**، ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٨م.
- **كتاب الحيوان**، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(١)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة (١)، (ب. ت).
- **كتاب شرح شافية ابن الحاجب**، أبي الفضل ركن الدين الحسن الإستراباذيّ، تحقيق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة (١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة (٢)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **كتاب مجمل اللغة**، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- **كتاب المغرّب في ترتيب المعرّب**، أبي الفتح ناصر عبد السيد بن علي المطرزي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ب. ت).
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (ب. ت).
- **لغة تميم دراسة تاريخية وصفية**، د. ضاحي عبد الباقي، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **اللهجات العربية نشأة وتطورا**، د.عبد الغفار حامد هلال، الطبعة(٢)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- **اللهجات العربية في التراث**، د. أحمد علم الدين الجندي. الدار العربية للكتاب. طرابلس. ١٩٨٣م.
- **اللهجات المحلية للمنطقة الجنوبية**، محمد بن سهيل بن صالح آل سهيل. الطبعة (١) ١٤٢٦هـ.
- **مجمع الأمثال**، الميداني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، الإمام الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني. تحقيق: عبد الكريم القرباني. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. جامعة أم القرى. الطبعة (١). ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **محافظة صامطة:**الموقع والمراكز الإدارية التابعة لها
- **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة (١). ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **المخصّص**، ابن سيده. تقديم: خليل إبراهيم جفّال. دار إحياء التراث العربي. بيروت، الطبعة (١). ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **المذكر والمؤنث**، لأبي بكر الأنباري، تحقيق: د. طارق الجنابي. دار الرائد العربي. بيروت، ١٩٨٦م.
- **المذكر والمؤنث**، أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن. دار الفكر. دمشق. الطبعة (١) ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي. شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون. المكتبة العصرية. بيروت، ١٩٨٦م.
- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت، (ب.ت).
- **معجم الأخطاء الشائعة**، محمد العدناني. مكتبة لبنان. بيروت، الطبعة (٢). ١٩٨٥م.
- **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، السيد ادّي شير. مكتبة لبنان. بيروت. ١٩٩٠م.
- **معجم الأمثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت**، محمد عبد القادر بامطرف. دار حضرموت للدراسات والنشر. المكلا. الطبعة (١). ٢٠٠٨م.

- **معجم تهذيب اللغة**، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة. بيروت. الطبعة (١). ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **معجم الفرائد**، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان. بيروت. الطبعة (١). ١٩٨٤م.
- **المعجم الكامل في لهجات الفصحى**، د. داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١). ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان**، محمد بن أحمد العقيلي، شركة محمد بن أحمد العقيلي وشركاه التضامنية، جازان، الطبعة (٢). ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- **معجم المذكر والمؤنث في اللغة العربية**، د. محمد أحمد قاسم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٨٩م.
- **المعجم المفصّل في المعرب والدخيل**، د. سعدي ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة (١). ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس وآخرين، دار الفكر، (ب. ت).
- **المعجم اليمني في اللغة والتراث**، محمد مطهر علي الإرياني، المطبعة العلمية، دمشق، الطبعة (١)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، أبي منصور الجواليقي، تحقيق: عبد الرحيم. دار القلم، دمشق. الطبعة (١). ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق. الطبعة (٢). ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **المقصور والممدود**، **الفراء**، تحقيق: ماجد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة (٢). ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **المنجد في اللغة**، **أبي الحسن علي بن الحسن الهنائي**، تحقيق: د. أحمد مختار عمر و د. ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب القاهرة. الطبعة (٢)، ١٩٨٨م.
- **النتاف من الأمثال السائرة في المخلاف بين العامية والفصيح**، يحيى محمد السيد عطيف، مكتبة الحكمي، الرياض الطبعة (١). ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **النحو الوافي**، عباس حسن، دار المعارف، مصر الطبعة (٤). ١٩٨٠م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. الطبعة (١). ١٤٢١هـ.

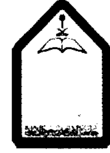
* * *

VOLUME 19 2011

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY



www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research